

الجزء الاول

من الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة
ومسكنها وبلادها القديمة والشهيرة

تأليف

الجناب الامجد والملاذ الاسعد

سعادة علي باشا مبارك

حفظه الله

(الطبعة الاولى)

بالطبعة الكبرى الاميرية يولاق مصر المحمية

سنة ١٣٠٦

هجريه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (أما بعد) فلما كانت مدينة القاهرة المعزية التي هي دار الحكومة الخديوية قد كثرت كرها في كتب الخطط والتواريخ والسير ووصف ما كان بها من المباني والبساتين وهي الآن غيرها في تلك الأزمان لتغيرها عما كانت عليه زمن الفاطميين الذين اختطوها بتغير الدول وتقلب الأزمنة وكانت تارة يورث فيها الزيادة وتارة النقصان فتري أحيانا زاهرة زاهية وطورا واهنة واهية ولم نرمنا معشر أبناءنا من يهدينا إلى تلك التقلبات ويفقهنا أسبابها تلك الانتقالات ويدلنا على ما فيها من الآثار فنجوس خلالها ولا نعرف أحوالها ونجوب أقطاعها ولا ندري من وضعها وقد خطها العلامة المقريري لوقته وأطال القول فيما فيها من المباني والمزارع وتكلم على الحوادث والرجال ولكن بعده كم من أمور مرت فدمرت وغير جرت فغيرت حتى ذهب أكثر ما أسهب في شرحه كليا وزال حتى صار نسيانسيا وكم من آثار خيرية صار نفعها مندثرًا مهجورا ومصانع ومصانع قد دثرت كأن لم تكن شيئا مذكورا وكم من تلال كانت غمارات شاهقة ووهاد كانت بساتين مهيبة فائقة وقبور مزروية في جوانب الحارات ومشاهد متباعدة في الفلوات أطلق عليها العامة أسماء كاذبة كقولهم هذا ضريح الأربعين مثلا وكم من مساجد نسبوها لغير من بناها ومعابد أسندوها لمن لم يكن رآها والحقيقة أنها قبور ملوك عظام أو معابد سادات كرام أو مساجد أمراء نخام مع أن معرفة ذلك حق علينا إذ لا يليق بنا جهل بلادنا والتهاون بمعرفة آثار أسلافنا التي هي عبرة للمعتبر وذكري لله ذكر فهم وان مضوا السبيلهم قدر كوالنا ما يحتاج إلى اقتفاء آثارهم وأن نصنع لوقتنا ما صنعوه لوقتهم وأن نجد في طرق الافادة كما جدوا دعتنى نفسي لتأليف كتاب واف بمصر من قديم وحديث متضمن لذكر مبانيها الدائرة والموجودة وما يتبع ذلك من أخبار أربابها وذكر نيلها ومنافعها وكيفية تصرفاته ومواضعه لكفى رأيت هذا المشروع صعب المسالك لما يحتاج إليه من مراجعة كتب كثيرة في هذا الشأن ومناظرة رسوم القديم والجديد من تلك الأزمان وربما تعسر الوجود أو تعذر المقصود كما أنه محتاج للحوال وصلاح زمان وأنى لي بذلك مع كثرة أشغالي وتحمل أعباء الوظائف المهمة في أزمان الحوادث التي أخلت بالراحة العمومية والخصوصية مما يكدر الفكر ويحير العقل فأخذت أجل جهابذة العلوم ومن لهم القدرة على ذلك وأحثهم على وضع كتاب يفك لنا عقد تلك الصعوبات ويقض ختام ما أودع في كتب الخطط من أخبار المتقدمين وآثار القرون السالفة وأهل العصر الذي نحن فيه وأبين ما لهذا المشروع الجليل من الفائدة في الدنيا والثواب في العقبى حتى كل فؤادى وكأن لأحياء لمن أنادى فلما لم يلبثت لهذا الأمر انسان بل رجعا عنه بعض الجهلة ضربا من الهذيان فت مشمرا عن ساعد الجد والاجتهاد معتمدا على من بيده الهداية إلى سبيل الرشاد منتزعا لكل فرصة سنحت مداوما على استنباط الغرائب وترتيب المقاصد جامعاً من كتب العجم والعرب ما يقضى بمقتضاه إلى العجب مراجعاً كتب العرب والأفرنج الذين ساءحوا تلك الديار ورسومهم التي يتوافر فيها حدود هذه الاقطار وكذا حجج الاوقاف والاملاك وما وجد مسطوراً على الاحجار والحدردان ملخصاً من ذلك ما يحتاج إليه ولا يحسن جهله بحسب الامكان اذمالا يدرك كله لا يترك كله ولم أزل على ذلك مدة من الزمن حارماً للعين في كثير من الاوقات لئلا يذو السن حتى جاء بحمد الله

مجموعايسر الناظر ويشرح الخاطر وهو وان كان بالنسبة لما قصدت ليس على ما أردت لكن اخترت أن يكون ذلك مقدمة لمن يوافيه فينتفع بمافيها ورأيت ان العلامة المقرري لم يقتصر في خططه على مدينة القاهرة المعزية بل تكلم على كثير من بلدان الديار المصرية بعضها اندثر ولم يبق له أثر وبعضها صار الى حالة فائقة لاسماسبة بينها وبين الحالة السابقة ونص على أسماء رجال لم يترجها وبلدان وقرى لم يذكر موضعها وذلك مما ينبغي بيانه خصوصا ان أكثر الآثار القديمة كالأهرام والبراني وغيرها مما بقي من أعمال الأمم الماضية والقرون الخالية لم يكن الغرض من ذكرها الا كونها من عجائب الدنيا ومعلوم أن الكتابة الطبرية المعروفة بالهيروجليفيكية لم تنكشف حقيقةها الا في هذا القرن فقد وقف الافرنج على حقائقها من الكتابات الباقية على جدران الآثار المصرية والمباني الفرعونية وأخذوا يحدون اليوم في توسيع دائرة علمها فالتزمت أن أطلع ما كتب بخصوص تلك الآثار وألخص مافيها الفائدة من غير اطالة ولا كثار ووضعت في كل بلدة من البلدان المذكورة في هذا الكتاب تراجم من أحاط به الاطلاع ممن نشأ منها أو استوطنها أو أقام بها أو دفن فيها وله مناسبة بهم من أعلام العلماء والامراء ومشاهير الرجال مع بيان مالهم من الآثار والاعمال والمصنفات والروايات بحسب الاستطاعة وأتيت على ذكر ما عثرت عليه أو نقل الى علمي مما اختص بالبلدة أو برعت فيه أو عرفت به من صناعة أو غيرها مضافا الى ما به من الآثار العتيقة والمباني الشهيرة وابتدأت الكتاب بهذا المجلد فجعلته مقدمة له لخصت فيه الكلام على محل القاهرة قبل قدوم جوهر القائد وعلى ما حصل لها من الاحوال والتغيرات بتقلب الازمان وتداول الدول من عهد الدولة الفاطمية وعلى بقية ملوك القاهرة الى الآن على الاجال وجعلت للبلدان والقرى مجلدات مخصوصة على ترتيب حروف المعجم تسهلا على الطالب ثم شرحت مقياس النيل السعيد في مجلد وحيد وبسطت الكلام عليه وأضفت المتجددات اليه وأتيت فيه بالحوادث والكتابات من أول الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضا الى وقتنا هذا وقصدت أتم الروايات فنقلتها عن يديهم صدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه وانه بذلك الجدير كيف لا وهو الاشارة الناطقة والدلالة الواضحة على غور الزراعة في كل سنة وبحسب على درجات ارتفاعه وانخفاضه من الكتب العربية والافرنجية ووضعت لذلك جداول لطيفة شاملة لارتفاعه وحوادثه وما صار بسببه الى بلادنا وطبعته مع كتاب الوقوف أهل ديارنا على حقيقة نيلهم الذي هو منبع سعادتهم ان اعتمدوه ومورد شقاوتهم ان أهملوه وأفردت الترع والخجان بمجلد يثبت فيه أحوالها وما كانت عليه قبل الآن أو هي عليه الآن وجعلت أيضا مدينة الاسكندرية جردا مشتملا بوجه وجيز على بعض حوادثها وما كانت عليه في الازمان المتقدمة ولم أتكلم على الفسطاط لاندثارها وخرابها ومن أراد الوقوف على ما كان بها فليراجع خطط المقرري فقد أتى فيها بما يشفي ويكفي ولما كانت مدينة القاهرة هي الغرض الاصل المقصود بالذات من هذا الموضوع لانها أم البلاد المصرية ونخت الحكومة الخديوية ومنبع العلم والصناعة والتجارة جعلت مبانيها الشهيرة كالساجد والمدارس ونحوها مرتبة على ترتيب حروف الهجاء في مجلدات على حديثها حتى ان من أراد الاطلاع على مسجد أو مدرسة مثلا يسهل له الوقوف على ما أراد بعد معرفة اسمه ولم أقتصر في ذلك على شرح الحالة الراهنة بل أخذت ما وجدته في الخطط وغيرها من صفة الحال السالفة فرغصة في جمع ما نشئت من أحوال الوقوف الطالب على جميع صفاتها قديما وحديثا ووضعت أيضا لشوارعها مجلدين على ترتيب الحروف وتكلمت على ملحقات كل شارع من دروب وحارات وعطف وآزقة مع مافيها من المساجد والمدارس والاضرحة والاسبله والحمامات والوكائل ونحو ذلك سابقا ولاحقا حتى صار هذان المجلدان عبارة عن خطط القاهرة في زماننا هذا فجاء مافيها ما كافيافي في الدلالة على هذه المدينة ومشتلاتها ولتتميم الفائدة من هذا الكتاب أفردت مجلدا قررت فيه القول على أصناف النقدية التي كان جاريا بها التعامل في مصرنا بكل عصر من الازمان الخالية وشرحت تاريخها وأصل وضعها وأسباب حدوثها ومن أحدثها وقومها حتى صار في امكان الطالب أن يقارن بين أسعار الاشياء في الاوقات المتفاوتة فانه متى قيل كان صنف كذا يباع بكذا من الدنانير مثلا وحصلت مقارنة بين هذه القيمة لهذا الصنف في سنة كذا وبين قيمته الآن بعمام لتساعلم أن هذا الصنف كان أعلى قيمة مما هو عليه الآن أو أقل في كل زمن وقع فيه الاعتبار فكمل كتابنا هذا بحمد الله في عشرين مجلدا لطيفا على أسلوب رقيق ووضع أتيق يسر سامعه ويروق مطالعه والله الكريم أسأل من فضله وكرمه أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يتق به كل طالب بقلب سليم وأن يوفق من اطلع عليه الى اصلاح ما عسى أن يكون

فيه من الخطا والنسيان ويزيد عليه ما عجزت عن الاتيان به وأن يكافئنا واياها بما كافأه عباده الصالحين الذين قصروا أعمالهم مدة حياتهم على طلب مرضاته انه جواد كريم رؤوف رحيم

(بيان محل القاهرة قبل قدوم بجوهر القائد)

لما قدم القائد بجوهر بعساكر الفاطميين الى ساحل القسطاط وقت الزوال من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر شعبان سنة سبع وخسين وثلثمائة نزل بحرى القسطاط في الارض التي فيها اليوم الجامع الازهر وبيت القاضى وخان الخليلي وبين القصيرين وما جاورهما من الاماكن التي بين الجبل والخليج وكانت هذه البقعة ربما لا فيما بين مصر القسطاط وعين شمس التي تسمى الآن بالمطرية يمر بها الناس عند مسيرهم من القسطاط الى عين شمس فيما بين الخليج المعروف في أول الاسلام بخليج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه والخليج المعروف بالبحاميم لم يره بجاينها اذ البحاميم اسم للجبل الاحمر الكائن بشرق العباسية وكان ذلك الخليج يمر بقربها وقد زال من مدة ولم يبق له أثر وعند نزول جوهر بهذه الرملة لم يكن بها ابناء البساتين وأما كن قليلة منها بستان الاخشب يد محمد بن طفح المعروف بالكافورى وكان هذا البستان في شرق الخليج محله اليوم فيما بين جامع الشعراى والسكة الجديدة قريبا من قنطرة الموسيقى ممتدا في الجهة الشرقية الى النحاسين وكانت مساحتها تبلغ ستة وثلاثين فدانا بمقياسنا اليوم وبجانبه من الجهة القبليّة ميدان الاخشب ومحملة الآن من بر الخليج الشرقى الى شارع السكرية والغورية وكان في محل الجامع الاقردير للنصارى يعرف بدير العظام تزعم النصارى ان فيه بعض من أدرك المسيح عليه السلام وبئر هذا الجامع هي بئر ذلك الدير وتعرف ببئر اظام وتسمى العامة ببئر العظيمة وكان بهذه الرملة أيضا موضع آخر يعرف بقصر الشوك (بصيغة التصغير) فنزله بنو عذرة في الجاهلية وصار عند بناء القاهرة خطا يعرف بقصر الشوك وفي تلك الحقبة كان الخليج المصرى ينتهى الى قنطرة بناها عبد العزيز بن مروان سنة تسع وستين موضعها الآن منتهى حارة السيدة زينب رضى الله عنها وكانت الحارة طريقا لانباء فيه تمر الناس من فوق تلك القنطرة الى بره الغربى وإلى ساحل النيل وكان في غربى الخليج تجاه معسكر جوهر قرية تعرف بأمدنين ثم عرفت بعد بالمقس وهى الآن خط من أخطاط القاهرة واقع عن يسرة من سلك من شارع كلوت يسلك الى سكة الحديد ممتدا الى الشارع الواقع عليه جامع أولاد عنان وكان الخليج فاصلا بينهم وبين الرملة المذكورة وكان فيما بين قرية أمدنين والشاطئ الغربى فضاء لا بناء فيه ثم صار بعد بناء القاهرة ميداناً توضع فيه الغلال وسماه المقريرى ميدان القمح وهو الآن من جملة خط باب الشعريّة وكان الواقف بهذا الفضاء يرى النيل عن يمينه من بعد اذا استقبل المغرب وعن يساره بستان المقس محل بركة الازبكية وما يجذأ من الجهة القبليّة وبعده تلك البساتين الى القسطاط وكان يرى بر الجزيرة والقرى الواقعة عليه أمامه وكان من يسافر من القسطاط الى الشام من العسكرو التجار وغيرهم ينزل بطرف هذه الرملة في الموضع الذى كان يعرف اذذاك بمنية الاصبغ ثم عرف زمن الفاطميين بالخنديق والآن يعرف بقرية الدمر داش وبقية يوم من منية الاصبغ الى سلمت وبلبيس وبينها وبين القسطاط أربعة وعشرون ميلا ومن بلبيس الى العਲقة ثم الى الفرما ولم يكن هذا الدرب يعرف قديما وانما عرف بعد دخراب تنيس والفرما وكان من يسافر من القسطاط الى الحجاز برا ينزل بجب عميرة المسمى أولا ببركة الحب والآن ببركة الحاج وكانت حافة الخليج الشرقية هي الطريق العام وكان القادم من القسطاط الى القاهرة يجعد عن يمينه منازل العسكر في محل التلال التي نشاهد ها الآن قريبا من باب السد ثم يجعد عدة ديوروكائس موضع خط السيدة زينب رضى الله عنها ثم بركة البغالة وبركة الفيل الى سور القاهرة وكانت العامة تجلس في هذا الطريق أمام السور للتفرج على الخليج وما وراءه من البساتين والبرك وأما بر الخليج الغربى فكان بأوله بحرى قنطرة عبد العزيز بن مروان البستان الزهرى ممتدا الى باب اللوق الى جامع الطباخ ويتصل به عدة بساتين الى المقس جميعها مطل على النيل ولم يكن لبر الخليج الغربى كبير عرض وانما يمر النيل في غربى البساتين على الموضع الذى يعرف اليوم باللوق وأوله عند جامع الطباخ ويمتد جهة الغرب الى ساحل النيل

(حال القاهرة في مدة الخلفاء الفاطميين) هذه المدينة الفخيمة وضعها الفاطميون سنة ثمان وخسين وثلثمائة من الهجرة وذلك انه لما تولى الغلاوة تابعت الشداد وحصل الادبار وعجز رجال الدولة عن ادارة الامور واختل حال

الاقاليم المصرية قام المعز لدين الله أبو تميم معده وأغار على مصر في أيام الاخشيديين وقام اليها تابعه جوهر قائد
 عساكره فانتزعها من أيديهم ودخل القسطنطينية بالعساكر في السنة المذكورة وكانت القسطنطينية مدينة كبيرة
 وكانت محل الامراء ومستقر ملكهم واليهاتجى ثمرات الاقاليم وكان لها من وفور العمارات وكثرة السكان وسعة الارزاق
 ما تفخر به على مدن المعمورة وكان حدها الشرقي من باب القرافة تحت قلعة الجبل ممتدا الى كوم الجارح الى بركة
 الحبش وهي أرض البساتين والحد الغربي قنطرة السباع الى دير الطين ممتدا على ساحل النيل والحد القبلي من
 شاطئ النيل عند دير الطين الى نهاية الحد الشرقي حيث البساتين والحد البحري من قنطرة السباع الى قاعدة الجبل
 وما بين تلك الحدود كان مشهورا بالعمارة من الدور الفاخرة والاسواق والمباني وكان منها العسكر والقطاييع وكل ذلك
 تخرب واندرست معالمه ولم يبق منه الا القليل جدا كخط السيدة زينب رضى الله عنها وخط الكيش والجامع الطولوني
 والسيدة نفيسة رضى الله عنها الى آخره من الخليفة وما حول الرملة وقراميدان فاذا خرج الانسان من بوابة السيدة
 نفيسة الى العيون وقلب طرفه في تلك الصحراء الواسعة يرى أثر العمارات طلالا ولا تلالا مرتفعة في بحري العيون وقبلها
 وخلف العامر من مصر العتيقة وجهة الامام الشافعي وأبي السعود الجارح رضى الله عنهما والدير الكبير المعروف
 قد يما بقصر الشمع وجهة الرصد وهو الجبل المرتفع على أرض البساتين من بحريه او غير ذلك ومع ما كانت عليه هذه
 المدينة من العز والثروة عابها ابن رضوان وشنع على موقعا وترتيبها فقال ان بعد هذا عن خط الاستواء ثلاثون درجة
 والجبل المقطم في شريقها وبينها وبينه المقابر وقد قال الاطباء ان أردأ المواضع ما كان الجبل في شريقه يعوق ريح
 الصبا عنه قال وأعظم أجزاء القسطنطينية في غورها يعالوه من الشرق المقطم وكذا من الجنوب الشرق ومن
 الشمال المكان المعروف بالموقف والعسكر وجامع ابن طولون ومضى نظرت الى القسطنطينية من الشرق أو من مكان آخر
 عال رأيت وضعها في غور وقد بين بقراط أن المواضع المتسوية أسخن من المواضع المرتفعة وأردأ هواءا لاحتقان
 البخار فيها لان ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها وأزقة القسطنطينية وشوارعها ضيقة وأبنيتها عالية
 وقد قال دوفس اذا دخلت مدينة فرائتها ضيقة الأزقة مرتفعة البناء فاهرب منها لانها وبئس اذرداءة البخار لا تهمل منها
 كما ينبغي لضيق الأزقة وارتفاع البناء ومن شأن أهل القسطنطينية أن يرموا مامات في دورهم من السنانير والكلاب
 ونحوها من الحيوانات التي تخالط الناس في شوارعهم وأزقتهم فتتعفن ويخالط عفونتها الهواء ومن شأنهم أيضا
 أن يرموا في النيل الذي يشربون منه فضول الحيوانات وجيفها وتصب فيه خرات كنقهم وربما تقطع جري الماء
 فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء وفي خلال القسطنطينية مستودعات عظيمة يصعد منها في الهواء دخان مفرط
 وهي أيضا كثيرة البخار لسخونة أرضها حتى انك تجد في الهواء في أيام الصيف كدرا ويتسخ منه الثوب النظيف
 في اليوم الواحد اذا مر به الانسان في حاجة لم يرجع الا وقد اجتمع في وجهه راحته غبار كثير ويعلموا في العشيات
 خاصة في أيام الصيف بخار كدرا سودا سيما عند سكون الرياح الى آخر ما قال من كلام طوبى له ولما دخلت عساكر
 المعز الديار المصرية سار جوهر الى القسطنطينية ودخلها يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان من السنة المذكورة فاختر ان
 يبني في بحريه باعيدا عن ما فاختط للعسكر في الرملة التي كانت تجاء قرية أم دنين وكانت في ملك الخلفاء العباسيين ثم بنى
 ابن طولون فاستقر جوهر هناك واختط القصر فلما أصبح المصريون ذهبوا اليه للتمنيته فوجدوه قد حفر أساس القصر
 ليلا وكانت فيه ازورارات فلما رأها لم تعجبه ثم أغضى عنها وقال انه قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله
 وأدخل فيه دير العظام الذي في محله جامع الأقروا اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها وأدار السور الذي جعله من اللبن
 على مناخه الذي نزل فيه بعساكره وسماها المنصورية ولما مكثت في ثلاث سنين وباع المعز عساكرها خرج من مدينة
 المنصورية تحت ملكه بالمغرب يريد أرض مصر فركب البحر في أسطول واجتاز على جزيرة ساردينيا ثم جزيرة صقلية
 انتابعتين للملك وأقام بهما عدة شهر حتى رتب أموره ما ثم اجتاز على طرابلس الغرب فأقام به ايسيرا وقام منها
 فدخل الاسكندرية في شعبان من السنة المذكورة وأقام به امدة ثم سار الى القسطنطينية بعساكره واجتاز النيل على
 جسر عمله جوهر عند البستان المسمى بالختار وكان في الطرف البحري من جزيرة المقياس فلم يدخل القسطنطينية
 أنهم اترزنت له واستعد أهلها للملاقاة بل سار الى أن دخل القاهرة وكان معه أولاده واخوته وسائر أولاده عبيدا لله

المهدي أرسل ملوك الدولة الفاطمية بالمغرب وتوايت آياته وفي الخطط ان القاهرة في أول الامر كانت تسمى بالقلعة
 والطاية والمعقل والحصن وقصد القائد باخطاطها في هذا الموضع أن تكون حصنا للفسطاط ممن يقصد هدمها من
 جهة البحرية خصوصا القرامطة الذين كانت بأيديهم البلاد الشامية المقاصية وبلاد ارمستان فانه لما بلغهم
 استيلاء جوهر على مصر وأخذ دمشق جيشوا وجيوشا جارة وساروا القتاله في سنة ستين وثلثمائة فلما وصلوا دمشق
 أخذوها وقتلوا جعفر بن فلاح حاكمها من طرف الناطميين ثم أخذوا الرملة ثم وصلوا القلزم فاحترس جوهر واستعد
 لقتالهم وحفر الخنادق وبنى الابواب المنبعة وركب عليها نوابات البستان الكافوري وكانت من حديد وبنى القنطرة
 عند شارع باب الشعرية وهي باقية الى زمانها هذا سنة ثلثمائة وألف ثم حصل بينهم وبينهم عدة وقعت قتل فيها كثير
 منهم وانهم ترموا شرهزيمة واستولى جوهر على سواد أميرهم الأعصم وكتبه وصناديقه وكانت القاهرة اذ ذاك بين ثلاثة
 خنادق خندق من قبلها وهو الذي حفره عمرو بن العاص رضي الله عنه وكان شرقي قبر الامام الشافعي رضي الله عنه
 وخندق الحمامين أوله الجبل الأحمر المسمى بالحمامين وخندق من غربها وهو الخليج الموجود في هذا القرن الثالث
 عشر ولما أدار سورها حفر لها الخندق الرابع من بحريها فصارت بين أربعة خنادق وأدخل في السور بستان
 الاخشيدي وميدانه وجعل دير العظام وقصر الشوك من ضمن القصر الكبير فكان البستان بين القصر والخليج وصار
 الخليج خارجا وكان البستان كبيرا جدا وفي محله الآن حارات الهود وخط الخرنفش ويمتد الى شارع النحاسين والذي
 أنشأه هذا البستان الأمير أبو بكر بن محمد بن طنج بن الاخشيدي أمير مصر وكان مطلا على الخليج واعتنى به وجعل له
 أبوابا من حديد وكان يتردد اليه ويقوم به الايام واهتم به بعده أبنائه الأمير أبو القاسم أو نوح و الأمير أبو الحسن على
 أيام أمارتهم ما بعد أبيهم ما ولما استقل بعدهما ما بامارة مصر الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدي كان كثيرا ما يتنزه به
 ويواصل الركوب الى الميدان الذي به وكانت خيوله به هذا الميدان ثم لما آلت مصر للفاطميين صار هذا الميدان
 منتزها لهم وكانوا يتوصلون اليه من سرايب مبنية تحت الارض ينزلون اليها من القصر الكبير ويسيرون فيها
 بالدواب الى البستان ومناظر الأولوة بحيث لا تراهم الا عين فلما زالت الدولة الفاطمية حكر وتجددت فيه الابنية سنة
 احدى وخمسين وستمائة وكان في السور الذي بناه جوهر عدة أبواب في الجهة البحرية باب النصر القديم كان بجوار
 زاوية القاصد وباب الفتوح القديم وكان بجوار حارة بين السيارج التي في خارجه وكان محله الجامع الحاكمي خارج
 السور وبالجهة القبليّة بابان متلاصقان يسميان بابي زويلة أحدهما بجوار زاوية سام بن نوح المجاورة لسبيل
 العقادين والآخر بجواره وكان أحدهما وهو المجاور للزاوية المذكورة يسمى باب القوس دخل منه المعز القاهرة
 عند قدومه فتيامن الناس به واستعملوه وهجروا الباب الآخر زاعمين أن من مر منه لا تقضى له حاجة وقد زال بالكلية
 ولم يبق له أثر وفي الجهة الشرقية الباب المحروق القديم وكان دون موضعه الآن وباب البرقية وكان خارج حارة البرقية
 التي اختطها جماعة من أهل برقة وهي التي تعرف اليوم بالدراسة وبقرّب موضعه اليوم الباب المعروف باب الغريب
 وكان لها هناك باب ثالث يغلب على الظن انه كان بين هذين البابين وفي الجهة الغربية باب سعادة ومحملة بجوار الحد
 القبلي لسراي الأمير منصور باشا بقرب جامع اسكندر الذي هدم وصار محله الميدان الكائن أمام منزل الباشا المذكور
 وكان هذا الباب على رأس زقاق هدم في ضمن ما هدم من الابنية في انشاء الميدان المذكور وكان هذا الزقاق من
 درب سعادة وباب آخر يسمى باب القنطرة لكونه مبنيا فوق القنطرة التي بناها جوهر القائد على الخليج يمر منه السالك
 من باب مرجوش الى باب الشعرية ثم هدم بعد سنة سبعين ومائتين وألف لخلل قام به وكان باب ثالث يعرف بباب
 الفرج قد زال وكان بعد حمام المؤيد بجواره وباب رابع يعرف بباب الخوخة كان بشارع قبو الزينية ومحملة تجاه جامع
 الشيخ فرج وما بين هذه الحدود كان ثلثمائة وأربعين فدانا والقصر الكبير الشرقي يشغل من الارض خمس ذلك
 وكان شكل القاهرة اذ ذاك مربعا تقريبا فكان طولها على الخليج ألف متر ومائتي متر وعرضها ألف متر ومائة متر
 وطول وجهة القصر الغربية ثلثمائة وخمسة وأربعون مترا اعتبارا لاندان أربعة آلاف متر ومائتان من الامتار المربعة
 وكان الذهاب من الفسطاط الى عين شمس أي المطرية يسير على ساحل النيل القديم ثم يسير بحافة الخليج الشرقية
 فتكون عن يمينه بركة القيل الصغيرة وهي بركة البغالة وكان حواها ديور وكائنات وبساتين تحيط بها المباني المعروفة

بالعسكر التي هي الآن تلال مرتفعة قبلي بركة البغالة ويجوارها مباني جبل يشكرو جبل الكباش ثم يلي هذه البركة
 بركة الفيل الكبيرة الباقي بعضهما الى الآن وكانت متصل ببركة الفيل الصغيرة وتمتد بركة الفيل الكبيرة قرب باب
 زويلة ويحدها من جهة الشرق شارع السروجية وكان بساحلها الشرقي بساكنين تمتد الى الرملة الى السيدة
 نفيسة رضي الله عنها وتصل بها بساكنين اخرى عند القطن والفسطاط الى النيل ومن جهة الغرب الطريق
 المار بشرقي الخليج وهو الطريق المعروف الآن بشارع دزب الجاميزو على حافة هذه البركة من هذه الجهة بني فيما
 بعد جامع بشتال وغيره من المباني وغيرها ومن الجهة القبليية الجسر الاعظم وهو الطريق المار تحت قلعة الكباش
 الموصل من الصليبة الى خط السيدة زينب رضي الله عنها ويحدها من الجهة البحرية الشارع المعروف بشارع
 تحت الربع وكان السالك على حافة هذه البركة من الجهة الغربية في طول الخليج يشاهد في غربي الخليج المذكور
 بحر النيل وبينه وبين الخليج بساكنين الزهري على ضفته الغربية تمتد الى قنطرة باب الخرق فاذا حاذى السالك
 القاهرة كانت عن يمينه وجملة بساكنين عن يساره تمتد الى النيل وشمالا الى قنطرة البكرية الموجودة الآن بشارع
 العباسية قرب جامع الظاهر وكان في شمال القاهرة مزارع وبساكنين تمتد الى المطرية ولم يكن في الجهة الشرقية
 الا جبل الجيوثي فكان موقع القاهرة في تلك الازمان من أجل المواقع وأجلها ولما استقر ملك الفاطميين
 أخذوا في ضواحيها الاربع من المباني الفاخرة والمناظر البهجة والبساكنين النضرة ما زاد في جمعتهم وورونقها وبقيت
 كذلك الى أن انقرضت دولتهم فتغيرت أحوالها وصارت الى ما سيمتلي عليك في مواضعه من هذا الكتاب ان شاء
 الله تعالى ويفهم من كلام المقرري ان قصبة القاهرة كانت في منتصف المسافة بين السورين الشرقي والغربي
 وتقر بين باب الفتوح وباب زويلة وقصر الخلفاء كان في وسط القصبة وينظر منه الى بستان الاخشيديان قبائل
 العرب التي حضرت مع جوهر اختطت أغلب خططها في جميع جهاتها ما عدا الجهة التي تقابل الخليج والى اليوم
 يطلق على بعض حارات القاهرة اسماء من اختطها فحارة زويلة لم تزل معروفة بهذا الاسم الذي أخذته من قبيلة
 زويلة من بلاد القيروان وحارة البرقية من قبيلة البرقية وللروم الذين هم جوع من نصارى الاروام حارتان احدهما
 داخل البلد بحري قصر الخليفة بقرب السور والاخرى خارج البلد من قبلها بقرب باب زويلة وكذا العطونية
 وحارة الباطنية حيث السور الشرقي والجودرية حيث السور القبلي وجعل لطائفتين من العساكر وهما
 الرمحانية والوزيرية حارتان يفصل بينهما شارع في الجهة البحرية خارج القاهرة من جهة باب الفتوح وقد صارتا
 فيما بعد الدولة الفاطمية حارة واحدة سميت بحارة بني الدين في زمن الدولة الايوبية وتعرف الآن بحارة بين السيارج
 وجعل لطائفتي المرتاحية والفرحية حارة من داخل باب القنطرة حيث السور البحري وهي الآن الشارع المشهور
 بخط مرجوش الذي يسلك منه الى باب القنطرة ثم ان جوهر ابني الجامع الازهر قبلي القصر الكبير الشرقي وجعل
 بين الجامع والقصر اصطبل القصر المسمى باصطبل الطارمة وكان به الخيل الخاصة للخليفة في جهته القبليية وكان
 مفصولا عن الجامع برحبة واليوم محل هذا الاصطبل شارع السنواني وما عليه من المباني والازقة وجعل امام
 الجامع من الجهة الغربية رحبة متسعة وكان يشرف على الاصطبل أحد القصور المسمى بقصر الشول وجعل من
 جملة القصر الكبير التربة المعزية وفيها دفن المعز لدين الله آباءه الذين أحضر معهم أجسادهم في توأيت من بلاد المغرب
 كما تقدم وهم عبيد الله المهدي وابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد وابنه المنصور بنصر الله أبو الظاهر اسمعيل
 واستقرت مدفن الخلفاء وأولادهم ونسائهم وكانت تعرف بقربة الزعفران وهي مكان كبير من جملة الخط الذي كان
 يعرف قديما بخط الزراكية العتيق ويعرف اليوم بخان الخليلي وكانت هذه التربة تمتد الى المدرسة البديرية خلف
 المدارس الصالحية النجمية وبها الى اليوم بقايا من قبورهم وكان لهذه التربة عوائد ورسوم منها ان الخليفة كلما
 ركب بظلة وعاد الى القصر لابد أنه يدخل الى زيارة آباءه بهذه التربة وكذلك لابد أن يدخل في يوم الجمعة دائما
 وفي عيد الفطر والاضحى مع صدقات ورسوم ذكرها المقرري وبقيت هذه التربة محترمة مقامه الشعائر
 الازمان الطويلة أيام دولة الفاطميين وارتفاع شأنها الى أن اضمحلت أحوالهم وضعف أمرهم فاضمحلت
 باضمحلالهم ولما كانت الشدة العظمى في زمن الخليفة المستنصر وطلب عساكر الأتراك منه النفقة فاطلهم هجوموا

على هذه التربة وانتبهوها في ضمن ما انتبهوه على ما بينه المقريري في خطه فاخذوا ما فيه امن قناديل الذهب وكانت قيمتها مع ما جمع اليها من الآلات الموجودة هناك مثل المداخن والمجامير وحلى المحاريب وغير ذلك خمسين ألف دينار ثم لما زال ملكهم وانقرضوا وتدأوا الأيام والدول وأنشأ الامير جها ركن الخليلي في خط الزرا كشة المقدم ذكره أيام الناصر بن قلاوون خانه المعروف بجنان الخليلي نسبة اليه أخرج من هذه التربة ماشاء الله من عظامهم فالقيت في المزابل على كيمان البرقية وبني جوهر أيضا على العيد خارج باب النصر وكان الفراغ من بنائه في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ثم جده العزيز بالله وكان للفاطميين رسوم وعادات في صلاة العيد في المصلى المذكور تكلم عليها المقريري واطنب وبعض المصلى إلى الآن وبمحراب قديم وأكثره صار مقابر ومن زمن مديد يطلق على مصلى العيد المذكور اسم مصلى الاموات وكثيرا ما نجد هذا الاسم في المكنب وقد استوفينا بيان ذلك في محله ثم ان مدة استيلاء الفاطميين على أرض مصر كانت مائتي سنة وتسع سنين وذلك من مدة دخول جوهر وتأسيسه مدينة القاهرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة إلى انقراض دولتهم بموت العاضد آخر خلفائهم سنة سبع وستين وخمسمائة وتولى الخلافة منهم في تلك المدة أحد عشر خليفة ما من خليفة منهم الا جدد عمارات بالقاهرة ومصر وضواحيها حتى اتسع نطاق العمارة وليكون القاهرة كانت مقر الخليفة ورجاله وعساكره كانت على جانب عظيم من الاحترام وأما الفسطاط فلما كونه هي العاصمة واليه اتد البضائع وتصدر عنها فكانت مقر الاعيان وأرباب الثروة ورجال العلوم والصنائع والحرف وكانت انثروا اذ ذاك كبيرة والتجارة واسعة الارجاع بسبب اتساع ملك الفاطميين فانه كان ممتدا إلى أقصى بلاد الشام والمغرب فكانت تأتيا البضائع مما دخل تحت ملكهم ومن غيره وقد ساح في بلاد مصر بعد بناء القاهرة بخمسين عاما عالم من الفرس يعرف بالناصرى خسرو ووصف القاهرة والفسطاط فقال في رحلته المعروفة بسفرنامه ان الفسطاط تظهر من بعد كالجبل وفيها منازل من سبع طبقات فاكثر وسبعة جوامع كبار قال ولو وصفت ما فيها من آثار السعادة والثروة لكذبني الفرس وفي موضع آخر قال ان مدينة القاهرة قل أن يوجد لها شبيه في الدنيا وقد حسبت فيها عشرين ألفا كان جميعها ملك السلطان وأغلبها مؤجر بعشرة دنانير والجمامات والوكائل وغيرها من المباني لا يحصى عددا والكل ملك السلطان لانه كان ممنوعا في القاهرة التملك غيره قال وأخبرت ان في القاهرة كما في مصر عشرين ألفا نزل ملك السلطان أيضا وجميعها مؤجرة والجرة تقبض شهريا والتأجير والاخلاء من غير جبر ولا كراهة وسراى السلطان في وسط القاهرة وحولها فضاء لا يحوم حوله بناء قط ومتى نظرت إلى السراى المذكورة من بعد تراها كأنها جبل لكثرة المباني وعلوها وأما من دخل البلد فلا يمكنه نظرها بسبب علو الاسوار ومدينة القاهرة لها خمسة أبواب باب النصر وباب الفتوح وباب القنطرة وباب زويلة وباب الخليج وليست محاطة بسور حصين ولكن السراى والمنازل شاهقة وكل منها أشبه بقاعة وأغلب البيوت من خمس أو ست طبقات ومن حسن صنعتها واتقانها يتوهم الناظر اليها انها مبنية من أحجار ثمينة وليست من حص ودبش وجميع البيوت منقصة له عن بعضها بحيث ان سوراً حدها لا يمس سور الآخر المجاور له وكل مالك يمكنه أن يبني ويهدم من غير عمانية من الجار وأول من تولى الخلافة منهم بديار مصر المعز لدين الله أبو تميم معد وكان عالما فاضلا جوادا حسن السيرة منصف للارعية مغرما بالنجوم أقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض أعمال العراق ولما قدم مصر ساس الامور ودبر الاحوال ولم يأل جهدا في الاصلاح فانصلح حال مصر عما كانت عليه ولما استقر بالقصر أمر بالزيادة فيه وكان جوهر قد رتب به الدواوين ومواضع السكنى اللاتقة بالخلافة وادار عليه سورا في سنة ستين وثلاثمائة وكان للقصر تسعة أبواب ثلاثة في الغرب باب الرهومة وباب الذهب وباب البحر وفي بحريه باب واحد كان يعرف بباب الزيج وفي جهته الشرقية ثلاثة أبواب الزمرد وباب قصر الشول وباب العيد واثنتان في جهة القبلة باب الديلم وباب تربة الزعفران وكان القصر الكبير يشغل محل خان سرور والمدارس الصالحية والمدرسة الطاهرية وأرض الدكاكين والمنازل الكائنة في صفها إلى رحبة العيد وأرض الحارات والازقة والاماكن الموجودة خلف جميع ذلك إلى حارة البرقية وقد بينا جميع ذلك في محله وله عدة خزائن لحفظ ما تستدعيه رسوم الملك وأبهة الخلافة ولوازم القصر وملحقاته من الحلى وأنواع الزينة والامتنعة والفرش والنبات والذخائر وما تحتاج اليه العساكر البرية والبحرية كالسلاح والخيام

والبنود وما يتجمل به الخليفة وخواصه وسائر رجاله وأتباعه وما ينعم به في أيام الأعياد والمواسم إلى غير ذلك وكانت عذة الخزان كثيرة العدد لكل منها نوع من الأنواع قد أعدت له وكانت مشتهرة على نفائس جليله ومهمات عظيمة بالغة في العظم والكثرة حدا لا تكاد تباعه العبارة حتى أنه كان للمكتب خاصة من ضمن هذه الخزائن أربعون خزانة تشتمل فيما حكاه بعضهم على ألف ألف وستة مائة ألف كتاب وفي ضمن ما كان في خزانة القرش والامتنعة مقطوع من الحرير الأزرق التستري القرقوبي غريب المنفعة منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير كان المعز لدين الله أمر بعمله في سنة ثلاث وخسين وثلثمائة فيه صورة إقليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسكنها شبه جغرافيا وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير وكان في خزائن الخليم عدة عظيمة من أعدل الخليم والمضارب والقازات والمسطحات والبحر كاوات وغيرها ومنها فسطاط يسمى المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله خمسة وستون ذراعا بالكبير ودائرته خمسة مائة ذراع وكانت تحمل خرقة وحبال وعدته على مائة جبل وفي صفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قنطرة مصرية قد صور في رفرقه صورة كل حيوان في الأرض وكل شكل ظريف عمل في أيام الوزير البازوري كان يعمل فيه مائة وخمسون صانعا مدة تسع سنين وبلغت النفقة عليه ثلاثين ألف دينار وكان عمله على مثال القناطر الذي كان العزيز بالله أمر بعمله أيام خلافة -هـ- وكان أعظم من هذا إلى غير ذلك مما يطول شرحه وعامة ما في هذه الخزائن قد استلب وانتب في الشدة العظمى أيام المستنصر وبيع ما بيع منه بأجنس الأثمان فتبدد ما كان في تلك الخزائن من بدائع النفائس وجلال الذخائر وأصبحت خالية خاوية ولم تزل به ساقطات الأيام وتصرفات الأحوال حتى تخربت بالكليمة واندرست معالمها وانطمست آثارها حتى جهلت مواضعها وقد أطل المقرري رحمه الله تعالى القول في هذه الخزائن وذكر مشتملاتها وياق في الكلام على شارع النحاسين بيان مواضعها والاماع بما كان فيها وكان القصر الكبير من زلاعن مساكن العسكر يحيط به الرحاب الواسعة فكان في غربيه بين القصرين فضاء عظيم يقف فيه من العساكر نحو عشرة آلاف ورحبة باب العيد كذلك كان أولها من جامع الجمالي إلى دار الأمير أحمد بشارشيد كانت تقف فيها العساكر فارسها وأرجلها في أيام مواكب الأعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروج من باب العيد ولم يبتدأ بالبناء فيها إلا بعد سنة ست مائة من الهجرة وكان بجذاه هذه الرحبة دار الضيافة المعروفة بدار سعيد السعداء ويقابلها دار الوزارة الكبرى التي محالها اليوم المكتب الإلهي بالجمالية وما في صفه إلى باب الجوانية وخلفها بجذاه السور المناخ السعيد ويحيط به حارة العطوفية وكان في الجهة القبليية من القصر رحبة تعرف برحبة قصر الشوك كبيرة المقدار أولها من الباب الأخضر الحسيني إلى باب حارة القزازين من شارع قصر الشوك وكان حائلا بينهما وبين رحبة باب العيد خزانة البنود والسقيفة ورحبة اصطبل الطارمة وكان في مقابلة قصر الشوك وكانت هذه الرحبة فضاء واسعة عظيمة ثم إن المعز لدين الله أنشأ أيضا سبع حجر لتعليم الغلمان الخجيرية الذين يخدمون منصب الخلافة بالقصر وكانت هذه الحجر بعد دار الوزارة المتقدم ذكرها فيما بين باب النصر القديم إلى باب الجوانية وأنشأ لهم تجاه هذه الحجر اصطبل بجوار باب الفتوح بينه وبين رأس مرجوش وكان ما بين الاصطبل والحجر فضاء متسع عامن باب النصر إلى الدرب الأصغر ومجمله الآن الكائل والحارات التي بين الشارعين وهؤلاء الخجيرية شبان مختارون من بني وجهاء الناس من كل ماهر شههم معتدل القامة حسن الخلقة وكانوا يربونهم في هذا الحجر ويسمون بصبيان الحجر ويكونون في جهات متعددة وكان عددهم نحو خمسة آلاف نسمة وكان لكل حجرة اسم تعرف به وعندهم سلاحهم وما يحتاجون إليه ومتى عرف الواحد منهم بالفضل والشجاعة خرج إلى الأمرة والتقدم وما زالت هذه الحجر باقية إلى ما بعد السبع مائة فهدمت وابتنى الناس محلها الدور وغيرها واختط المعز أيضا حارة كرامة للأمراء الكماميين فيما بين حارة الباطلية وحارة البرقية وتعرف اليوم بحارة الدويداري وقيل لكامة هي رجال الدولة الفاطمية التي قامت بنصرة المهدي عبيد الله حتى استقر على دست خلافة المغرب وبقيت كذلك مدة خلافة ابنه أبي القاسم القائم بأمر الله وخلافة المنصور بنصر الله اسمعيل بن أبي القاسم وخلافة معد المعز لدين الله بن المنصور وبهم أخذ ديار مصر لما سيرهم اليها مع القائد جوهر في سنة ثمان وخسين وثلثمائة وهم أيضا كانوا أكبر من قدم معهم من الغرب في سنة اثنتين وستين وثلثمائة ولم تخط درجتهم إلى زمن العزيز بالله نزار فلما اصطنع الديلم

والأثر الذي قدّمهم وجعلهم خاصتهم صار بينهم وبين كلمة تحاسد وثنافس إلى أن مات العزيز بالله وقام من بعده أبو علي المنصور الملقب بالحاكم بأمر الله فرجع لكامة الأمر بعض رجوع لما ولي ابن عمار الكفاي الوساطة التي هي في معنى الوزارة ولم يكت ذلك معهم إلا قليلا وتغيرت أحوال كامة بعد قتل ابن عمار وتولية برجوان الوزارة وكان صقلييا لحظ عليهم وأغرى الحاكم بهم فقتل منهم الكثير والمخطط قدرهم إلى زمن الظاهر لا عزازدين الله ولا نكبابه على اللهو وميله إلى الأثر والمشاركة تلاشى أمر كامة بالكلية وصاروا من جلة الرعية بعدما كانوا وجوه الدولة وأكابر أهلها وكانت الديلم في زمن العزيز بالله نزار كثيرة المباني بالقاهرة فاختلطت حارة بجوار باب زويلة القديمة وتعرف به - هذا الاسم في حجج الاملاك إلى الآن وتارة تسمى بحارة الامراء وبحارة خوش قدم وكان من جملتها حارة درب الأثر لهفتكين التركي أحد امراء العزيز ثم انفصلت عنها كلها اليوم واختلط نادر الصقابي سيف الدولة غلام العزيز بالله دربا كان يعرف قديما بدرب نادر وبدرج سيف الدولة والآن يعرف بحارة الفراخ من خط قصر الشوك وأنشأ العزيز بالله نزار بن المعز قصر صغيرا تجاه القصر الكبير من جهته الغربية وكان يعرف بقصر البحر بناه أسكنى ابنته بنت الملك أخت الحاكم بأمر الله وجعل به قاعة كبيرة لم ينزلها وكان هذا القصر من تجاه الجامع الاقرو إلى الصاغة وكان مطبخ القصر في موضع الصاغة إلى درب السلسلة وهو موضع وكالة الجوهرية الآن وكان ذلك القصر الصغير مطلا من شرقيه على القصر الكبير ومن غربيه على البستان الكافوري وصار هذا البستان من عمار القصر الصغير فكان من أحسن ما بنى في تلك الأيام وابتدئ في عمارته سنة تسعين وأربعمائة وتم في زمن الخليفة المستنصر بالله سنة سبع وخسين وأربعمائة فكانت مدة البناء فيه سبع سنين متوالية وصرف عليه ألف دينار عبارة عن ألف ألف جنيه وشي لأن الديار يزيد عن نصف الجنيه قليلا وكان قصد الخليفة المستنصر بالله أن يجعله منزلا للخليفة القائم بأمر الله العباسي صاحب بغداد ويجمع إليه بنى العباس فلم يتيسر له ذلك فجعله أسكنا وكان من أبوابه باب السناط الذي في موضعه الآن باب سمر المارستان المنصوري المسلك منه إلى الخرنفش وبجوارده من الجهة البحرية باب التبانين وموضعه مكان باب حارة الخرنفش الآن ويظهر من كلام صاحب الخطط أنه لما قويت شوكة الأفرنج في آخر دولة الفاطميين أعدت هذه الدار وبعضها وهو ما صار فيما بعد الدار البيسرية لمن يجلس فيها من قصاد الأفرنج عندما تقرر الأمر معهم على أن يكون نصف ما يحمل من مال البلد للأفرنج فصار يجلس في هذه الدار قاصدا معتبرا للأفرنج يقبض المال فلما زالت الدولة الفاطمية وملا مصر الأيوبيون أخذها الملك المفضل قطب الدين أحمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وعمه - لهما الاصطبلات والمباني الفخيمة فعرفت بالدار القطبية ولما مات الملك المفضل صارت إلى ابنته مؤنسة خاتون وكان بها قاعة كبيرة لم يكن بمصر مثلها فلما آلت السلطنة إلى الملك المنصور قلاوون اشترى هذه الدار وعمل في محل القاعة المارستان وفي باقيها المباني التي استجدها بهذا الخط وأما الدار البيسرية المتقدم ذكرها فشرع في عمارتها الأمير ركن الدين يسرى الشمسي الصالحى النجمي في سنة تسع وخسين وستمائة في زمن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى وكان من أعظم الأمور أوله عدة مما يليك راتب كل واحد منهم مائة رطل لحم ومنهم من له عليه في اليوم ستون عقيقة لخيله وبانغ عليه وخيل مما يليك في كل يوم ثلاثة آلاف عقيقة سوى عليه في الجبال إلى آخر ما قال في الخطط فانظره ومن زمن مدينا إلى الآن بطل جعه - له مارستانا ونقلت منه المرضى غير أن به محلا يجتمع فيه كل يوم المصابون بوجع العين لكشف عليهم ومداداتهم من طبيب العيون المعين لذلك وبعض محلاته اتخذت بناية النحاس حواصل النحاسهم وبعضها جعل مدرسة أهلية وهذا القصر وان سمي القصر الصغير كان في غاية السعة فإن حده الشرقي النهاية الغربية للميدان الذي كان بين القصرين المشرف عليه الآن المارستان وما اتصل به من المدرسة المنصورية والظاهرية والكاملية والخرنفش إلى تجاه الجامع الاقرو وكان حده الغربي بمافي من البستان الكافوري سور القاهرة المطل على الخليج ويتصل به من جهته الشمالية مطبخه وهو موضع الصاغة فالنهاية الشمالية للصاغة هي حده القبلي وكان الحمام الذي بين الصاغة والمارستان من حمامات القصر وحده البحري بميدان كبير يتصل به كان يعرف بميدان الخرنفش ومحل الشارع المعروف الآن بشارع الخرنفش وما يتصل به من الأزقة والدور وغيرها من المباني وكان هذا الميدان يمتد إلى نهاية البستان الكافوري عند الخليج وانما

عرف بالخرشتف لأن المعز أول من بنى فيه الاصطبلات بالخرشتف وهو ما يتجبر مما يوقد به على مياه الحمامات من الزبل وغيره كما به عليه المقرري ويؤخذ من هذا أن استعمال الزبل في وقود الحمامات قديم العهد ولم يزل جارياً إلى اليوم وقد بقي هذا الميدان فضاء إلى سنة ستمائة من الهجرة وبنيت بعد ذلك فيه الدور والامساكن والغازات والآلات من أعظم أخطاط القاهرة وقد بقي له اسمه القديم مع بعض تحريف قليل فتحول لفظ الخرشتف إلى الخرشتف وكان قبلي البستان الكافوري اصطبل الخيزة وكان معه دنانير الفاطميين وكان له الساقية العظيمة المسماة بئر زويلة وقد تكلمنا على ذلك في موضعه والاصطبل المذكور كان ابتداءً به بالقرب من موضع سبيل المارستان ويشمل خط البندقيين وجزءاً كبيراً من حارات اليهود والمجاورة للسكة الجديدة وكان يشرف من الجهة الشمالية على ميدان الاخشيدي وفي سنة ثمانين وثلثمائة أمر الخليفة العزيز بالله ببناء جامع كبير خارج سور القاهرة فشرع في بنائه وكان من موضع باب النصر إلى محل باب الفتوح وخطب فيه قبل تمامه وسمي جامع الخطبة ثم مات قبل تمامه فكماله ابنه الحاكم بأمر الله فنسب إليه وإلى الآن هو موجود متحرب ويعرف بجامع الحاكم وفي أيام العزيز بالله بنى يعقوب بن يوسف بن كلس داره في جهة الجنوب الشرقي من القاهرة في أرض ميدان الاخشيدي وكانت كبيرة جداً وسميت دار الوزارة والحارة التي هي فيها عرفت بالوزيرية وتعرف اليوم بدرب سعادة وكانت بجهة علماء الوزير أربعة آلاف عرفوا بالثلاثة الوزيرية واليهم تنسب الوزيرية فانها كانت مساكينهم ثم جعلت بعد ذلك لعل الديباج إلى آخر دولة الفاطميين ثم بعد زوال دولتهم سكنها النصارى صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب فعرف خطها بخط النصارى وقد تغير ذلك كما وقسمت هذه الدار دوراً وحارات وأسواقاً ومساجد ونحو ذلك ففي موضعها الآن سوق النجارة والموضع المشهور بدمق البن القديم وما جاور ذلك من المساجد والاماكن والخازنة المشهورة بحجارة بيرم ودرب الحريري المعروف بدرب القرن بحجارة درب سعادة وما وراء ذلك كله واستجد بحجارة الوزيرية وغيرها بجهة دروب كدرب الحريري الذي عرف بعد الدولة الفاطمية بدرب ابن قطز وهو الآن عطيفة صغيرة من عطف درب سعادة ودرب العداس وهو اليوم حارة جامع البنات وفي أيام العزيز بالله بنيت دار النظرة وخزان دار الفتكين والايوان الكبير بالقصر الشرقي واستجرت عدة جوامع ومساجد بالفسطاط * وكان من رسوم الجوامع والمساجد أن قاضي القضاة يتولى أحباسها وإليه أمرها وأهلها ديوان منفرد وفي سنة ثلاث وستين وثلثمائة جمعت أحباسها فباغت في السنة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم وكان مرتب كل مائة درهمين درهم في الشهر برسم المائز وأرها وكانت العادة قبل رمضان بثلاثة أيام أن تطوف القضاة على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة ليتنقذوا حصرها وقناديلها وعمارتها وما تشعبت منها ونحو ذلك فيبتدئون بجامع المقس ثم جامع القاهرة وهو الأزهر ثم المشاهد ثم القرافة ثم جامع مصر وهو جامع عمرو ثم مشهد الرأس وفي سنة ثمانين وثلثمائة ترتب المتصدرون لقراءة العلم بالجامع الأزهر والعزيز هو أول من أقام الدرس بمعلوم ثم في مدته عمل الوزير يعقوب بن كلس مجلساً في داره يحضره الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل وكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهب الفاطمية وعمل أيضاً مجلساً بجامع مصر لقراءة ذلك الكتاب وكان يسمى كتاب الوزير وبنى العزيز أيضاً منظره للؤلؤة على الخليج بالقرب من باب القنطرة جهة جامع الشيخ عبد الوهاب الشافعي وكانت من أحسن منظره ثم فانها كانت تشرف على الخليج من الغرب وعلى البستان الكافوري من الشرق وجعل لها سرداباً تحت الأرض متصلاً بالقصر الكبير وكان يركب في هذا السرداب من القصر الكبير إلى اللؤلؤة ويتحول إليه في أيام الخراج بحمره وخواصه وكانت تطل على بستان يعرف بالمقسي وكان كبيراً جداً يمتد إلى النيل وفي بعض محله الآن بركة الأزبكية وخط الموسيقى وبنى داراً لصناعة بالمقس بالقرب من موضع جامع أولاد عثمان وعمل المراكب التي لم ير مثلاً قديماً عظيماً ومائة وحسناً وكان ليوم خروج الاسطول رسوم ذكرها المقرري وكان الخلفاء يخرجون للفرجة فيمتلئ وجه النيل وساحله من المتفرجين فيكون ذلك اليوم من المواهب المشهودة وبنى أيضاً منظره الجامع الأزهر وكان يجلس فيه إلى الوقود وهي ليلة تستل رجب وإليه نصفه وإليه مستهل شعبان وإليه نصفه وقد تكلم عليه المقرري وأطنب وخلاصة ما كان أهم من الرسوم في ذلك أن يركب قاضي القضاة بيته المقررة ومعه

الشهود والمؤذنون والقراء يطربون بالقراءة وبين يديه الشمع المحمول اليه موقوف وامن كل جانب ثلاثون شمعة كل واحدة منها سدس قنطار واغبره من الشمع الواحدة والاثنتان والثلاثة كل بحسب المقر له فمشون من أول شارع فيه دار القاضي الى باب الخلافة وقد اجتمع من العالم في وقت جوارهم مالا يحصى فيسيرون الى باب الخلافة ويحضر صاحب الباب والى القاهرة والقراء والخطباء فيترجلون تحت مظلة الخليفة ويخطبون وينصرفون بعد أن يسلم عليهم من الطاقة أستاذ دار الخلافة استفتاها وانصرفا ثم يركب الناس الى دار الوزارة فيجلس اليهم الوزير في مجلسه ويسلمون عليه ويخطب الخطباء ويدعون له فيخرجون فيشق القاضي والجامعة القاهرة وينزل بالجامع الأزهر والجامع الأحمر والجامع الأنور بالقاهرة والطيلوني والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التي تضمنت الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التي لاربابها وجهة ويصلى في كل مسجد ركعتين ويقدم للناس الحلواء والاطعمة والجور في مجامر الذهب والفضة ويوقد في المساجد الشموع والقناديل الكثيرة فكان المرتب للجامع العتيق برسم وقوده خاصة في كل ليلة أحد عشر قنطارا ونصف قنطار من زيت الزيتون واغبره من المساجد شئ كثير كل بحسبه وبالجملة فكانت هذه الليالي الاربع من أجمع الليالي وأحسنها يحشر الناس لمشاهدتهم من كل أوب فيصل اليهم فيها أنواع من البر وتعظم فيها أهل الجوامع والمشاهد وبنت والدة العزيز وهي الست تغريد جامع الاولياء بالقرافة قبلي الامام الليث رضى الله عنه وقصر بجواره وقد زال كل ذلك من زمن بعيد ومحلها الآن حوش لدفن الموتى يعرف بحوش أبي علي وبنت أيضا الدار المعروفة بمنازل العز وكانت تشرف على النيل وصارت معدة للترهة الخلفاء وهي التي صارت فيما بعد مدرسة عرفت بمدرسة منازل العز وقد تكلمنا عليها في المدارس من هذا الكتاب وبيننا واضعها في الكلام على ساحل النيل وبني العزيز أيضا منظر السكرة على بر الخليج الغربي كان يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج وكانت قنطرة السيد يومئذ هي قنطرة عبد العزيز بن مروان ومحلها بموضع منزل الست الشمس شرجية بحارة السيدة زينب رضى الله عنها ومنظر السكرة حيث منزل المرحوم حسن باشا اسم من طريق القصر العالي الذي صار الآن ماسكالا جديدا كمال كماله قدم وكانت هذه المنظر جميلة الموقع في بسنتان أتيق يحيط بها البساتين من كل جانب وفي أيام الحاكم بأمر الله زادت الناس رغبة في العمارة بالقاهرة واستجذبت بها حارات ودروب وبنت عدة مساجد بالفسطاط حتى قيل انه أحصى المساجد التي لا غلة لها فكانت ثمانمائة فأطلق لها من بيت المال تسعة آلاف درهم ومائتي درهم وفي سنة خمس وأربعمائة حبر خمس ضياع عليها منها طفيح وصول وطوخ مع تحبب ضياع أخرى على القراء والمؤذنين بالجامع وعلى المصانع والمارستان وأكنان الموتى وهو الذي كل جامع الخطبة تعرف به وسمى بالجامع الحاكمي وزاد في جهته الغربية محمل الأهرام أي الاشوان التي تجتمع فيها الغلال ذخيرة بالقاهرة وكانت في بعض أماكن من القاهرة أهرام يخزن بها في السنة ما يزيد عن ثلثمائة ألف اردب من الغندأ أكثرها من الصعيد وكان منها اطلاق الاقوات لارباب الرتب والخدم وأرباب الصداقات وأرباب الجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان وما يتفق في الطواحين برسم خاص الخليفة ومنه يخرج جرات رجال الاسطول وما يستمدى بدار الضيافة لاختبار الرسل ومن يتبعهم وكان بعض هذه الأهرام عند السور القبلي بقرب محل جامع المؤيد حيث موضع السجن المعروف بنجزة شمائل الذي كان بجوار باب زويلة على يسرة الداخل منه بجوار السور وكان هذا السجن من أشنع السجون الى أن هدمه الملك المؤيد شيخ المحمدي سنة ثمان عشرة وثمانمائة وأدخله مع ما أخذه من الدور بجوانبه في المدرسة الموحدة الآن المعروفة بجامع المؤيد وبني الحاكم أيضا خارج باب الفتوح شونا كبيرا جداملا حطبا حتى خاف الناس من ذلك وثارت اذ شاعة ان الحاكم يريد بجمع هذه الاحطاب احراق جماعة من الكتاب فضج الناس تحت القصر يطلبون الأمان فكتب لهم بالأمان حتى اطمأنوا وهذا الموضع الذي بناه هو أول ما بنى في موضع الحسينية وكان هو أول حارة الحسينية وبني أيضا جامع المقس الذي كان على شط بحر النيل وهو المعروف اليوم بجامع أرلاند عنان وكانت المكوس تؤخذ في هذا الموضع وأمر بهدم منظره للؤلؤة وهدم سور القصر الكبير وبناه ثانيا وجد الباب المسمى بباب البحر وبني أيضا جامع راشدة بمصر وهدم كنيسة لليهود كانت بجوار باب زويلة القديمة من داخل وبني موضعها مسجدا كان يعرف

بمسجد ابن البناء كما في الخطط وهو الزاوية المعروفة الآن بزاوية سام بن نوح في العقادين وجد تدوير العلم القديمة التي كانت تجاه الجامع الاقرو كان يسلك اليها من قبوا الخرنفش ونقل اليها الكتب وأباح للناس الدخول فيها للمطالعة والنقل منها وأعتلهم الورق والمداد والاقلام وبني أيضا خارج القاهرة الباب الحديد على شاطئ بركة الفيل عند رأس المنجبية وهي حارة الدالي حسين من خط المغربين ثم حدث حارتا الهلايسة واليانسية الموجودتان الى الآن وبني أيضا بجزيرة الروضة جامع غني وبني غلامه ملوخيا داره التي محلها درب ملوخيا المشهور بالآن بدرب القزاز بن من خط أم الغلام والى ذلك الحين كانت الجهة الشرقية من القاهرة فضاء لا بناء فيه الى الجبل وكانت السيول عند اشتدادها تدخل القاهرة فالحاكم بوضع كيمان خلف سور البرقية فصارت التلال الشاهقة التي نراها الآن وعليها بعض طواحين الهواء خلف حارة الدراسة بين القاهرة ومقبرة المجاورين فلما ضرب الدهر ضرباته ألقى جهر كس الخليلي على هذه التلال عظام الفاطميين لما نبش قبورهم كما مر وبني الحاكم أيضا غير ما ذكرناه من العمارات وحذا حذوه الامراء وغيرهم من الناس فكثرت في زمنه المباني داخل البلد وخارجها وكثرت انعاماته فتوقف في امضا ثم أمين الامناء حسين بن طاهر الوزان فكتب اليه الحاكم بخطه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله كما هو أهله أصبحت لأرجو ولا اتقي * الا الهى وله الفضل

جسدى نبى وامامى أبى * ودينى التوحيد والعدل

المال ما ر الله والخلق عيال الله ونحن أمناءؤه في الارض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام الا أنه بسبب ما كان اعتاده من خلل العقل الذي انتهى به الى دعوى الألوهية لم يكن يثبت على أمر بل كان ما ينيه في اليوم يهدمه في الغد وكثر في أيامه الاضطراب والخلل في المصالح العمومية فلما آل الامر بعد وفاته الى ولده أبى الحسن على الملقب بالظاهر لا عزازدين الله كثرت المفاسد وخيفت الطرقات وزال الأمن لا قبالة على الله وشرب الخمر حتى رخص للناس فيه وفي سماع الغناء وأشياء سوى ذلك كانت ممنوعة في أيام أسلافه كشرب الفقاع وأكل الملوخيا وجميع الاممك وزاد السعور وعز وجود الخبز واشتد الغلاء وكثر نقص النيل كل ذلك والظاهر مشغول بذاته لا يصل اليه غير وزرائه ومنع الناس من ذبح البقر اقمته وكثر الاضطراب والخوف في ظواهر البلد وتحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار فاختلف بعضهم على بعض وكثر ذبح طوائف العسكر من الفقرو الحاجة فلم يجابوا وفشت الامراض وكثر الموت في الناس وفقد الحيوان فلم يتدر على دجاجة وعز الماء لقله الظاهر فم البلاء من كل جهة وعرض الناس أمتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها وخرج الحاج فقطنع ثيابهم الطريق بقدر حيلهم من بركة الحاج وأخذت أموالهم وقتل منهم الكثير وكثر الخوف من الدعار التي تكبس الحارات ونهبت الارياف وكثر طمع العبيد ونهبهم وجرت أمور من العامة قبيحة فكانت مدة خلافته من أشنع المدد وفي أيامه حفر البستان المقسى وجعل بركة ماء تلاق من خليج فم الخور الذي هو عند قنطرة الدكة وأصله ترعة صغيرة وكان يسمى أيضا خليج الذكر أوله عند قنطرة الدكة عندما كان النيل بالمقس ولم يزل يمتد مع انحسار النيل حتى صار في أيام الناصر عند قنطرة سيدى أبى العلاء المجاورة لوابور الماء ولما عمل الخليج الناصري صارت فوهة فم الخور منه لقطعه أيامه عن البحر وفي أيامه بنيت خزانة البنود وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع وكانت فيما بين قصر الشوك والمشهد الحسيني ومحلها اليوم منزل الامير أحمد باشا رشيد بتلك الجهة وما جاوره من خط قصر الشوك وفي أيام الخليفة المستنصر بالله كثرت الاضطرابات لكثرة صرفه للوزراء والقضاة ولا يتم ما واختم لاطه بالرعاع وتقدم الاراذل فاشتبهت عليه الامور وتناقضت الاحوال ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة وعسكر الترك وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم وخربت الاعمال وقل ارتضاءها وتغلب الرجال على معظمها مع كثرة النفقات والاستخفاف بالامور وطغيان الاكابر الى أن آل الامر الى حدوث الشدة العظمى فخر بأكثر انفساط والقضاة والمعسكر وكان لهذا الخراب سببان وهما الشدة العظمى ثم الحريق الذي حصل في وزارته شاور في آخر الدولة الفاطمية حين قدم الافرنج للاستيلاء على مصر وكان من أمر تلك الشدة انه لما قوت النتن أيام خلافة المستنصر ارتفعت الاسعار بمصر سنة ست وأربعين وأربعمائة وتبع الغلاء وباع فبعث الخليفة الى ممالك الروم بقطن طينية ان يحمل الغلال الى مصر فاطلق أربعمائة

ألف اردب وعزم على حملها الى مصر فادركه أجدل ومات قبل ذلك وقام من بعده في الملائكة امرأة فكتبت الى المستنصر
تسأله ان يكون عوناً لها وان يمد لها بعضاً كرم مصر اذا ثار عليها أحد فاني فخرت لذلك وعاقبت الغلال عن المسير الى
مصر فغضب المستنصر وجهه والعسا كرو نودى في بلاد الشام بالغزو ووقعت أمور هائلة كرها صاحب الخطط
منها ان الخليفة أمر بالقبض على جميع ما في كنيسة القمامة التي ببيت المقدس وكان ثياباً كثيراً من الادوال فقبض من
حينئذ ما بين الروم والمصريين حتى استولى الروم على بلاد الساجل كلها وحاصروا القاهرة واشتد الغلاء في تلك السنة
وهي سنة سبع وأربعين وأربع مائة وكثر الوفاة بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة أربع وخمسين وأربع مائة وحدثت
الفتنة العظيمة التي تخرب بسببها اقليم مصر كله وسببها ان الخليفة خرج على عادته السنوية على النجب مع النساء
والخدم الى بركة الحب فخر بعض الاثر السيف وهو سكران على أحد عبيد الشرا فاجتمع عليه كثير من العبيد
وقتلوه فمضى لقتل الاثر وساروا بجمعهم الى الخليفة يسألونه هل كان ذلك عن أمره فتبرأ الخليفة من ذلك فاجتمعت
الاثر لمحاربة العبيد فوقع بينهما محاربة شديدة بناحية كوم شريك من مديرية البحيرة قتل فيها كثير من العبيد
وانخرم باقيهم فشق ذلك على والده المستنصر لكونها من جنسهم وكانت هي السبب في كثير من مصر فكانت طمها
الاكثر منهم تشبههم من كل مكان حتى قيل انهم بلغوا اذ ذاك ما ينيف على خمسين ألف عبد وقد أمدهم في تلك الواقعة
بالاموال والسلاح سر او كانت قد تحكمت في الدولة ونفذت كلمتها وحشت على قتل الاثر فوقع الفتنة ثانياً
واستمرت العداوة بين الفريقين الى سنة تسع وخمسين فقويت شوكة الاثر وتعدوا على الخليفة وطلبوا منه الزيادة في
واجباتهم وضاق الحال بالعبيد واشتدت حاجتهم وقل مال السلطان واستضعف جانبه فأغرت أمه العبيد ثانياً بالاثار
فوقع بينهم وقعة بالبحيرة انخرم فيها العبيد الى الصعيد فازدادت قوة الاثر وتعدوهم وكثر أذاهم واستخف رئيسهم
ابن جمدان بالخليفة فأغرت أيضاً باقيهم الموجودين بمصر فوقع بين الفريقين عدة وقعات خارج القاهرة انتهت
بنصرة الاثر فزاد شرهم واستمر الى سنة ستين وأربع مائة فانخرق ناموس الخلافة واستهانوا بالخليفة وصار مقررهم
أربع مائة ألف دينار بعد أن كانت ثمانية وعشرين ألف دينار في الشهر فلما ندموا في الخزانة عثوا بطالاً وبه بالمال فاعتذر
لهم فلم يتقبلوا وألزموه ببيع ذخائره فبيع ما كان في خزانة القصر من الامتعة والجواهر ونقائس الاموال والكتب
وانتهب ما انتهب وقد أظنبت المقرري في الكلام على ذلك ثم سار ابن جمدان الى الصعيد وقاتل العبيد حتى أفنى منهم
الكثير وهزم من بقي منهم وعاد الى القاهرة واستبدت سلطنة مصر ودخلت سنة احدى وستين وهو مستبد بالامر فثقل
مكانه على الاثر فاجتمعوا جميعاً مع العبيد وساروا الى الخليفة فبعث الى ابن جمدان يأمره بالخروج من مصر وتمده
ان لم يخرج فخرج الى البحيرة فانتب الناس دوره ودور حواشيه فلما جن الليل عاد سرا ودخل الى دار القائد تاج الملوك
شادي وتراحي عليه وقبل رجليه فقام لنصرته وحصلت وقعة بين عسا كره وعسا كره الخليفة آل أمرها الى انخرام ابن
جمدان الى البحيرة وكثر النهب واشتد الغلاء والقحط حتى أكل الناس الحليف وقطعت الطرق وكثر القتل فيها الى أن
دخلت سنة ثلاث وستين وأربع مائة فجهز الخليفة جيشاً لقتال ابن جمدان فوقع بينهم حروب انخرمت فيها عسا كره
الخليفة وتلك ابن جمدان جميع الوجه البحري وترك اسم الخليفة انفاطمي من الخطبة وخطب باسم الخليفة القائم
بأمر الله العباسي ونهب أكثر الوجه البحري وقطع الميرة عن القاهرة فظم البلاء واشتدت الجماعة وتزايد الموت وحل
بالناس ما لا يطاق ولا يوصف فاضطر الخليفة الى مصالحة ابن جمدان فصالحه على مال يحمل اليه فاطلق الغلال
فدخلت مصر وبعده شهر وقع الاختلاف بينهما فزحف الى مصر وحاصرها وانتهى أوارق من الساحل دوراً كثيرة
ورجع الى البحيرة في سنة أربع وستين وأربع مائة فتنافق الامر في الشدة وتلاشى ذكر الخليفة فسار ابن جمدان الى
البلدة فملكها وتصرف في أمر الخلافة والخليفة وكانت مدة هذا الغلاء سبع سنين وفارق كثير من الناس البلد
وخرب الفسطاط ولا وضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلي القرافة الى بركة الحبش وانتشرت الفتن بكافة
أنحاء القطر وملك عرب لوانة الريف وصار الصعيد يدي العبيد فكتب الخليفة المستنصر الى أمير الحيوش أبي
النجم يدركه الى نائب عكا وقتئذ يستدعيه ليكون القائم بتدبير دولته فحضر من البحر بعسكر جرار وسار حتى دخل
القاهرة وقبض على الامراء وقتلهم وأقام مقامهم سواهم من رجاله وتبع المنسدين في كل جهة من جهات مصر من

الاقاليم البحرية والقبالية من العرب وغيرهم حتى أفناهم عن آخرهم واستصفي أموالهم فاستقامت الاحوال
 واستتب له الامور وأراح الفلاحين من الاموال ثلاث سنين حتى صلت أحوالهم وحسنت حال مصر والقاهرة ولما
 سكن أمير الجيوش بدر الجمالي القاهرة فوجدها غير عامرة فامر الناس من العسكر والارمن وغيرهم ان يعمر كل من
 وصلت قدرته الى عمارة ماشاء في القاهرة من أنقاض ما تخرب من النسطاط فأخذوا في نقل أنقاض ظاهر مصر مما
 بلى القاهرة حيث العسكر والقطائع فصار محاطا فضاء وتلا بين مصر والقاهرة وكذا بينهما وبين القرافة وأكثر
 الناس من عمارة الدور وغيرها في القاهرة وسكنوا ما واتسعت دائرة العمارة وسكنها أصحاب الساطن الى انقراض
 الدولة الفاطمية والى ذلك الوقت كان البر الغربي للخليج خاليا من البناء البتة وكانت بركة الازبكية بعضها بستان
 وبعضها بركة في بحريه ودرت في الشدة العظمى ثم بنت طائفة من العبيد حارة في بر الخليج الغربي تجاه اللؤلؤة عرفت
 بحارة اللصوص سكنها المبيد من طوائف العسكر وغيرهم وهجرت بركة الازبكية وصارت موحشة بعد ان كانت من
 أجل المتزعات وكثرت المباني خلف السور من الجهات الثلاث القبالية والشرقية والبحرية فبنى الوزير بدر الجمالي أمير
 الجيوش عليهم اسورا جديدا يدور بها الابواب الثلاثة الموجودة الآن وهي أبوابه باب النصر وباب الفتوح وباب
 زويلة كلها من انشاء أمير الجيوش المذكور وكانت في ذلك السور وصارت مساحة القاهرة اربعة مائة فدان
 بعد ان كانت عند وضعها ثلثمائة وأربعين فداناً كما قدمنا وما حدث من البناء بين السورين القديم والجديد
 سمى بين السورين وفي وزارة أمير الجيوش بنيت دار المظفر وصارت دار وزارة وسكنها أمير الجيوش في أيام وزارته
 ومن بعده صارت الى برجوان ثم هي الآن حلة بيوت وحارات وقد بينا كلاً في محله من هذا الكتاب وأحدث
 المستنصر بستانا خارج باب النصر وأحدث أمير الجيوش سوقاً في أول الشارع الموصل الى باب القنطرة عرفت
 بسوق قسمة أمير الجيوش وعرف الشارع بشارع أمير الجيوش ثم حرفته العامة بمرجوش وفي وزارة الفضل أبي
 القاسم شافنا بعد وفاة والده أمير الجيوش بدر الجمالي بنيت دار الوزارة الكبرى ومحاطها الآن من حارة المبيضة الى
 حارة الجوانية واستمرت كذلك الى آخر الدولة الفاطمية وكانت تعرف بدار القباب وفي سنة احدى وخمسمائة بنى
 الفضل دار الملك بالساحل القديم للنيل بآخر مصر العتيقة وانتقل اليها وجعل بها مجلس فيه سماء مجلس
 العطايا وأمر بتفصيل ثمانية ظروف من دينار سكبوا وبطاقة بوزنه وعدده وشرا بركة كبيرة من ذلك ستة ظروف ودينار
 الفين وعن الشمال في ذلك المجلس وظرفان عندهم تبة الفضل بقاعة اللؤلؤة أحدهما دنائير والاخر دراهم جدد
 فالذي في اللؤلؤة برسم ما يستدعيه الفضل اذا كان عند الحرم والذي في مجلس العطايا كان يصرف منه للشعراء اذ لم
 يكن للشعراء في الايام الماضية ولا فيما قبلها من ثبات على الشعر وانما كان الامر أنه اذا اتفق ان السلطان طرب
 من شعراء ادهم واستحسنه أعطاه ما يسره الله على حكم الجائرة فرأى القائد ان يكون العطاء من تلك الظروف وكذا
 يصرف منها لمن يسأل الصدقة وما ينعم به ابتداء من غير سؤال واذا انصرف الحاضرون أنزل المبلغ المنصرف في
 البطاقة بخط وكتب عليه صح وأحس ما بقى وأكمل الظرف وختم عليه وهكذا وأنشأ الفضل أيضاً بظاهر القاهرة
 من جهة البحريه بجانب الخليج الغربي منظره البقل وكانت في المحل السكان تجاه قنطرة الاوز وأغلب ما دخل الآن
 في اترعة الاسماء عليه وباقيها صار بعضه بركة وبعضه تلاويح وبعدها كانت منظره التاج ثم قبلة الهواء ثم منظره
 الخمس الوجوه وهي الارض التي بين الامير ابراهيم باشا ادهم الآن من أرض مهمشاو كان لكل منها بستان أتيق
 يطل على النيل أنشأ أيضاً منظره باب الفتوح فيما بين البساتين الجيوشية ومحل هذه المنظره
 الارض المرتفعة التي بنيت فوقها المنازل في وسط شارع أبي قسمة بجري الحمام الموجود في الحسينية وكانت
 من المناظر الفخيمة وكانت البساتين الجيوشية ممتدة أولها من زقاق الكحل المعروف الآن بشارع الدشوطى
 وآخرها منية مطروهي المنظرية اليوم والبساتين والمزارع الموجودة الآن خارج باب الحسينية هي بعض منها
 وفي زمن الفضل صارت دار برجوان دار الضيافة وبقيت كذلك الى آخر الدولة الفاطمية ثم بنى الفضل جامع
 الفيلة ومسجد الرصد عند بركة الحبش وكان محل هذا المسجد البقعة المعروفة بالرصد وهو شرف يطل من غربيه

على خطة راشدة ومن قبليه على بركة الحبش وهي أراضى قرية البساتين بحسبه من يراد من جهة راشدة جبلا وهو من شرفيه سهل يتوصل اليه من القرافة بغرصة عود وهو محاذ للشرف الذى كان من جملة المسكر وهو الشرف الذى يعرف بالكبش **و** كان الجبل الذى بنى فوقه المسجد المتقدم ذكره يقال له قديما الحرف ثم عرف بالرصد من أجل أن الأفضل جعل فوقه كوة لرصد الكواكب فعرف من حينئذ بالرصد وأول ما جعلوه فوق سطح جامع القبلة ولما وجدوا المشرف لأول بروز الشمس مسدودا اتفقوا على نقل الآلات إلى المسجد الجيوشى مجاورا للانطاكي المعروف أيضا بالرصد وكان الأفضل ينهأ أحسن من جامع القبلة ولم يكمل فلما صار برسم الرصد كمل فحضر الأفضل في نقل الحلقة من جامع القبلة إلى المسجد الجيوشى ثم رصدوا الشمس بعدد كلفة فلما قتل الأفضل سنة خمس عشرة وخمسمائة وتمت الوزارة للمأمون البطائحي أحب أن يتم جميع الأعمال وأن يقال له الرصد المأمونى المصحح كما قيل للأول الرصد المأمونى الممتحن فأخرج الأمر بنقل الرصد إلى باب النصر بالقاهرة فنقل بعد اتعاب وعناء شديد فلما أراد الله وبقي المأمون قليلا اكمل جميع رصد الكواكب لكنه قبض عليه يوم السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة وكان من جملة ما عهد من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاجتهاد فيه وقيل أطمعته نفسه في الخلافة فسماه الرصد المأمونى ونسبه إلى نفسه ولم ينسبه إلى الخليفة الأمر بأحكام الله فلما قبض عليه بطل وانكر الخليفة على عمله فلم يجسر أحد أن يذكره وأمر بكسره فكسروا وحمل إلى المناخت وبالجمله فقد اعتنى الأفضل بالعمارة وبنى المباني الفاخرة والمناظر الباهرة وفي زمنه عمات البساتين الفاتكة في جهات متعددة في ضواحي مصر فكانت البساتين تحيط بالقاهرة من جميع جهاتها وفي بعضها القصور والمناظر الفاخرة وفي أيام وزارة الأفضل مات المستنصر وتولى من بعده ابنه المستعلي بالله أبي القاسم أحمد وكان القائم بالأمور كالأفضل وفي زمن المستعلي انقطعت الخطبة للناظميين من دمشق وخطب بهم العباسيين وخرج الأفرنج من القسطنطينية لآخذ سواحل الشام وغيره من أيدي المسلمين فلما كوا انطاكية وكان بينهم وبين عساكر مصر حروب كثيرة ولما مات المستعلي بالله تولى ابنه الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور وهو طفل له من العمر خمس سنين وأشهر وأمامه كان ذلك في سنة تسعين وأربعمائة وكان أمر الدولة إلى الأفضل بن أمير الجيوش إلى أن قتل فاستوزر بعده القائد أبا عبد الله محمد بن فاتك البطائحي وألقبه بالمأمون فقام بأمر الدولة إلى أن قبض عليه في سنة تسع عشرة وخمسمائة فتفرغ الأمر لنفسه ولم يبق له ضد ولا من أحجم وكان كثير الترهة ومحبة المال والزينة وكانت أيامه كلها الهوا وعيشته راضية لكثرة عطائه وعطاء حواشيه وكان أمر شديد السمرة يحفظ القرآن ويكتب خطا ضعيفا وهو الذي جدد رسوم الدولة وأعاد إليها مجتها بعدما كان الأفضل أبطل ذلك ونقل الدواوين والاسمطة من القصر بالقاهرة إلى دار الملك بمصر وهو الذي أمر بإنشاء المراكب والشواني بصناعة مصر وكانت المراكب إلى وقتها تصنع بالجزيرة وأضاف إلى الصناعة التي كانت في الساحل من إنشاء الأمير أبي بكر محمد بن طنجج الأخشيدي دار الزيب وأنشأ بها منظره لجاوس الخليفة وكان بهذه الصناعة ديوان الجهاد وفي زمن ابن طولون كان محله دار خديجة بنت الفرج بن خاقان امرأة الأمير أحمد بن طولون فلما زال ملك بني طولون أخذها الأمير أبو محمد الأخشيدي وعماله دار صناعة وقد بقيت بعده مستعملة يجلس بها الملوك والسلاطين إلى سنة سبع مائة من الهجرة فعملت بستانا عرف ببستان ابن كيسان ثم عرف بعد ببستان الطواشي وكان ما بين هذه الصناعة والروضة بحرا ثم تربي جرفا عرف بموضعها بالحرف وأنشئ هنالك بستان عرف ببستان الحرف وقيل لهذا الحرف بين الزقاقين وكان فيه عدة دور وحمامات وطواحين ثم خرب في سنة ستة وخمسمائة وخرب ببستان الحرف أيضا وإلى وقت المقرري كان لبستان الطواشي بقية وهو على يسرة من يريد مصر من المراجعة وبظاهرة حوض ما ترده الدواب ومن وراء البستان كمان فيها كنيسة للنصارى (قلت) ولم تزل الكنيسة باقية إلى الآن على عيين السالك إلى زين العابدين من الطريق الواقع تجاه قنطرة السد وبستان الطواشي أيضا الآن بعض أرض خربة خلف التلال في أيدي ورثة الشيخ علي العدوي خادم السيدة زينب رضی الله عنها والبعض فيه أما كن من خط السيدة زينب أيضا وبعضه التلال التي على عيين السالك من مصر العتيقة إلى السيدة زينب كما أن على يساره موضع بستان الحرف وفيه الآن المنازل والأزقة الموجودة بخط السيدة زينب رضی الله عنها شرق الخليج وفي موضع الحوض المتقدم ذكره زاوية

الحبيبي الموجودة الآن وفي أيام الخليفة الآخر بإحكام الله ملك الأفرنج كثير من المعاقل والحصون بسواحل الشام
فلاكت عكا وغزة وطرابلس وبناس وجبيل وغيرها من البلاد ومع ذلك كانت أحوال مصر راكبة والعمارة في
مصر والقاهرة في ازدياد لا سيما في وزارة البطائحي فهو الذي أعاد بركة الأزبكية وجعل بها الماء بعد حفرها وتعميقها
وسميت من وقتئذ بركة بطن البقرة وبني دار الذهب بخط بين السورين وكانت مطلة على الخليج وبني له دار اتجاه
خزانة الدرق وهي التي بعلمها يوسف صلاح الدين مدرسة عرفت بالمدرسة السيوفية كما في الخطط وبعضها الآن
جامع الشيخ مطهر من شرق وأعاد في زمنه سكنى الخليفة بمنظرة اللؤلؤة وعمرها وعمر منظرة الغزالة على الخليج وبني
للمصامدة (وهي فرقة من العساكر الفاطميين) خارج باب زويلة حارة عرفت بحارة المصامدة والآن تعرف بحارة
درب الاغوات وعمرت الناس البيوت في الشارع الأعظم حتى صارت مصر والقاهرة لا يتخللها ما خراب وبني الناس
من الباب الجديد حيث درب الدالي حسين إلى باب الصفا حيث كوم الجمارح ولما بني الصالح طلائع جامع معه كان خط
الدرب الأحمر وما بعده إلى القلعة خرابا جميعه لا بناء فيه إلى ما بعد سنة خمس مائة ثم صارت الناس يقيمون موتاهم من
خلفه إلى جامع ابن طولون وفي زمن الآخر بإحكام الله بني الجامع الأقرو وبني دار الضرب التي محلها الآن في أول حارة
الصناديقية على بين السالك إلى الأزهر وبني في جزيرة الروضة الهودج وأسكن به محبوبته البدوية وبني المأمون
البطائحي أيضا دار العلم الجديدة خارج القصر واليوم محلها وكالة سليمان أغا السلاح دار الكبيرة التي تجاه خان
الخليلي واستجد أيضا بالمناخ السعيد طواحين برسم الرواق وموضعها الآن صدر حارة المبيضة وما وراء ذلك من
حارة العطوفية وبني فوق أبواب القصر مناظر أحدها فوق باب الذهب كان يجلس بها الخليفة لعرض الجيوش
وكانت تسمى الزاهرة واثنان من داخل القصر وهما الناضرة والناصرة ولما قتل الآخر بإحكام الله أقام برغش
وهزار الملوك الأمير أبا الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله في دست الخلافة ولقباه بالحافظ
لدين الله وأنه يكون كفيلا منتظرا في بطن أمه من أولاد الآخر وكان عبد المجيد قد ولد بعسقلان سنة سبع وقيل ثمان
وتسعين وأربع مائة لما أخرج المستنصر ابنه أبا القاسم مع بقية أولاده في أيام الشدة فلذلك كان يقال له في أيام الآخر
بإحكام الله (الأمير عبد المجيد العسقلاني ابن عم مولانا) فلما أفضى إليه الأمر على ما ذكر استقر هزار الملوك المقدم
ذكره في الوزارة إلى أن قام العسكر ونهبوا شارع القاهرة وقتلوا الوزير هزار الملوك ولوا عوضه أبا علي بن الفضل
وذلك كله في يوم واحد واستبدأ أبو علي بالوزارة فقبض على الحافظ وحبس مقيدا فاستمر إلى أن قتل أبو علي سنة ست
وعشرين وخمس مائة فخرج من معتقله وأخذ له العهد على أنه ولي عهد كفيلا لمن يذ كر اسمه فالتحق الحافظ هذا اليوم
عيد اسماء عيد النصر وصار يعمل كل سنة ونهبت القاهرة يومئذ وقام يانس صاحب الباب بالوزارة إلى أن هلك بعد
تسعة أشهر فلم يستوزر الحافظ بعده أحد أو تولى الأمور بنفسه إلى سنة ثمان وعشرين وخمس مائة فقام ابنه سالم
ولي عهده بمقام وزير فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات فجعل مكانه ابن جريدة فخلق ابنه حسن وسار بالفتنة وانتهى
أمره بالقتل فلما قتل حسن قام بهرام الأرمني وأخذ الوزارة سنة تسع وعشرين وخمس مائة وكان نصرانيا فاشتد ضرر
المسلمين من النصارى وكثرت أذيتهم فسار رضوان بن ونحشى وهو يومئذ متولى الغربية وجع الناس لحرب بهرام
وسار إلى القاهرة فانهزم بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة فأوقع
بالنصارى وأذلهم فشكره الناس على ذلك لأنه كان خفيفا عجولا فأخذ في إهانة حواشي الخليفة وهم بجناحه وقال
ما هو بامام وانما هو كفيلا لغيره وذلك الغير لم يصح فتوحش الحافظ منه ولم يزل يدبر عليه حتى ثارت فتنة انهزم فيها
رضوان وخرج إلى الشام فجمع جماعة وعاد سنة أربع وثلاثين وخمس مائة فجهز الحافظ له العساكر لمحاربتهم
فقاتلهم وانهم هزم منهم إلى الصعيد فقبض عليه واعتقل فلم يستوزر الحافظ بعده أحد وفي سنة اثنين وأربعين
خاص رضوان بالهرب من معتقله بالقصر وخرج من نهب وثار بجماعة وكانت فتنة آلت إلى قتله وهكذا كانت الفتنة
تتكرر حتى مات في أحد أها الحافظ سنة أربع وأربعين وخمس مائة وفي أيامه بني الوزير يانس الحارة اليانسية
لعساكره خارج باب زويلة وولى الخلافة بعد الحافظ ابنه الظافر بأمر الله أبو منصور اسمعيل فأقام أربع سنين
وبعض الخامسة ثم قتل وكان محكوما عليه من الوزارة وفي أيامه أخذت عسقلان وظهور الخلال في الدولة وكان كثير

الله هو اللعب وهو الذي أنشأ الجامع الآخر الذي عرف بالطافري وجامع الفاسكهين ويعرف الآن بجامع
 الفاكهاني في شارع العقادين ولما قتل الطافري ولي الخلافة بعده ابنه الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى الفائز وبني
 المسجد الحسيني داخل باب الديلم من أبواب القصر لما نقل الوزير الصالح طلائع بن رزيك الرأس الشريف من
 مسجد عقلا ن ودخل به القاهرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ووضعه بمكان من البستان الكافوري ثم نقله إلى
 المشهد وكان المرور بالرأس الشريف من السرداب المتصل بالقصر والبستان الكافوري وكان دفنه بموضعه الآن
 وبني أيضا جامع الصالح طلائع خارج باب زويلة لجعله مدفنا للرأس الشريف فلم يكنه أهل القصر من ذلك وحدثت
 حارة الصالحية ولما مات الفائز أقام الصالح بن رزيك في الخلافة بعده العاضدين الله وكان عمره إحدى عشرة سنة
 وقام الصالح بتدبير الأمور إلى أن قتل في رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة فقام من بعده ابنه رزيك بن طلائع
 وحسنت سيرته فعزل شاور بن مجير السعدي عن ولاية قوص فلم يقبل العزل وحشد دوسار على طريق الواحات في
 البرية إلى تروجه (وهي بلدة قديمة بديرية البحيرة صارت الآن خرابا) فجمع الناس وسار إلى القاهرة فلم يثبت
 رزيك أن فرقة بعض عليه باطفيح واستقر شاور بن مجير السعدي في الوزارة إلى أوائل صفر سنة تسع وخمسين
 وخمسمائة والخليفة يومئذ العاضدين الله عبد الله بن يوسف اسم لا معنى له وتلقب شاور بأمير الجيوش وأخذ أموال
 بني رزيك وأقام في الوزارة إلى أن ثار ضرغام صاحب الباب ففر منه شاور إلى الشام واستتب ضرغام بسلطنة مصر
 فكان بمصر في هذه السنة ثلاثة وزراء هم العادل بن رزيك بن طلائع بن رزيك وشاور بن مجير وضرغام فأساء ضرغام
 السيرة وقتل أمراء الدولة فضعفت بسبب ذهاب كبارها فقدم الأفرنج وخاربوا مدينة بلبليس مدة ودافعهم المسلمون
 عدة مرات حتى عادوا إلى بلادهم بالساحل ورجع العسكر إلى القاهرة وقتل منهم كثير ثم انشاور واستنجد بالسلطان
 نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فأنجده وبعث معه عسكرا كثيرا في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين
 وخمسمائة وقدم عليه أسد الدين شيركوه على أنه يكون لنور الدين إذا عاد شاور لمنصب الوزارة ثلاث خراج مصر
 بعد اقطاعات العساكر وأنه يكون شيركوه عنده بعساكره في مصر ولا ينصرف إلا بأمر نور الدين ووصل بعساكر
 الشام فخار به ضرغام على بلبليس بعساكر مصر مرارا وانهم زموا في آخرها وغنم شاور ومن معه سائر ما خر جوابه
 وكان شيئا جليلا فسر وأبذل وساروا إلى القاهرة ونزل عن معه عند التاج وهي أرض إبراهيم باشا أدهم بالمهمشة
 وحصلت وقعة بين الفريقين في أرض الطبالة وهي أرض الفجالة ثم انتقل شاور إلى المقس عند أولاد عنان فخار به
 أهل القاهرة فانهم زمو وقام على بركة الحبش وهي أرض قرية البساتين واستولى على مدينة مصر فإل الناس إليه
 وانحرفوا عن ضرغام فقام شاور ونزل بالقوق وكانت حروب آلت إلى احراق الدور من باب سعادة إلى باب القنطرة
 ثم كانت بين الفريقين حروب أيضا آلت إلى هزيمة ضرغام وقتله في شهر رمضان من أفاستولى شاور على الوزارة مرة
 ثانية واختلف مع الغز القادمين معه من الشام وكانت له معهم حروب واحترق وجهه الخلع خارج القاهرة بأسره
 وقطعة من حارة زويلة وبعث شاور إلى مري ملك الأفرنج يستدعيه إلى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه
 من الغز فحضر وقد سار شيركوه إلى مدينة بلبليس وترك حصار القاهرة فخرج شاور من القاهرة ونزل هو ومري
 على بلبليس وحاصرا شيركوه ثلاثة أشهر وبلغ ذلك لنور الدين فأغار على ما قرب من بلاد الأفرنج وأخذها من أيديهم
 فخافوه ووقع بينهم الصلح فسار شيركوه بالغز إلى الشام ورحل الأفرنج وعاد شاور إلى القاهرة سنة ستين وخمسمائة
 فلم يزل إلى أن قدم شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية يريد أخذ مصر فخرج شاور من القاهرة إلى لقائه واستدعى
 مري ملك الأفرنج فسار شيركوه على الشرق وخرج من اطفح وقصد بلاد الصعيد فسار إليه شاور بالأفرنج وكانت
 له معه وقعة عظيمة فسار شيركوه بعد الوقعة من الاسكندرية وأخذ الاسكندرية وعاد شاور إلى القاهرة وخرج شيركوه
 من الاسكندرية بعد أن استخلف عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يزل يسير من الاسكندرية
 إلى قوص وهو يحجب البلاد فخرج شاور من القاهرة بالأفرنج ونازل الاسكندرية فبلغ شيركوه ذلك فعاد من قوص
 إلى القاهرة وحاصرها ثم كانت أمور آلت إلى مسير شيركوه وأصحابه من أرض مصر إلى الشام في شوال وقد طمع
 الأفرنج في البلاد واستلموا أسوار القاهرة وأقاموا فيها ثكنة معه عدة من الأفرنج لمقاسمة المسلمين ما يتحصل من مال

البلد والذي تقرر لهم في كل سنة مائة ألف دينار وفخشا أمر شاور وساءت سيرته وكثر تجرؤه على الدماء واتلافه
للأموال فلما كانت سنة أربع وستين وخمس مائة قوى تمكن الأفرنج من القاهرة وجاروا في حكمهم ما أوأهانوا
المسلمين بأنواع الاهانة وتيقنوا بحجز الدولة عن مقاومتهم فسار مري يريد أخذ القاهرة ونزل على مدينة بليس
وأخذها عنوة وسبي أهلها وقصد القاهرة فكتب العاضد إلى نور الدين محمود بن زنكي يستصرخه ويحثه على نجدة
الإسلام وانقاذ المسلمين من الأفرنج وجعل في كتبه شعور نسائه وبناته فجهر بأسماء الدين شيركوه في عسكر كثير
وجهزهم وسيرهم إلى مصر وكانت عسكر الأفرنج قصدت النزول على بركة الحبش وقد انضم الناس من الأعمال إلى
القاهرة فنادى شاور بعصرانه لا يقيم بها أحد وأزعج الناس في النقلة منها فتركوا أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم
وأولادهم وقدماء الناس واضطربوا فكاثروا من قبورهم إلى المحشر لا يعبأ بالدولاه ولا يلتفت أخ لاخيه
وبلغ كراء الدابة من مصر إلى القاهرة بضعة عشر دينارا وكراء الجمل ثلاثين دينارا ونزلوا بالقاهرة في المساجد
والحمامات والأزقة وعلى الطرقات مطروحين بعيالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم ينتظرون هجوم العدو
على القاهرة ليسيف كما فعل بمدينة بليس وبعث شاور بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك
فيها فارتفع لهيب النار ودخان الحريق إلى السماء فصار منظرها هائلا فاستمرت النار تأتي على مساكن مصر من اليوم
التاسع والعشرين من صفر لتمام أربعة وخسين يوما والنهاية من العبيد ورجال الأسطول وغيرهم بهذه المنازل في
طلب الخبايا ورحل مري ونزل بساب البرقية وهو باب الغريب وقابل أهله اقما لا شديدا حتى كاد يأخذها عنوة فسار
إليه شاور وخادعه حتى رضى بحال يجمعه له فشرع في جبايته واذا بالخبر ورد بقدم شيركوه فخرج الأفرنج عن
القاهرة ونزل شيركوه على القاهرة بالغز ثالث مرة فخلع عليه العاضد وأكرمه وأخذ شاور يقتل بالغز على عادته
فقتلوه وتقدم شيركوه وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة أيام ومات ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين
يوسف بن أيوب فأمر بإحضار أعيان أهل مصر الذين رحلوا عن ديارهم في الفتنة وساروا إلى القاهرة وأمرهم بالعود
فتمردى في الناس بالرجوع إلى مصر فراجع الناس قليلا وعمر واحول الجامع ولكن لم تسكمل العمارة ولم تطل المدة
وتوالت المحن والشدائد إلى أن كانت المحنة من الغلاء والوباء في سلطنة الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب سنة خمس
وستين وخمس مائة فخرّب من مصر جانب كبير ثم تحايا الناس وأكثر وامن العمارة بجانب مصر الغربي على شاطئ
النيل لما عمر الملك الصالح نجم الدين قلعة الروضة وفي سلطنة الملك العادل كتبت سنة ست وتسعين وسقانة خرب
كثير من مساكن مصر بسبب الوباء الذي حصل ثم تراجع الناس بعد سنة تسعة وأربعين وسبع مائة ثم حدث القناء
الكبير فخرّب أكثر المنازل ثم تحايا الناس إلى سنة ستة وسبعين وسبع مائة فشرقت بلاد مصر وحصل الوباء بعد الغلاء
فخرّب أكثر العامر إلى سنة تسعين وسبع مائة فعظم الخراب وشرع الناس في هدم الدور حتى صارت تلالا كما ترى وأما
القاهرة المحروسة فانها وان كانت بخراب الفساط قد غت فيها العمارة واتسعت دائرتها يقال من اتقى الله من
كان بالفساط وغيرها إلا أنها حصل فيها كثير من التقلبات السياسية والتغيرات الدولية بتعاقب المسولون وتداول
الدول كما سيذكر فإن صلاح الدين من حين أخذ بزمام الأحكام وإدارة الأمور أخذ يدير في إزالة الدولة الفاطمية
والتمهيد للدولة الكردية والخلافة العباسية فبذل الأموال وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال فلم يزل أمره
في ازدياد وأمر العاضد في نقصان وصار يخطب بعد العاضد للسلطان محمود بن نور الدين وأقطع أصحابه البلاد وأبعد أهل
مصر وأضعفهم واستبد بالأمور ومنع العاضد من التصرف حتى تبسّين للناس ما يريد من إزالة الدولة فقامت عبيد
الدولة عليه فهزمهم وأبادهم وأقتلهم ومن حينئذ تلاشى العاضد وأضعف أمره ولم يبق له سوى القامسة ذكره في
الخطبة ولوقعة العبيد هذه خبر طويل ذكره في الخطط ومخلصه ان مؤتمن الخلافة جوهر أحد الاستاذين المحنكين
بالقصر تحدث في إزالة صلاح الدين يوسف بن أيوب من وزارة الخليفة العاضد لدين الله عندما ضيق على أهل القصر
وشدد عليهم واستبد بالأمور والدولة وأضعف جانب الخلافة وقبض على أكبر الدولة فصار مع جوهر عدة من الأمراء
المصريين والجنود واتفق رأيهم على أن يبعثوا إلى الأفرنج ببلاد الساحل يستدعونهم إلى القاهرة حتى اذا خرج
صلاح الدين لقتالهم بعسكره ثاروا عليه وهم بالقاهرة واجتمعوا مع الأفرنج على إخراجهم من مصر ووقف صلاح الدين

على هذا الخبر تخاف مؤمن الخلافة ولزم القصر وامتنع من الخروج منه فاعرض صلاح الدين عن ذلك بجملة وطال الامر فظن الخصى انه قد أهمل أمره فصار يخرج من القصر وكانت له منظرة بناحية الخرقانية في بستان نخرج اليها في جماعة وبلغ ذلك صلاح الدين فانهمض اليه عدة هجم واعليه وقتلوه واجتزوا رأسه وأتوا به الى صلاح الدين واشتهر ذلك بالقاهرة وأشيع فغضب ~~الملك~~ المصريون وثاروا بأجمعهم في سادس عشر ذى القعدة سنة اربع وستين وخسمائة وقد انضم اليهم عالم عظيم من الامراء والعامة حتى صاروا ما ينق على خسين ألفا وساروا الى دار الوزارة وفيها يومئذ صلاح الدين وقد استعدوا بالاسلحة فبادر شمس الدولة نحر الدين توران شاه أخو صلاح الدين وخرج في عساكر الزوركب صلاح الدين وقد اجتمع اليه طوائف من أهله وأقاربه وجمع الغزورتهم ووقع بينهم وبين العبيد وقعة بين القصرين وكانت الهزيمة تكون على الغزول لان ثبت صلاح الدين وأخوه وقصد حرق المنظرة التي بها الخليفة لميل أهل القصر للعبيد وساعدة الخليفة اهتم فعند ذلك خاف الخليفة وفتح باب المنظرة زعيم الخلافة أحمد الاستاذين وقال بصوت عال أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب أخرجوه من بلادكم فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم ووضع الغزفيهم السيف فقتل منهم الكثير وانهمزموا الى السيوفيين بقرب الغورية وهناك قتل منهم العدد الوافر كلادخلوا مكانا حرقوه عليهم وهكذا حتى صاروا الى باب زويلة فوجدوه مقذرا فلم يجدوا مخلصا ووقع فيهم القتل من كل ناحية وطلبوا الايمان فأنهم صلاح الدين وفتح الباب فخرجوا الى الجيزة واقتبى أثرهم حتى أفناهم عن آخرهم وعسكر بعد ذلك صلاح الدين من الديار المصرية وصار هو الحاكم المستبد يفعل ما يشاء وصار يوالي الطلب من العاضد في كل يوم ليضعفه حتى أتى على المال والخيل والرقيق وغير ذلك ولم يبق عند العاضد غير فرس واحد فطلبه منه وأجاءه الى ارساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت وصار لا يخرج من قصره البتة وتتبع صلاح الدين جند العاضد وأخذ دورا الامراء واقطاعاتهم فوهمها لاصحابه وبعث الى أبيه وأخوته وأهله فقدموا اليه من الشام فلما كان في سنة ست وستين وخسمائة أبطل المكوس من ديار مصر وهدم دار المعونة بمصر وعمرها مدرسة للشافعية وأنشأ مدرسة أخرى للمالكية وعزل قضاة مصر الشيعية وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي وجعل اليه الحكم في اقليم مصر كله فعزل سائر القضاة واستناب قضاة شافعية وعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة خطبتين للجمعة في بلاد واحد كما هو مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقرها بالجامع الحاكمي من أجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين اسستولى السلطان صلاح الدين الى ان أعيدت الخطبة في أيام السلطان الظاهر بيبرس وبطلت قضاة الشيعة اختفى مذهبهم ونظاير الناس بمذهب مالك والشافعي وأخذ صلاح الدين في غزو الافرنج وعاد منه وراو عمر سور الاسكندرية وسير توران شاه الى الصعيد فأوقع بأهل الصعيد وأخذ منهم ما لا يمكن وصفه كثرة وعاد فكثرت القول من صلاح الدين وأصحابه في ذم العاضد وتحدثوا بخلعه واقامة الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر ثم قبض على سائر من بقي من أمراء الدولة وأرسل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة فأصبحت في البلاد من العويل والبكاء ما يذهل العقول وخرج أصحابه في البلاد وأخرج اقطاعات سائر المصريين لاصحابه وقبض على بلاد العاضد ودومع عنه سائر مواده وقبض على القصور وسلمها الى الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسدي وجعل له زماماتها فاضيق على أهل القصر وصار العاضد معتقلا تحت يده وأبطل من الاذان حتى على خير العمل وأزال شمس الدولة وقطع الخطبة للعاضد فرض العاضد ومات وعمره احدى وعشرون سنة الا عشرة أيام في ليلة عاشوراء سنة سبع وستين وخسمائة بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستجد العباسي بثلاثة أيام ويقال ان اسمه انما قطع من الخطبة بعد موته وكان العاضد كرمي بالين الجانب مرت به مخاوف وشدة اند وقتن التي الى انقراض ملكه وانقرضت دولة الفاطمية بانقراضه ومما تلى عليك من أخبار تلك الدولة تعلم ان القاهرة في مدة خلافة الفاطميين التي هي عبارة عن مائتي سنة وثمان سنين كانت تتسع في مدة كل خليفة بما يستجد داخلها وخارجها من المباني الباهرة والبساتين المزهرة والقصور المشيدة والمناظر البديعة حتى بلغ أول العمران المطرية وآخره دير الطين بحيث لا ترى فاصلا بين البساتين والمدينة والعمائر بل كان يظهر للناس ان الكل مدينة واحدة فكان من يذهب من المطرية الى دير الطين

لم يزل بين قصور عاصمة وبساتين مزهرة وحدائق باهرة تدهش الناظر وتشرح الخاطر والنيل من بعد عن يمينه
غربي تلك الاماكن والجبل عن شماله مطلاً كملتفرج على جبال تلك المحاسن الا انه موصول عنها بقضاء واسع
أحدث فيه بعد ذلك قراية المجاورين وما قاربها وبالقصر - بل كان الذهاب بعد أن يبارق عين شمس وهي المطرية
يمر بقرية الخندق وهي ناحية سيدي الدرداش رضى الله عنه ويرى وسط البساتين قرية كوم الريش غربيها محل
الزاوية الحمراء الآن ثم يكون بين البساتين السلطانية والمناظر الجميلة الاميرية الى ان يصل الى الميدان الكبير
المعد لعرض المساكن التي تسافر الى الجهاد امام بابي النصر والفتوح محل المقابر المجاورة للشيخ يونس رضى الله عنه
وما حوله من التلال الآن وبه يتصل سور البلد في وصل السور سار بطول الخليج ورأى عن يمينه بالساحل الشرقي
للنيل قرية أم دين والى جانبها دار الصناعة وقصر الخلداء المعد لخدمتهم عند سفر الاسطول وبعد ذلك من الجهة القبالية
بستان الدكة وقصرها على النيل أيضا وهو الذي كان يجلس فيه الخليفة عند عودته من كسر جسر الخليج كل عام
وبستان المقس وغيرها من البساتين المعجبة الى ساحل النيل يتخللها قصور ومناظر تروق حسنا وجمالا وبهجة وكالا
وعن شماله منظره اللؤلؤة محل مسجد الامام الشعرا في والبستان الكافوري والميدان الكافوري وعدة قصور ومناظر
تشرف عليها وعلى الخليج ويرى النيل من بعد واذ احاذى باب زويلة وجد عن شماله بالساحل الشرقي للخليج بركة
الفيصل محيطها اربعة بساتين ومبان وعن يمينه بالساحل الغربي للخليج بستان الزهري ويمتد من بستان العدة الى
قنطرة السباع وتمتد البركة والبساتين المحيطة به من باب زويلة الى قلعة الكبش الى خط السيدة زينب والى السيدة
نفيسة رضى الله عنهما وقد حكر كل ذلك فيما بعد وصار حارات كما ترى ومتى قطع تلك الاماكن ووصل الى خط السيدة
زينب رضى الله عنها رأى عن شماله منازل العسكر ومناظر الكبش وجبل يشكر مطلة على بركة الفيصل وبركة
البغلة وكانت من بركة الفيصل وحولها البساتين تحت الكبش ومحل كل ما ذكره والمباني الموجودة في خط السيدة
زينب رضى الله عنها والتلال الموجودة الآن بعد باب السد ويرى من بعد قبة الهواء محل القلعة ومن تحتها ميدان
ابن طولون وبستانا محل الرملة متصل بالقطائع وعن يمينه ما على ساحل النيل من البساتين ومتى قطع منازل
العسكر ووصل الى قرب محل جنينة السادات الآن الكائنة بطريق مصر العتيقة رأى الفسطاط تشرف على
النيل وامامها جزيرة الروضة المسماة الآن بالنيل وبها من القصور والبساتين ما لا يحصى كثرة ولا يوصف حسنا
وخلفها النيل وقبل الفسطاط بركة الحبش وحولها البساتين المطلة على النيل وشرقي الفسطاط القرافة
الكبرى محل الخوش المعروف الآن بخوش أبي علي بالقرب من قرية البساتين والقرافة الصغرى محل الامامين
متصلتين بالجبل حيث زاوية السادات الوفاية وكان يحل القرافتين من القصور الفخيمة والمساجد العظيمة
والخوانق الجميلة ما يذهب الكدر ويجلو النظر وقد أسهب المقرئ في وصف ذلك ووصف ما كان يصنع هنالك
من البر والصدقات والاحسان في أيام عينها وليال بينها فكان المتردد في هذه المسافة البعيدة الاطراف
لا يرى الا ما يملأ الفؤاد ويزيل الغموم وينقي الانكاد الا انه لما طرق الخلل الى سياستهم الداخلية والخارجية
حين أخذت أمورهم في الانحلال ودولتهم في الاختلال تغيرت تلك الاحوال ولم تزل الحوادث تتوالى في أيامهم
الاخيرة ثم في أيام من بعدهم تارة بالصلاخ وتارة بالفساد الى ان ألحقت الحوادث وبوات الخن حتى غابت تلك
الوجوه الحسان وغربت ما كان من الحسن والاحسان وأزالت رونقها بجله وردت ما كان لتلك المنازل من الجمال
والكمال الى ما ترى من أطلال بالية وتلال وما كان لها من بهجة وحسن انتظام الى ما تشاهد من الخراب العام
ومع تنقل الاحوال وتغير الدول وقصورهم أربابهم استقرار الخراب مكان العمارة وسكنت الوحشة محل الانس
واعتاضت التلال بدل البساتين والخوف بدل التأمين كما بينا ذلك في محله من هذا الكتاب ومن يتأمل مدة كل
خليفة وأعماله يرى ان همهم أغلبهم كانت متجهة الى اتساع دائرة العمارة واليسار وبسبب اتساع ملكهم وعظم
سطوتهم واستقلالهم وعدم تابعيتهم لغيرهم وكون القاهرة كرسى ملكهم كانت القاهرة مقصد التجارة من
جميع أطراف المملكة ومقر الصنائع والمعارف فأخذت بهم التجارة والعلوم غاية لم تكن لها من قبل ولا حصلت
لها من بعد الى زماننا واتسعت بسبب ما ذكر أيضا أرزاق أهلها وزادت ثروتهم وما من أحد من الخلفاء

الاورشليم والاموال الجمة فيما به ازدياد العمارة وبذل الجهد في التوسعة على الفقراء حتى انهم كانوا يجلبون من اشهر
ذكره وعلاصيته في صناعات البناء والتصوير في اقاصى الارض فكانت مبانيهم من اتقن المباني والباقي منها الى الان
يدل على علو قدرهم كأبواب زويلة والفتوح والنصر ومسجد الحاكم والاورشليم وغير ذلك ولم تقتصر همهم على ما ذكر
بل وسعدوا دائرة السخاء والكرم حتى عم برهم واحسانهم طبقات الناس من غنى وفقير من قاص ودان خصوصاً في
أيام مواسمهم وأعيادهم وخروجهم للنزهة في فصول تعودوها وكذا أيام مراكبهم ومواكبهم وكان لهم احتفال
زائد بآول السنة وآخرها وأيام الصوم وعيدى الفطر والاضحى وعاشوراء الى غير ذلك مما أطال المقرر يري في بيانه
قد كرم ما كان يفرق في تلك المواسم من الكساوى الغالية والنقود الوافرة وأنواع الخلوى وغيرها حتى ان من قال ان
برهم كان يعم المدينة بل وما قاربها الا يكذب وكانت أمراؤهم تحذو حذوهم وتسير سيرهم وكانت طباعهم تسرى في
طباع الغير حتى صار الكرم سجية والمروة عادة في أهل القطر فلما زالت دولتهم بدولة الايوبية الا كرا تغيرت تلك
الطباع وتلونت بلون طباعهم حتى في الماء كل والمشرى والملبس ولم تزل تلون بتلون القوة الحماكمة حتى صارت
الى ما ترى مما سبى على عليك بعضه في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فسبحان من يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين
(* ما صارت اليه القاهرة بعد الفاطميين) *

لما زالت الدولة الفاطمية استقرت بمصر الدولة الايوبية التي هي دولة الاكراد ووتلى الملك منهم بمصر عثمانية أولهم
السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب جلس على دست ملكها أول سنة سبع وستين وخمس مائة وآخرهم
السلطان المعظم توران شاه كان آخر مدته في الملك سنة ثمان وأربعين وست مائة فقدم ملكهم اثنتان وثمانون سنة منها
للسلطان صلاح الدين اثنتان وعشرون سنة ومن أول جلوسه على تختها لم يأل جهداً في العمائر والاصلاحات هو
وخلفاؤه مع قيام الحروب على ساق بين المسلمين والنصارى في سواحل الشام فانه لما استقر على سرير المملكة وأزال شعار
الفاطميين جدي في العمارات خصوصاً في مصر والقاهرة فأحدث فيها عمارات جليلة أوجبت اتساعها وما وزيادة
اعتبارها وأباح سكنى القاهرة للخاص والعام فزادت في الاتساع وهدم حارات العبيد اللاتي في موضعها اليوم
الداودية والقريبة وجعلها باستاناً وبني قلعة الجبل لتكون له معقلاً وحصناً يعتصم به من أعدائه فانه كان يحذر
من الشيعة الفاطمية فأختار لها المحل الذي بنيت فيه وأقام على عمارتها الأمير بهاء الدين قراقوش الاسدي فشرع
في بنائها وبنى سور القاهرة في سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة وهدم ما هنالك من المساجد وأزال القبور وهدم الاهرام
الصغار التي كانت بالجيزة تجاه مصر وكانت كثيرة العدد ونقل حجارتها وبنى بها السور والقلعة وبنى قناطر الجيزة
لأجل سهولة نقل تلك الاحجار عليها وقصد صلاح الدين ان يكون السور محيطاً بالقاهرة والقلعة ومصرفات قبل
ان يتم ذلك فأهمل العمل الى ان كانت سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فأتتها ويقال
ان قراقوش كان يستعمل في بناء القلعة والسور خمسة آلاف أسير والبئر المعروف بالخزون الموجودة بالقلعة هي
من عمل قراقوش المذكور في أيام صلاح الدين عملت لأجل وجود الماء في داخل القلعة بواسطة اذا حصل لها
حصار من عدو قال ابن عبد الظاهر هـ هذه البئر من عجائب الابنية تدور البئر من أعلاها فتقل الماء من ثقالة في
وسطها وتدور البئر في وسطها تنقل الماء من أسفلها ولها طريق الى الماء ينزل البئر الى معينها في مجاز وجميع ذلك
حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل ان أرضها مسامحة أرض بركة الفيل وماؤها عذب وذكر القاضي ناصر الدين
شافع بن علي في كتاب عجائب البيان انه ينزل الى هذه البئر بريح نحو ثلثمائة درجة والمشاهد انه ينزل اليها بزلقان
ولم يكن هنالك درج وبئر يوسف المذكورة عبارة عن بئرين فوق بعضهما والماء بعد طلوعه من البئر الاسفل ينصب في
البئر الثانية والمستعمل في نقله سواقي القواديس وارتفاع البئر الأعلى من ابتداء أرض القلعة الى قاعها خمسون متراً
وثلاثة عشر متراً وعمق البئر الاسفل أربعون متراً وثلاثة عشر متراً فيكون مجموع الارتفاع من أرض القلعة الى قاع
البئر الاسفل تسعين متراً وستة عشر متراً وهو عبارة عن مائتين وتسع وسبعين قدماً وجميعه نقر في الحجر وزمن صعود
القادوس بعدد مائة من ماء البئر الى سطح الأرض أربع دقائق وثلاث والزمن الذي يعضى في سقوط حجر من أعلى الى
قاع البئر خمس ثوان ودرجة حرارة ماء البئر مساوية لدرجة الحرارة المتوسطة السنوية في مدينة القاهرة وأقل بأربع

درجات ونصف من درجة حرارة قاع بئر الاهرام ومستوى ماء بئر يوسف تحت مستوى تحاريق النيل وماؤها به ملوحة قليلة وعمل صلاح الدين أيضا مارستانا بالقاهرة في محل خزانة البنود وكانت من أشنع الحبوس في أيام الفاطمية وعمل أيضا الخانقاة الصلاحية للصوفية وهي جامع سعيد السعداء الآن وبني في القرافة مدرسة للشافعية بقرب تربة الامام الشافعي رضي الله عنه ووقف عليها جزيرة القيل وهي من أرض المهمشة الآن وابتداء ظهورها كان في أواخر الدولة الفاطمية وكانت متوسطة بين منية الشيرج وأرض الفجالة ورتب في المشهد الحسيني حلقة تدريس وفقهاء واعتنى بأمر الاسطول عناية زائدة لم يقم بها أحد من جاء بعده الا الظاهر بيبرس وقطع ما كان يؤخذ من الخجاج وعوض أمير مكة عنه في كل سنة ألفي دينار وألف إردب غلة سوى اقطاعه بصعيد مصر وباليمن ومبلغه ثمانية آلاف إردب وأبطل أمورا أخرى في الاسكندرية وغيرها وأحاط على أهل العاضد وأولاده وكانت عدة الاشراف في القصور مائة وثلاثين والاطفال خمسة وسبعين أفردهم في مكان خارج القصر واحتفظا عليهم وفرق بين الرجال والنساء لا يناسا ولا يكون ذلك أسرع لانقراضهم وتسلم القصر بما فيه وبعث بالاموال الى الخليفة ببغداد والى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بالشام فأتته الخلع الخليفة واستعرض الجوارى والعبيد فأطلق من كان حرا ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع في كل جديد وعتيق فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشرين سنين وأخلى القصور من سكانها وخطط من قدرها فأعطى القصر الكبير للامراء فسكنوا فيه واسكن أباه نجم الدين في قصر اللؤلؤة وأقطع خواصه دور الخلفاء وأتباعهم وكان الواحد منهم اذا استحسن دارا أخرج منها سكانها ونزل بها وأخلت أما كن من القصر الغربي سكن بها الامير موسى والامير أبو الهيجاء وفي شهر شعبان سنة ست وستين وخمس مائة اشترى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الجزيرة المعروفة بالروضة وكانت حصينة ذات بساتين وثمار وعمائر است في غيرها وهي أقدم جزيرة في مصر وكانت منزهة لمن قبل الفتح ولما بعد من ملأه مصر وقذب طنا الكلام عليها في الجملد المختص بالمقياس من هذا الكتاب وبقيت هذه الجزيرة في ملك المظفر الى أن وجهه السلطان صلاح الدين الى البلاد الشامية فوقفها على مدرسته التي أنشأها في مصر العتيقة التي عرفت بالمدرسة التقوية وهي جزء من محل منازل العز والآن يوجد في محل منازل المعز المذكورة جامع المرحوم وحارات الشرافة وما يجاورها من البساتين ويظهر أن المنارة الموجودة الآن للجامع المرحوم من أصل بناء المدرسة التقوية ونقل أيضا عن ابن عبد الظاهر أن القصر لما أخذه صلاح الدين وأخرج من به كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم من فحل الا الخليفة وأهله وأولاده فأسكنهم دار المظفر بحارة بر جوان وكانت تعرف بدار الضيافة وقبض صلاح الدين على ولي عهد الخليفة واعتقل مع اخوته وأولاده وهم نحو عشرة وجماعة من بني اعمامه في دار الفضل من حارة بر جوان وفي سنة أربع وثمانين وخمس مائة هرب منهم رجلان قال وعدد من بقي من هذه الذرية بدار المظفر والقصر الغربي والايوان مائتان واثنان وخمسون شخصا المذكور ثمانية وتسعون والاناث مائة وأربعة وخمسون ولم يزلوا تحت الاعتقال بالقاهرة في الاماكن التي أقيموا فيها الى ان نقلهم الملك الكامل محمد بن العادل بن أيوب الى القلعة أيام سلطنته حين انتقل من دار الوزارة الكبرى اليها وفيها مات داود بن العاضد واستمر به من بقي منهم الى ان جاءت دولة الاتراك وآلت السلطنة الى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري فأمر في سنة ستين وست مائة بالاشهاد على من بقي منهم أن جميع ما كان لهم من القصور والدور ونحوها ملك لبيت المال بالنظر السلطاني الظاهري من وجهه صحيح شرعي وأول من انتقل من الملوك من دار الوزارة الكبرى الى الإقامة بالقلعة الملك الكامل المذكور وكانت دار الوزارة المذكورة من عهد الفضل ابن أمير الجيوش الى أيام الكامل مقر الوزراء وأرباب السيوف في عهد الدولة الفاطمية ومقر الملوك في أيام الدولة الكردية وكان السلطان صلاح الدين أيام إقامته بدار مصر يقيم بدار الوزارة وأحيانا يكون بالقلعة * ولما مات سنة تسع وثمانين وخمس مائة خلفه على سرير السلطنة ابنه الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان وكان ينوب عن أبيه بمصر أيام حياته ثم استقر على سرير السلطنة بها عند موت أبيه ثم حصل بينه وبين أخيه الملك الفضل على وحشة وكان بدمشق فتجهز العزيز لمخاربهه ووقعت بينهم وقائع وحروب استولى فيها العزيز على دمشق والى وقت العزيز بن صلاح الدين كان في البر الغربي من الخليج بساتين متعددة منها بستان يعرف ببستان البغدادية

كان من بساين القاهرة الموصوفة تجاه منظره اللؤلؤة التي كانت من مواضع نزته فبداله أن يجعل هذا البستان ميدانا للرحى والسباق فأمر في سنة أربع وتسعين وخمسمائة بقطع النخل المتمر المستغل الذي كان وجعله ميدانا وحرث أرضه وقطع باقيه ومن حينئذ أخذت هذه الجهة في السكنى وحكرت أرض البستان كما ذكر ذلك في موضعه وفي محل هـ هذا البستان الآن الاماكن التي في غربي الخليج تجاه جامع الاستاذ الشعرا في ممتدة الى الدكة وشارع باب الشعريه فهو قطعة من البستان المقسى وكان العزيز حسن السيرة بمعزل عن الشهوات والطمع في أموال الناس وانما كان ضعف الرأي واتفق له ان جماعة من امرائه وأعيانه أشاروا عليه بهدم الاهرام الكبيرة التي بالجيزة طمعا في استخراج كنوز ودقائق من تحتها فأصدر أمره على الفور بمباشرة العمل في هدمها فجعله والذلك العمال وصناع اللغم وجعل عليهم بعض الامراء فاس تغرقوا في هذا العمل ثمانية أشهر وكانوا لا يقدر على الا على خلع حجر أو حجرين في اليوم فعدلوا عن هذا الامر بعد ان صرفوا عليه أموالا بالغة بلا فائدة وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وفي سنة أربع وتسعين وخمسمائة شدد في منع ما كان يحصل في موسم خليج القاهرة من ركوب الزوارق فيه وفعل المنكرات وكان الناس قد اعتادوا ذلك من القديم فنهظم الامر عليهم وخنقوا على العزيز وتمادى الشغب والاضطراب حتى هموا بخلعه والخر وج عن طاعته لولا ان بلغهم خبر موته وكان ذلك في سنة خمس وتسعين وخمسمائة * وبموته انفتح باب الفتن فانه لما آل الملك بعده الى ابنه الملك المنصور ناصر الدين محمد بعد هدمه كان عمر المنصور تسع سنين وأشهر فقام بأمر الدولة بهاء الدين قراقوش الاسدي الاتابك فاختلف عليه امر الدولة وكتبوا عنه الملك الافضل لعل على بن صلاح الدين يقدم من صرخد واستولى على الامور فلم يبق للمنصور معه سوى الاسم وأراد الافضل أخذ دمشق من عمه العادل فجهاز الجيوش اليها وحصل بينهما وقائع آل الامر فيها الى هزيمة الافضل فدخل العادل الى مصر وأعاد الافضل الى صرخد وأقام بآبكية المنصور ثم خلعه واستبد بسلطنة ديار مصر وبلاد الشام وحران والرها ومياقارقين وأخرج المنصور واخوته من القاهرة الى الرها واستناب ابنه الملك الكامل محمد اعنه وعهد اليه بالسلطنة بعده وحلف له الامراء وأخذ في تدبير مملكتهم واعلاء شأنها بمحاربة أعدائها والدفاع عنها واشتهر بالجرأة والحزم والصبر على الاحوال والاقدام لا يثنى عزيمته خطب وكان حليما كريما جريلا العطاء ومات سنة خمسة عشر وستة مائة وله من العمر خمس وسبعون سنة منها على تخت سلطنة مصر تسع عشرة سنة وفي أيامه كثرت العمارة في القاهرة وضواحي القلعة * والذي خلفه على دست السلطنة ابنه الكامل ناصر الدين محمد وهو الذي أتم بناء قلعة الجبل وانشأ به الدور السلطانية في أثناء نيابته عن أبيه سنة أربع وستة مائة فلما استبد بالملك بعد أبيه انتقل من دار الوزارة الكبرى اليها وهو أول من انتقل من دار الوزارة من الملوك وسكن بالقلعة وجعلها منزلا للرسول ونقل سوق الخيل والجمال والحمار الى الرملة تحت القلعة فأخذت من حينئذ الناس في تعمير ما حوله من الدرب الاحمر والمجمر ووجهة القطائع والصلبية بعد ان كان بعضهم بمقابر وبعضها بساين كما تقدم بعضه وبأقباقيه في محله وهو الذي أنشأ دار الحديث بالقاهرة وعمر القبة على ضريح الامام الشافعي رضي الله عنه وأجرى الماء من بركة الحبش الى حوض السبيل على باب القبة المذكورة ووقف أوقافا كثيرة على أنواع من البر وكان معظم السنة وأهلها ومماتدون في محاسنه انه كتب اليه بعض عماله رقعة يخبره أن المرتب على بيت المال في كل سنة مائة ألف دينار وسبعون ألف دينار صدقة وذلك خلل في بيت المال فكتب على ظهر الرقعة الغربة تذلل الاعناق والفاقة مرة المذاق والمال مال الله وهو الرزاق فاجبر الناس على عادتهم في الاستحسان ما عندكم ينقد وما عند الله باق وانا لا نحب أن يؤرخ عنا المنع وعن غيرنا الاطلاق والآن نار الحسنه من مكارم الاخلاق واليكم هذا الحديث يساق وكان كثيرا ما يتنزل بيدي حاتم

شربنا بكأس الفقير يوما وبالغنى * وما منهما الا ستانا به الدهر

فما زادنا بغيا على ذي قرابة * غنا ناولا آزدي بأخساننا الفقير

ولمات الكامل سنة خمس وثلاثين وستة مائة قام بالامر بعده ابنه سيف الدين أبو بكر ولقب بالملك العادل الا أنه غر فوق بينه وبين أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب منازعات أفضت الى خنقه بين الامراء الكوثم استوحشوا منه

بسبب انهما كاهن على الله والاذن واشتغاله بالشهوات عن تدبير مملكته وكان موته سنة سبع وثلاثين وستمائة
 ١٠ واستولى على السلطنة بعده أخوه الملك الصالح أبو الفتح نجم الدين أيوب بن الكامل فضبط الأمور وسيرها
 على نظام حسن واسترد الأموال التي فرقتها أخوه بإسرافه وتبذيره ومبلغها يزيد عن سبعمائة ألف دينار وقبض
 على كثير من الأمراء الذين اشتروا في قتل أخيه وعوضهم بغيرهم من مماليكه ونظر في عمارة أرض مصر وحارب
 عرب الصحراء الذين كانوا يفسدون في الأرض ويخيفون السبيل وبنى قلعة جزيرة الروضة بعد أن استأجر
 الجزيرة من ناظر وقف المدرسة التقوية لمدة ستين سنة وتحول من قلعة الجبل إليها وسكنها ورأى أن الماء في فرع
 النيل الذي بينهما وبين مصر العتيقة يجف في زمن التجار يبق وتحول عن فوهة الخليج القديم التي كانت عليها
 قنطرة عبد العزيز بن مروان فبنى قنطرة السد الجارى المروى عليها إلى قصر العيني الآن وحفر فرع النيل المتقدم
 ذكره وكان يعمل فيه بجنوده ويطلع بعض رمله بالساحل في مقابلة الجزيرة فعمر هناك خواصه الدور العظيمة
 في قبالة الجامع الجديد الناصري الذي كان في محل الحوش المعروف في أيامنا هذه بحوش التكية بحرى جنبه
 السادات بمصر العتيقة وامتدت العمارة إلى المدرسة المعزية بآخر مصر العتيقة ثم إن الملك الصالح أغرق عدة
 من أكب في الجزيرة تجاه باب القنطرة خارج مصر العتيقة فكثر الماء في ذلك الفرع إلى المقس وقطع منشأة
 الفاضل وخرب جامعها وبستانه وسائر ما كان هناك من الأماكن وكان ذلك بعد سنة ستين وستمائة ثم إن النيل
 كان قد انحسر عن أرض تمتد من قنطرة السد القديمة وهي قنطرة عبد العزيز بن مروان إلى آخر الساحل وتربى هناك
 بحرف وحدث في زمن السلطان الصالح نجم الدين رد له في موضع الجامع الجديد كانت الناس تترغ فيها الدواب
 زمن احتراق النيل وانحسار البحر أمامها فلما عمر السلطان قلعة الروضة صار كل سنة يحفر هذا الفرع بجنوده
 وبنيته فكثرت العمارة على شاطئه وأنعم ببستان من وراء الدور على امرأة مغنية كانت تعرف بالعالمية فعرف
 البستان ببستان العالمية بالإضافة إليها ومحل الآخرة من بستان السادات المقدم ذكره وهناك ساقية ماء تعرف
 إلى يومنا هذا بساقية العالمية واتسعت العمارة في الساحل من محل الجامع الجديد إلى أن وصلت بخط السيدة
 زينب رضي الله عنهما من الجانبين فكانت المنازل على اليمين وعلى اليسار والتلال التي ترى اليوم خارج البوابة
 هي آثار تلك المباني وكان هناك محل الصناعة حيث تعمل السفن وتقول الناس الآن ترسانة وهي محرفة من دار
 الصناعة حرقها الترك وكانت من العمارات الفاخرة ومحملها اتجاه قنطرة السد الموصلة إلى قصر العيني ثم تخربت
 وبطأت في الأزمان الأخيرة ونشأ محالها بستان عرف ببستان ابن كيسان في محل التلال الموجودة على عين السالك من
 مصر العتيقة إلى القاهرة وكان أوله عند زاوية الحبيبي وكانت هذه الجهة من أعمار الجهات تتصل عمارتها بالعمارة
 الممتدة إلى المكش ووجه بل يشكر فكانت العمارة متصلة إلى دير الطين وكانت جهة دير الطين وما جاورها من بركة
 الحبش والبساتين والدور التي حولها من أحسن منزهات أهل مصر والقاهرة خصوصاً في أيام النوروز والغطاس
 والميلاد والمهرجانات وعيد الشعانين ونحو ذلك من أيام اللهو والقصف والعزف فكان لا يبق صغير ولا كبير إلا خرج
 إلى بركة الحبش فيضربون هناك المضارب الجميلة والسرادات والقباب والشراعات ويخرجون بالاهل والولد
 ومنهم من يخرج بالقينات المملوكات والحرثاء فبأكلون ويشربون ويسمعون ويتفكهون ومثل ذلك كان يحصل
 على بركة النيل وبركة قارون وهي البغالة وبركة الاز بكية وقد صارت بركة الحبش من مدة إلى الآن أرض مزراع
 يغمرها النيل زمن فيضانه إذا كان واقفاً لم يكن واقفاً شرقت كلها أو بعضها ولم يبق من القصور والبساتين الفاخرة
 التي بسط المذري في الكلام فيها إلا التلال المشاهدة الآن في تلك الجهات وقد تكلمنا على طرف من ذلك عند
 الكلام على قرية البساتين وكان من أعظم تلك البساتين بستان عرف ببستان الشريف بن ثعلب كان غربي البستان
 المقسى ويمتد إلى النيل وفي قبليه أرض اللوق تخلفت عن النيل كما سيأتي وكانت مساحته خمسة وسبعين فداناً فيه
 سائر الفواكه وجميع ما يزرع من الأشجار والنخل والكروم وأنواع الرياحين وكان عليه سور وله باب جليل وفيه
 منظره وعدة دور فاشترى الملك الصالح نجم الدين بثلاثة آلاف دينار مصرية وجعله ميداناً للتدريب مماليكه وأجناده
 على السبق والرمية وتزعمهم على الأعمال الحربية وتزعم ميدان العزيز بلعده عن القلعة وأزدحام الأبنية حوله وكانوا

في ثلاث الاحقاب مشتهرين بقتال النصارى بسبب حروب الصليب التي كانت متتابعة من أيام نور الدين وصلاح الدين الى ذلك التاريخ وما بعده فاستدعت الحاجة الى دوام الاهبة للحرب والاستعداد له شراف هذا البستان واتخاذ محله ميدانا كما ذكر لكونه على طريق القلعة ولما رأوا من موافقته للمطالب انذاك لسمه أرضه وامداداه فانه كان يمتد في العرض من عند محل جامع الطباخ الموجود الآن بجهة باب اللوق الى قنطرة قدادار التي كانت على الخليج الناصري بقرب النيل وقد زالت هذه القنطرة ومحاطة بقرب دار حافظ أغاس فرمجي الخديوي اسمعيل باشا وكان هذا البستان يمتد طولا الى جسر السلطان أبي العلاء الحسيني وأنشأ الصالح في هذا الميدان قنطرة جارية على البحر وصار يركب اليه من القلعة ويلعب فيه بالكرة والصوبلجان وجعل له بابا عظيما عند محل جامع الطباخ المذکور ولذلك عرف الشارع الموجود عليه هذا الباب بشارع باب اللوق لكونه في أرض اللوق وكان عمل هذا الميدان سببا لبناء قنطرة الخرق على الخليج الكبير ومن حينئذ أخذ الناس في العمارة بهذه الجهة حتى صار اللوق بلدا كبيرا كما سنورده في محله ان شاء الله تعالى ولم يكن اشتغال الصالح بالحروب في تلك الاوقات يمنعه عن الاشتغال بتوسيع نطاق المعارف وزيادة العمارة والآثار النافعة ومن شأسن آثاره المدارس الصالحية بخط بين القصرين ذلك أساسه في سنة أربعين وستمائة فلما كملت رتب فيها دروسا أربعة لفقهاء المذاهب الأربعة في سنة إحدى وأربعين وستمائة وهو أول من أحدث اقراء دروس المذاهب الأربعة في مكان واحد وأنشأ المباني خلف هذه المدارس وجعل للمدارس أحرار تلك الابنية وقد ملك الصالح في أيام سلطنته مكة المشرفة وغزى بلاد اليمن وكان فطنا ذكيا حاد الفسكة طاهر اللسان والذيل يكتب أجوبته في مخاطباته بيده واستكثر من شراء المماليك وعقدهم وتاميرهم وجعلهم أعز خاصته وبطانته وكان اذا سافرا طوبا بدهايزما كده وأطلق عليهم اسم المماليك البحرية وكانت كثيرتهم من البواعث على انقراض الدولة الايوبية وكان موته بالمنصورة سنة سبع وأربعين وستمائة وعمره أربعون سنة أقام منها بالسلطنة بعد أخيه مدة تسع سنين وأشهر ولما مات أحضرته شجرة الدر زوجته أم ولده خليل الى قلعة الروضة من غير أن يشعربه أحد وأخذت بزمام الامور من غير أن تظهر موت الصالح وأجرت الاحوال على ما كانت عليه وصارت الخدمة تعمل بالدهايز والسماط يدوشجرة الدر تدبر أمور الدولة وتوهم الكافة ان السلطان مريض ما لاحد اليه سبيل ولا وصول الى أن حضر الملك المعظم توران شاه ابنه من حصن كيفة فسلمت اليه مقاليد الامور كما سيأتي ومن آثار شجرة الدر حمام وبستان ودور أنشأتها بجهة السيدة نفيسة رضي الله عنها وقبرها معروف في الجامع المشهور بجامع الخليفة أمام مشهد السيدة رقية رضي الله عنها ولما تسلم توران شاه أزمة الامور أساء التدبير وعكف على السكر والملاهي واللذات فنشرت منه قلوب الناس لاسيما لما أهمل أمرا أمرا به ومماليكه وأخرهم عن مراتبهم وقتل منهم عدة وعزل جماعة وجردهم من علامات الشرف واحتطى بمن وصل معه من الشام فخنقت عليه ممالك أبيه وقاموا عليه وقتلوه سنة ثمان وأربعين وستمائة وتركوأرمته مطروحة على البحر ثلاثة أيام ولم يبق في السلطنة سوى شهرين وموته انتهت دولة بني أيوب وجاءت المماليك

* (دولة المماليك البحرية) *

قد عرفت أن القاهرة كانت قد اتسعت في آخر دولة الفاطميين وأنشئ في خارجها عمارات وبساتين كثيرة من كل جهة وان الانسقاط كان قد تخرب أكثره الا ما جاور النيل وما حول الجامع العتيق وكذا جبل يشكر والكيش والسكر والقطائع فقد كان فيها بعض عمارات والذي تخرب بالمرءة خرابا كليا هو ما كان جهة الرصد وبركة الحبش وما قارب الامام الشافعي وأبي السعود الجارحي رضي الله عنهما ولما صارت مصر الى الدولة الايوبية ازدادت العمارة في داخل القاهرة وخارجها من جهاتها الأربع خصوصا الدرب الأحمر وشارع قصبة رضوان والصليبة وساحل مصر العتيقة الى دير الطين الى آخر ما قدمناه ولما زالت دولة بني أيوب وخلصت دولة المماليك البحرية اجتمعا أكثرهم في توسيع نطاق العمارة أيضا في مصر والقاهرة كما سنورده في محله ان شاء الله تعالى وانما سموا بالمماليك البحرية لانهم في الاصل ممالك الصالح نجم الدين أيوب كانوا معه مدة سجنه بالكر وبقوامه حتى خاض من السجن سابع عشر شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وستمائة فلما ملك مصر دعاهم ثباتهم معه حين تفرق عنه الا كرادوا أكثر من شرائهم وجعلهم أمراء

دولته ووطانته المختصين بدهليزها إذا سافر وأسكنهم معه في قلعة الروضة وسماهم البحرية من أجل ذلك وكانوا نحو
الالف كلهم أتراك **❦** وأول من تسلط منهم الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني الصالح سنة ثمان وأربعين
وسمائه بعد زواجه شجرة الدر وحدث من الفتن ما ترتب عليه اجتماع رأي الأمراء على إقامة الأشرف مظفر الدين
موسى من ذرية الأيوبيين شر يكاله في السلطنة فأقاموه معه وعمره نحو ست سنين وصارت المراسيم تبرز عن الملكين
الآن الأمر والنهي للمعز وليس للأشرف سوى مجرد الاسم إلى أن قبض عليه المعز وحبسه سنة خمس وخمسين وسمائه
وقطع اسمه من الخطبة وانفرد بالسلطنة واتخذ شرف الدين أباسعيد هبة الله بن صاعد الفائزي وزيراً وهو أول
قبطي ولي الوزارة في دار مصر فأحدث مكوساً سماها الحقوق السلطانية فحصل للناس منه ما لا خير فيه وقامت عرب
الصعيد فوجه إليهم الملك المعز عساكره فأفناهم ثم لم يحزم أمره وعتا وظلم فتركه أغلب الأتراك ومن أول جلوسه على
التخت أمر بتخريب قلعة الروضة فخربت وعمر مدرسته التي كانت معروفة بالمعزية في رحبة الحنا بمدينة مصر بحمل
منازل العزوة قدم ذكرها وخرّب ميدان القلعة سنة إحدى وخمسين وسمائه وعمر من بقايا ميدان أحمد بن طولون
وكان قد هجر إلى أن بناه الملك الكامل محمد بن العادل بن أبي بكر بن أيوب في سنة إحدى عشرة وسمائه وأجرى إليه
الماء ثم تعطل مدة وعمره ابنه الملك العادل أبو بكر محمد بن الكامل محمد وبعده اهتم به الصالح نجم الدين أيوب بن
الكامل وجدد له ساقية أخرى وأنشأ حوله الأشجار ثم تلاشى إلى أن هدمه الملك المعز أيبك وقال له منجمه مرة أن
امرأة تكون سبياً في قتال فأمر أن تحرق الدور والخوانيت من عند قلعة الجبل بالتبانة إلى باب زويلة وإلى باب
الخرق وإلى باب اللوق أعنى عند جامع الطباخ إلى الميدان الصالح وأمر أن لا يترك باب مفتوح بالأمسكن التي يمر
بها يوم ركوبه إلى الميدان ولا تفتح أيضاً طاقسة وهذا يدل على أن الدرب الأحمر والمحجر من باب زويلة إلى باب اللوق
كان عامراً في وقت الأيوبيين بل ربما كان ذلك في آخر دولة الفاطميين لأن حارة اليانسية منسوبة إلى يانوس أحد وزراء
الفاطميين ثم اتفق أن وقع لهذا الملك ما أخبر به منجمه وذلك أنه قتله زوجته شجرة الدر في سنة خمس وخمسين
وسمائه وكانت مدته نحو سبع سنين وكان ظلوها غشوماً سناً كالدماء أفنى خلقاً كثيراً **❦** وولى الملك بعده ابنه
السلطان الملك المنصور نور الدين علي بن المعز أيبك وعمره خمس عشرة سنة ودبر أمره نائب أبيه الأمير سيف الدين قطز
ثم خلعاه بعد سنتين واستقل بالسلطنة وأقب الملك المنصور فأخرج المنصور بن المعز منفيها هو وأمه إلى بلاد الأشكرى
وقبض على عدة من الأمراء وسار إلى محاربة التتار فأوقع بهم وعاكسهم على عين جالوت سنة ثمان وخمسين
وسمائه وقتل منهم وأسركثيراً بعد أن كانوا أقدم ملكوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله عبد الله وأزالوا دولة بني
العباس وخرّبوا بغداد وديار بكر وحلب ونازلوا دمشق فلما كوها فمكثت هذه الواقعة أول هزيمة عرفت للتتار منذ
قاموا ودخل المنصور قطز إلى دمشق وعاد منها يريد مصر فقتله الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالح بمنزلة
الخليفة من مديرية الشرقية وقام مقامه في السلطنة وكانت مدة المنصور سنة الأيام **❦** وكان الملك الظاهر بيبرس
البندقدارى من المماليك البحرية فلما صارت مملكة مصر إليه في سنة ثمان وخمسين وسمائه كان أول ما بدا به أن أبطل
ما كان قطز أحده من المظالم عند سفره وهو تصقيع الأملاك وتقويمها وأخذزكاة عنها في كل سنة وجباية دينار من
كل إنسان وأخذ ثلث الزكاة الإلهية وكتب الظاهر بإبطال ذلك مسجوحاً وفي سنة تسع وخمسين وسمائه وصل "هـ"
الامام أبو العباس أحمد بن الخليفة الظاهر العباسي من بغداد فلقاه في عساكره وبأبلغ في إكرامه وأنزله بالقلعة
وانعقدت البيعة له بحضور العلماء والأمراء ولقب بالامام المستنصر وكتب الظاهر إلى الأطراف بأخذ البيعة له وإقامة
الخطبة باسمه على المنابر ونقشت السكة في ديار مصر باسمه واسم الملك الظاهر وبالمستنصر هذا ابتداء الخلاف
العباسية بمصر من ذلك الحين وتوالى الخلفاء من بعده إلى أن انتهت خلافتهم في مدة الغوري حين التحاق مصر بالدولة
العثمانية واهتم بيبرس بعمارة قلعة الروضة فأعادها كما كانت ورتب فيها الجدارية وأعادها إلى ما كانت عليه من
الحرمة ورسم بان تكون بيوتات جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها فكثر فيها المباني وزادت بها العمارة لكثرة ركوبه
بحر النيل واعتمائه بعمارة الشواني الحربية واهتم في البحر فصار للاسطول في أيامه شأن عظيم كما كان في أحسن
أيام الناطمية وأيام الصالح نجم الدين ثم تلاشى أمر الاسطول من بعده لقله الالتفات إليه والعناية به واتخذ بيبرس

الموضع السكان خارج القاهرة من شرقها وهو الذي به الآن قرافة المجاورين وقايتباى ميدان الرمي الشباب وكان يقال له الميدان الاسود والميدان الاخضر وميدان العيد وميدان السباق وميدان القيق وبنى به في المحرم سنة ست وستين وستمائة مصطبة عند ما احتفل برمي الشباب وأمور الحرب وحث الناس على لعب الرمي والشباب ونحو ذلك وصار ينزل كل يوم الى هذه المصطبة فلا يركب منها الى العشاء ويحضر الرمي والنضال والرهان وقد أطل المقريرى في ذلك كما كان يعمل في هذا الميدان واستقر هذا الميدان فضاء الى أن تولى السلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون فترك النزول فيه وبنيت فيه القبور شيئا بعد شيء حتى انسدت طريقه واتصلت المباني من ميدان القيق الى تربة الروضة خارج باب البرقية وبطل السباق منه ورمى القيق فيه من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وفي زمن المقريرى كان فيه بعض عمدة الرخام قاعة تعرف بين الناس بغواميد السباق بين كل عمودين مسافة بعيدة وما برحت قاعة هائلة الى ما بعد سنة ثمانين وسبع مائة فهدمت عند ما عمر الأمير يونس الدوادار الظاهري تربيته تجاه قبة النصر ثم عمر أيضا الأمير نجم الدين أبو جعفر قبة هائلة وتتابع الناس في البناء الى أن صار كما هو الآن ولما انحسر ماء النيل عن ميدان الملك الصالح نجم الدين أبو جعفر جعل الملك الظاهر ميدانه بطرف اللوق تجاه قنطرة قدادار ومحلها الآن الأرض المواجهة لقصر النيل من الشرق الى شارع مصر العتيقة وما زال يلعب فيه بالكرة الى زمن الناصر محمد بن قلاوون فجعله بستانا من أجل بعد الجرعته وأرسل الى دمشق فحمل اليه من سائر أصناف الشجر وأحضر معها أخولة الشام والمطعمين فغرسوا فيه وطعموها قال المقريرى ومنه تعلم الناس بمصر تطعيم الاشجار والحق ان تطعيم الاشجار كان معروفا بمصر من قبل ذلك بأزمان طويلة فقد نقل المقريرى نفسه في الكلام على خارويه بن أحمد بن طولون انه أخذ الميدان الذي كان لبيه فجعله كله بستانا وغرس فيه أنواع الاشجار والرياحين البديعة وكان فيه ريحان مزروع على نقوش معمولة وكلمات مكتوبة يتعاهد بها البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة الى أن قال وأهدى اليه من خراسان وغيرها كل أصل عجيب وطعمموه شجر الشمس باللوز وأشبه ذلك من كل ما يستظرف ويتحسن انتهى فعلم من هذا ان التطعيم موجود بمصر من ذلك العهد وربما كان من قبل ذلك وبنى الظاهر بيبرس أيضا القصر المعروف بالدار الجديدة وكان يشرف على الرمي له وبنى بالقاهرة دارا كبيرة لولده الملك السعيد وأنشأ دورا كثيرة للامراء بظاهر القاهرة مما يلي القلعة واصطبلات وأنشأ حماما بسوق الخيل لولده وقد هدم ومحلها القرة قول وبعض عمارة والد الخديوي اسمعيل باشا بجهة ميدان محمد علي وجدد الجامع الاقصر والجامع الازهر وزاوية الشيخ خضر وعدة جوامع بالاعمال المصرية وجسورا وقناطر كثيرة منها قنطرة السباع عند السيدة زينب رضى الله عنها وبنى أيضا دار العدل تحت القلعة في سنة احدى وستين وستمائة وصار يجلس به بالعرض العساكر يومى الاثنين والخميس وما برحت دار العدل هذه باقية الى أن استبعد السلطان الملك المنصور قلاوون الايوان فهجرت دار العدل الى ان كانت سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة فهدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمل موضعها الطبليخانه كان محلها في شارع الدخيرة واتفق أن غلّت الاسعار بمصر مدة في أيام الملك الظاهر حتى بلغ الارب القمح نحو مائة درهم وعدم الخبز فنادى السلطان في النقراء أن يجتمعوا تحت القلعة ونزل في يوم الخميس سابع ربيع الآخر منها وجلس بدار العدل هذه ونظر في أمر السعر وأبطل التسعير وكتب مرسوما الى الامراء يبيع خمسمائة اردب في كل يوم وأن يكون البيع للضعفاء والارامل فقط دون من عداهم وأمر الحجاب فنزلوا تحت القلعة وكتبوا أسماء الفقراء الذين تجمعوا بالرميلة وبعث الى كل جهة من جهات القاهرة ومصر وضواحيها حاجبا ليكتب أسماء النقراء وقال والله لو كان عندي غلة تكفي هؤلاء لفرقتها ولما انتهت احصاء الفقراء أخذ منهم لنفسه الوقا وجعل باسم ابنه الملك السعيد ألوفوا وأمر ديوان الجيش فوزع باقيهم على كل أمير جملة من النقراء بعدة رجاله ثم فرق ما بقي على الاجناد والمقدمين والبحرية وقرر لكل واحد من الفقراء كفايته لمدة ثلاثة أشهر وفرق على الاكابر والتجار وعين لارباب الزوايا مائة اردب قمح في كل يوم تخرج من الشون السلطانية الى جامع أحمد بن طولون لفرق على من هنالك الى آخر ما قال وفي سنة اثنتين وستين وستمائة ركب ابنه السعيد بركة خان بشعار السلطنة ومشى قدما وشق القاهرة والكل مشاة بين يديه من باب النصر الى

قلعة الجبل وزينت البلد في هذه السنة ختنة ومعه ألف وستمائة وخمسة وأربعون صبياً من أولاد الناس سوى أولاد
الأمراء والاجناد وأمر لكل صغير منهم بكسوة على قدره ومائتي درهم ورأس من الغنم وفي سنة خمس وستين وستمائة
أعاد الخطبة إلى الأزهر كما تقدم في الكلام على السلطان صلاح الدين وشدد في منع المفاسد وإبطال المنكرات فرسم
بإبطال ضمان الخشيش وإزالة الخمر وإبطال المفاسدات والحوادث من البلاد المصرية والشامية وجلس حتى
يتزوجن واسقطت الضرائب التي كانت مرتبة عليهن وكانت ألف دينار كل يوم في القاهرة وحدها وكتب بذلك توقيعا
قرئ على منابر مصر والقاهرة وسارت البر بذلك إلى الآفاق وجعل حد السكر السيف وفي سنة ست وستين وستمائة
قرر الظاهر بمصر أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي وكان القاضي قبل ذلك شافعيًا فسئل في أمر فامتنع
من الدخول فيه فنشأ عن ذلك ما ذكره وما حج سنة سبع وستين وستمائة وزار ضريح النبي صلى الله عليه وسلم أحسن
إلى أهل الحرمين وتكرم وتنزل على الناس وغسل الكعبة بماء الورد ويبدو توجهه إلى الخليل عليه الصلاة والسلام
وزار ضريح الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسار إلى بيت المقدس وصلى في المسجد الأقصى ورجع إلى دمشق
وأراق جميع الخمر فكان رحمه الله تعالى مع اشتغاله بالجهاد ومباشرة للحروب بنفسه وتوزيع أوقاته في ذلك لا يتردد
عن إقامة شعائر الدين وإبطال المنكرات وأول ما بنيت الدور للكنى في اللوق في أيام ملكه وذلك أنه جهز كشافاً من
خواصه مع الأمير جمال الدين الرومي السلاحدار والأمير علاء الدين آق منقر الناصري ليعرف أخباره ولا كثر
ومعهم عدة من العرب فوجدوا بالشام طائفة من التتر مستأنين وقد عزموا على قصد السلطان بمصر فلما وردت
الأخبار بذلك إلى مصر كتب السلطان إلى نواب الشام بآكرامهم وتجهيز الأقامات لهم وبعث إليهم بالخلع والانعصامات
وأمر بعمارة دور في أرض اللوق لأنزلهم فيها فوصلوا إلى ظاهر القاهرة وهم يلبسون على ألف فارس بنسائهم
وأولادهم في يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ستين وستمائة فخرج السلطان يوم السبت السادس
والعشرين منهن إلى إقامتهم بنفسه ومعه العساكر فلم يبق أحد حتى خرج لمشاهدتهم فاجتمع عالم عظيم وكان يوماً
مشهوداً فانزلهم السلطان في الدور التي كان قد أمر بعمارتهما من أجلهم وعمل لهم دعوة عظيمة هناك وحملت إليهم الخلع
والخيول والاموار وركب السلطان إلى الميدان وأركبهم معه لعب الكرة وأعطى كبارهم أمراءهم ففهم من عمله أمير
مائة ومنهم دون ذلك وأنزل بقيتهم منزلة البحرية وصار كل منهم من سعة الحال كالأمير في خدمته الاجناد والغلمان
وأفرد لهم عدة جهات برسم مرتبهم وكثرت نعمهم وتطاعروا بدين الاسلام فلما باغ التتر ما فعله السلطان مع هؤلاء
وفد عليه منهم جماعة بعد جماعة وهو يقابلهم بمزيد الاحسان فتكاثروا في بلاد مصر وتزايدت العماير في اللوق وما
حوله ولما قدمت رسل القان بركة خان ابن عمه هولاكو سنة إحدى وستين وستمائة أنزلهم السلطان الملك الظاهر
باللوق وعمل لهم مهمما عظيما وصار يركب كل سبت وثلاثاء للعب الكرة باللوق وفي هذه السنة قدم من المغل والبهادرية
زيادة على ألف وثلاثمائة فارس فانزلوا في مساكن عمرت لهم باللوق بأهاليهم وأولادهم وفي هذه السنة أيضاً قدمت
رسل الملك بركة خان ورسلا لشكري فعملت لهم دعوة عظيمة باللوق فن هذا يعلم ان جهة اللوق نشأت فيها العمارة في
زمنه على نفقته واتسعت بمدته وفي أيامه عمرت منشاء المهراني سنة إحدى وسبعين وستمائة وحدثت فيها المساجد
والدور بعد أن كان يعمل فيها قاش الطوب والتلال التي نشأها عند قنطرة السد المعروفة بقنطرة الماوردة التي
يتوصل منها إلى القصر العيني هي آثار تلك المباني وفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة كثرت العمارة في جهة دير الطين
وبني صاحب تاج الدين متولى ديوان الاحباس ووزارة الصحة للسلطان الملك الظاهر جامع الآثار الموجود إلى الآن
وقد تجدد في أيامه سوى ما ذكر كثير من المباني في داخل القاهرة وخارجها فانه كان يستكثر من العمارة ويرغب فيها
كما تدل عليه الآثار الباقية من أيامه في كل جهة فن آثاره الخيرية المدرسة الظاهرية بين القصرين والجامع الكائن
خارج مصر من جهة البحرية في طريق العباسية الذي كان يعرف بمخبر الظاهر وكان محتل هذا الجامع قبل ذلك
ميداناً قرا قوش الأندلس في الدولة الأيوبية ثم استعمله الظاهر مدة من الزمن ميداناً للعب الكرة والرمي إلى ان بدله
ببناء هذا الجامع فبناه فيه وأوقف عليه باقى أرض الميدان مع أوقاف أخرى وفي أيامه طيف بالمحمل بكسوة الكعبة
المشرقة بالقاهرة وهو أول من فعل ذلك في سنة خمس وسبعين وستمائة وفي أول سنة ست وسبعين وستمائة توفي بدمشق

بالاسمال والحمى وعمره نحو سبع وخمسين سنة ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران وكان ملكا جليلا عسوقا محمولا
 كثير المصادرات لرعيته ودواوينه سريع الحركة فارسا موصوفا بالعزم والحزم قال الذهبي كان الظاهر خليفا
 بالملك لولا ما كان فيه من المظالم قال والله يرجعه ويغفر له فان له اياما يضاف الى الاسلام ومواقف مشهودة وفتوحات
 معدودة انتهى وكانت فتوحاته كثيرة ولم تنقطع الحروب بينه وبين ملوك النصارى بالشام حتى استولى على ما في
 ايديهم من البلاد والقلاع **❦** وخلف الظاهر بيبرس على تخت المملكة ابنه الملك السعيد ناصر الدين ابو المعالي محمد
 بركة خان سنة ست وسبعين وثمانمائة فلم تطل مدته وخاض عليه قوصون واتحد مع الامراء فخلعوه سنة ثمان وسبعين
 وثمانمائة وأقيم بعده أخوه الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس وعمره سبع سنين فلم يقم غير أشهر وخلف
 وبعث به الى الكرك فسجن مع أخيه **❦** ثم أقيم من بعده على تخت ملك مصر الملك المنصور سيف الدين قلاوون الا في
 العلاءي أصله من مماليك الصالح نجم الدين ولذلك عرف بالصالح النجمي وكان شهيدا بطلا منصورا في حروبه وله
 محاربات ووقائع كثيرة مع التتار وغيرهم اتصرف فيهم باعظمت هيئته وامتدت شوكتهم فافتتح بعض البلاد وهادنه
 بعض الملوك وهاداه بعضهم وقرر على صاحب سبيل كل سنة قطيعة من أضياف ودراهم تبلغ مقدار ألف ألف درهم
 حتى قال بعضهم اذ ذلك لو تحت سبيل ما فضل بعد مصر وفهام مقدار ما وقع عليه الهدنة وهاداه بعض الملوك مثل
 ملك سملان وغزابلاد النوبة سنة سبع وثمانين وثمانمائة وكان له فيها فتوح عظيم وعاد منها بغنائم عظيمة وفي أيامه
 حدثت عمارات كثيرة وكان له اثار فاخرة منها المدرسة والقبعة المنصورية والمارستان وقد دخل في عمارة هذه المباني
 كثير من أعمدة قلعة الروضة ورخامها كما يأتي ذكره في الكلام على المدرسة المنصورية وفي أيام ملكه أكثر من شراء
 المماليك **الحر كسية** وجعلهم في ابراج القلعة وسماهم البرجية فبلغت عدتهم سنة آلاف وعمل منهم أوقاقية
 وجققدارية وجاشنكيرية وسلاحدارية وأحدث تغييرا في ملابس العسكر واستجد طائفة سماعات البحرية وسببه
 ان البحرية الصالحية كانوا اشتتوا بعد قتل الفارس اقطاعي في أيام سلطنة المعزايث التركاني وبقيت أولادهم بمصر
 في حالة ردالة فلما أفضت السلطنة الى الملك المنصور قلاوون جمعهم ورتب لهم الجوامك والعليق واللحم والكسوة
 ورسم ان يكونوا على أبواب القلعة وسماهم البحرية وكان له عناية زائدة بالمماليك حتى انه كان يخرج في غاب أوقاته
 الى الرحبة عند وقت حضور الطعام للمماليك ويأمر بعرضه عليه ويتفقد لهم ويختبر طعامهم جودا ورداءة فتى
 رأى فيه عيبا اشتد على المشرف والاستادار ونهرهما وأحل بهما المذكور وكان يقول كل الملوك عملوا شيئا يذكرون
 به ما بين مال وعقار وأنا عمرت أسوارا وعملت حصونا مانعة لي ولأولادي وللمسلمين وهم المماليك وكانت المماليك
 أبدا تقيم بهذه الطباقة ولا تبرح منها وهو الذي بنى بقلعة الجبل دار النيابة في سنة سبع وثمانين وثمانمائة وكانت
 النواب تجلس بشباكهها الى ان هدمها الناصر محمد بن قلاوون وأبطل النيابة والوزارة ثم اهتم باعادتها بعد قوصون الا
 انه مات قبل ان تكمل فكمالت من بعده في أيام الصالح اسمعيل بن الناصر محمد بن قلاوون وفي سنة تسع وثمانين وثمانمائة
 توفي المنصور قلاوون ودفن بقبعة المنصورية المتقدم ذكرها بعد ان أقام في الملك مدة إحدى عشرة سنة وأشهرها
 وأحدث في أيامه وظيفة كتابة السرو واللعب بالرمح في موكبي الحمل وكسوة الكعبة وأبطل عدة مكوس **❦** وخلعه على
 سلطنة مصر ابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل فمكث ثلاث سنين وفي أيامه كانت الحروب قائمة على ساقها مع
 الافرنج في السواحل الشامية فغلبهم عنها وفتح عكا وهدمها وفتح عدة حصون وبعد عودته ذهب الى قوص ومن هناك
 سافر على اليمن الى **البحر** ثم عاد الى مصر وفي أيامه أكل عدة المماليك عشرة آلاف وسمح لهم بالنزول من البلعة
 في النهار ولا يبيتون الا به فكان لا يقدر أحد منهم أن يبيت غيرها وفي سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة بنى بالقلعة قصر
 الاشرفية وصرف عليه جلة من المال وعمر أيضا الرفرف وجعله عاليا يشرف على الجزيرة كلها ويضوه وصور فيه امراء
 الدولة وخواصها عقد عليه قبة على عمد وزخرفها وكان مجلسا يجلس فيه السلطان الى ان هدمه الناصر محمد بن
 قلاوون والغالب أنه كان في محل القصر السابق وما يلحق به ومحل الآن الطوبى بخانة بالقلعة وفي سنة ثلاث وتسعين
 وثمانمائة توفي قتيلا وكان قد انشرد في الصيد في نهر يسير وساق حتى وصل الى الطرانة فقصد الامير بيدرة ومعه جماعة
 وقتلوه وتسلمن بيدرة وتلقب بالملك القاهرة فلم يقم في السلطنة سوى يوم واحد وقتل **❦** وولى السلطنة الملك الناصر

محمد بن السلطان قلاوون وعمره تسع سنين وتولى نيابته وقام عنه بالامر الامير كتبغا المنصوري وقبض على جماعة
 من الامراء الذين قتلوا الاشرف واعتقلوهم في قرانة البنود وتولى عقوبتهم بيبرس الجاشنكير وآل بهم الامر
 الى ان قطعت ايديهم وارجلهم وعلفت في أعناقهم وشهرروا في مصر والقاهرة وحصلت فتنة من تماليك الاشرف
 فامسك منهم نحو ثلثمائة وقطعت ايديهم وارجلهم وصلبوا عند باب زويلة ثم ان كتبغا استصغر السلطان الناصر
 وطمع في الملك فقام عليه وأنزله عن سرير ملكه واعتقله وذلك في افتتاح سنة أربع وتسعين وستمائة ٥٠٠ وعند ذلك
 استبد بالسلطنة الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري المذكور وكان أحد عماليك الملك المنصور قلاوون فحصل
 للناس في زمنه ما لا يوصف من الشر لان مد النيل في أيامه قصر واشتد الغلاء المفرط حتى أكل الناس الجيف وبلغ
 ثمن الاردب من القمح مائة وسبعين درهما نقرة عبارة عن ثمانية مثاقيل ونصف مثقال من الذهب وأكلت الكلاب
 والحير والخيول والبغال وحمل الوباء بشدة عظيمة حتى طرحت الموتي في الطرق وفي زمن كتبغا قدمت طائفة
 الاويراتية سنة خمس وتسعين وستمائة وهم طائفة من المغل حضروا فرارا من ملكهم تمازان باذن السلطان كتبغا
 كما قدم غيرهم فانه لما تغلب التتار على ممالك الشرق والعراق وجعل الناس الى مصر نزوا بالخشية وعمر واهلها
 المساكن ونزل بها أيضا امراء الدولة فصارت من أعظم عمار مصر والقاهرة واتخذوا امراءها من بحريه افيما بين
 الريديانية وهي العباسية الى الخندق وهي قرية سيدي الدمرداش مناحات الجبل واصطبيلات الخيل ومن ورائها
 الاسواق والاماكن الكثيرة وصار اهلها يوصفون بالحسن خصوص لما قدمت الاويراتية فازدادت العمارة بهذه
 الجهة وعمرت أيضا جهة الصليبية في أيامه وسبب ذلك انه في سنة خمس وتسعين وستمائة كان الناس في اشد ما يكون من
 غلاء الاسعار وكثرة لوباء والسلطان خائف على نفسه ومتحيز عن وقوع فتنة وهو مع ذلك ينزل من قلعة الجبل الى
 الميدان انظاهري بطرف اللوق فحسن بظاهرة أن يعمل اصطبيل الجوق (الذي كان مشرفا على بركة الفيل قبالة الكباش
 بجعل الخوض المرصود وكان يرسم خيول المماليك السلطانية) ميدانا عوضا عن ميدان اللوق وأمر باخراج الخيل منه
 وشرع في عمله ميدانا وبادر الناس من حينئذ الى بناء الدور بجانبه وكان أول من أنشأ هناك الامير علم الدين سنجر الخازن
 في الموضع الذي عرف اليوم بمحكر الخازن وهو شارع نور الظلام وتلاه الناس والامراء في العمارة وصار السلطان
 ينزل الى هذا الميدان من القاعة فلا يجد في طريقه أحدا من الناس سوى الباعة أصحاب الجوانيت لانه الناس
 وشغلهم بما هم فيه من الغلاء والوباء واشتد خوفه من الفتنة فأظهر العناية بأمر الاويراتية لانهم كانوا من جنسه
 وكان مراده أن يجعلهم عون له يتقوى بهم فبالغ في اكرامهم حتى أثر في قلوب امراء الدولة احنا وخشوا ايقاعه بهم
 قال الامير بيبرس وبسبب تخلفه عن المير مع الجيوش المصرية الى محاربة التتار حين أغاروا على بلاد الشام الى
 قيام بعض الامراء عليه فترك سرير السلطنة وفر الى دمشق ٥٠٠ واستولى على السلطنة حسام الدين لاجين المنصوري
 أحد عماليك المنصور قلاوون وكان نائب السلطنة في مدة كتبغا وتلقب بالملك المنصور وذلك في سنة ست وتسعين
 وستمائة فلم يسرف في الدولة السير الملائم وساء تدبيره فقامت عليه الامراء وقتلوه سنة ثمان وتسعين وستمائة بعد سنتين
 وشهرين وكان من أول ما بدأ به ان أخرج الناصر محمد بن قلاوون من قلعة الجبل وكان معه قلابها ونفاه الى الكرك
 وجعله في قلعة ثم أخرج في تجديد الجامع الطولوني بعد تخربه وكان قد نذر ذلك من قبل سلطنته فانه كان ممن وافق الأمير
 بيدرة المتقدم ذكره على قتل الملك الاشرف فلما قتل بيدرة في محاربة عماليك الاشرف فر لاجين من المعركة واختفى
 بالجامع الطولوني وهو يومئذ خراب لاساكن فيه فأعطى الله عهدا أنه ان سلم من هذه المحنة وكنه الله من الارض
 يجدد عمارة هذا الجامع ويجعل له ما يقوم به فلما آتت اليه السلطنة عمره ورتب فيه دروسا على المذاهب الاربعة ودرسا
 لتفسير القرآن وآخر للحديث وآخر للطب وقر له الخطيب والمؤذنين وسائر الخدمة وأنشأ بحوارهم كتبوا بلغت
 النفقة عليه عشرين ألف دينار ورتب له ما يقوم به ٥٠٠ فلما قتل كما تقدم اجتمع الامراء للمشورة فأنحط رأيهم على اماره
 الملك الناصر محمد بن قلاوون فأحضر من الكرك بعد ان استمر التخت خليا عن سلطان احدا وأربعين يوما والامراء
 يدبرون الامور فقلده الخليفة السلطنة في جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة وهي سلطنته الثانية على مصر
 فقام بتدبير الامور الاميران سلاز نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير نائبك العساكر وكانت جميع الامور بيدهما

اصغر سن الناصر حينئذ فزهد في الملك واحتمل حتى مضى الى الكرك وكتب الى الامراء يقول انني قنعت بالكرك
 فاطلبوا لكم ملكا تختارونه لما قصرت يدي في تدبير المملكة بوجود سلاوييبر من فأنبت ذلك لدى القضاة بعصر ثم نفذ
 الى قضاة الشام فكانت مدته في هذه السلطنة الثانية تسع سنين واشهر او في اثناء تلك المدة جددت بعض عمار ووصل
 مع التتار في جهات الشام جملة حروب ومنازلات كان الامر فيها مرة لهم ومرة عليهم وسار فيها الملك الناصر بنفسه
 وجنده الى الشام وحضر القتال مرتين انكسرت في اولها واما في الثانية وكسرها في الثانية كسرة عظيمة وأسرى منهم
 خلقا كثيرا وفي بعض هذه المدة قام بعض العرب بالبحيرة فأرسل عليهم تجريدة فقهروهم وفيها أمر اليهود بلبس العمام
 الصفراء والنصارى بلبس العمام الزرق والساورية بلبس العمام الجرميزا لهم عن المسلمين ومن أهدم ما وقع بهار لزللة
 هائلة ابتدأت في شهر رذي الحجة سنة اثنتين وسبع مائة وأقامت تعاود الناس مدة عشرين يوما فهدمت بالاسكندرية
 المنار وكثيرا من الابراج والاسوار وقاض ماء البحر حتى غرق البساتين وهدمت بالقاهرة عدة مدارس وجوامع
 ومساجد ونشئت في الجبل المقطم وسقطت الدور على الناس ومات كثير من أهلها تحت الردم وخاف الناس وخرجوا
 الى الصحراء واتصلت هذه الزللة بأغلب بلاد الشام ولما اعتزل الملك الناصر السلطنة كما ذكرنا واورا الامراء فيمن
 يتولوا ما فاستقر الامر من بعده للسلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير وتولى السلطنة سنة ثمان وسبع مائة وتلقب
 بالملك المظفر وهو من ممالك المنصورة قلاوون وكان خيرا عفيفا كثيرا الحياء جليل القدر مهيب السطوة في أيام امرته
 فلما تسلطن عمل جسر النيل من قليوب الى دمياط في عرض أربع قصبات من أعلاه وست من اسفله واطل الخمارات
 وترك ما كان مقرا عليها وشد في ازالة المنكرات وتباعد مواضع الفساد وبني الخانقاه العظيمة بالجالية وكانت أجل
 خانقاه بالقاهرة وقد ذكرت في الخواص وترتب في قبة مدارس للحدديث وقرأت ما يقرأون القراء في الليل والنهار وأوقف
 عليهم الاوقاف العظيمة وقد ذكر كل ذلك بتوالي الايام ولم يبق من الخانقاه الا بعضها وهو الجامع المعروف بجامع بيبرس
 وفي أيامه قصر مد النيل سنة تسع وسبع مائة فلم يبلغ في الزيادة غير ستة عشر ذراعا الاقراطين فشرقت أرض مصر
 وتعال الاسعار فضع الناس وتشاموا بالمظفر وصارت العامة تتغنى بالازجال في مسبته فشدد في العقاب وقبض
 على كثير من العامة فقطع السنة بعضهم وضرب البعض وقبض أيضا على جماعة من الامراء بلغه أنهم يكاتبون
 الناصر سر الخرج كثير من الناس ولحقوا بالناصر في الكرك فكتب اليه المظفر يهدده بالنفي الى القسطنطينية
 ويطلب منه ما خرج به من الخيل والمال والممالك فخلق نفسه من ذلك وكاتب نواب طرابلس وحصص وصفه
 وحماة وغيرهم وكان من ذلكروا من ممالك أليه وعتقائه فأجابوه وقاموا بنصرته فقام من الكرك ودخل الشام
 وتسلطن بها وخطب باسمه على المنابر وكان المظفر قد أعاد تجريدة من الجند اذ قتاله فلما بلغهم الخبر لم يسيروا اليه
 ورجعوا من ثلثي يومهم الى القاهرة فاضطرب أمر المظفر وخلق نفسه من الملك وأشهد على نفسه وأرسل الاشهاد الى
 الناصر وسأله ان يعينه له موضعا يقيم به الا انه مع ذلك لم يستقر به قرار فاستعد للهرب وأخذ ما قدر عليه من المال والخيل
 والممالك ونزل من القلعة فوقف له العامة عند باب القرافة يسبون ويرجون فغلبهم بشي من المال نثره عليهم
 وتخلص منهم بذلك وسار يريد الشام وكان الناصر قد دخل مصر واسمولى على سلطنته فبعث من قبض على المظفر
 بقرب غزة وأحضره مقيدا بالحديد وقتله في ذي القعدة سنة تسع وسبع مائة ووصفا الملك في مصر والشام للسلطان
 الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان عود السلطنة اليه هذه المرة في أول شوال سنة تسع وسبع مائة وهي سلطنته الثالثة
 فقام باعباء الملك وطلب منه الامير سلاو نائب السلطنة ان يعينه من النيابة وان يقيم بالشوبك لانهم من اقطاعه
 فأجاب ذلك وخرج من يومه الى الشوبك وفي سنة عشر وسبع مائة بلغ الناصر ان أخا الامير سلاو وجماعة من الامراء
 من عصبته يقصدون الوثوب عليه فلما تحقق لديه ذلك قبض عليهم وبعث باستحضار سلاو فلما جاءه في القلعة
 أياما حتى مات وطالت سلطنة الناصر هذه المرة وتم لهم من العز والشوك والسعة وبسطة الملك ما يطول شرحه وكان
 ذا شغف بالعمارات فحدث في أيامه عمارات كثيرة منه ومن غيره فاستجد بقاعة الجبل المباني الكثيرة من القه ورو غيرها
 وحدثت فيما بين القلعة وقبة النصر عدة ترب محمل قايتباي وترب المجاورين بعد ما كان ذلك المكان فضاء يعرف بالميدان
 الاسود وميدان القبط وتزايدت العمارات بالحسينية حتى صارت من الريدانية الى باب الفتوح وعمر ما حول بركة

الفيل والصلبية الى جامع ابن طولون وما جاوره الى المشهد النفيسى وحكر الناس أرض الزهري وما قرب منها وهو من
قناطر السباع الى منشأة المهراني ومن قناطر السباع الى البركة الناصرية الى اللوق الى المقس وأمر بهدم الايوان
الذى أنشأه السلطان المنصور قلاوون المعروف بدار العدل وأعادها وأنشأ فيه قبة جليلة وبني القصر الاياق بالقلعة
وعمل بجانبه بستانا متسعا وصرف على ذلك خمسة مائة ألف ألف درهم وكانت العادة جلوس السلطان به للخدمة كل
يوم ما عدا يومى الاثنين والخميس فانه يجلس في دار العدل وكان ذلك القصر مشرفا على الرملة وقراميدان وكان بداخله
ثلاثة قصور في جميعها وجميع تصورات الامراء بحجاري الماء من فوق عامن النيل بدو اليب تديرها البقر فتسقله من موضع
الى أعلى منه حتى ينتهي الى القلعة وكانت العادة أن يمد كل يوم طرفي النهار سطة جليلة لعامة الامراء وكذا عمر سبع
قاعات بالقلعة لسراياه وكانت تشرف على قراميدان وباب القرافة وفي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة أمر بهدم دار
النيابة وأبطل النيابة والوزارة ومن بعده أعادها الامير قوصون عند استقراره في النيابة فلم تكمل حتى قبض عليه
فولى بعده الامير طشتمرحص أخضرو بهد القبض عليه وتولاها الامير شمس الدين آق سنقر في أيام الملك الصالح اسمعيل
فجلس بها سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وهو أول من جلس بها من النواب بعد تجديدها وتوارثها النواب بعده ولما
أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون القصور والخانات بناحية سرياقوس وجعل هناك ميدانا يسرح اليه وأبطل
ميدان القيق وترن المصطبة التي بناها بالقرب من بركة الحبش لمطعم الطيور والجوارح اختار أن يحفر خائجا من بحر
النيل لترفيه المراكب الى ناحية سرياقوس لحمل ما يحتاج اليه من الغلال وغيرها فأمر بالكشف عن عمل ذلك وحفر
الخليج وانتهى الحفر في سلج بجادى الآخرة على رأس شهرين وجرى الماء فيه عند زيادة النيل فأنشأ الناس عليه عدة
سواق وجرت فيه السفن فسر السلطان بذلك وحصل للناس رفق وقويت رغبتهم فيه فاشترى أراض من بيت المال
غرست فيها الاشجار وصارت بساتين جليلة وأخذ الناس في العمارة على حافى الخليج فيما بين المقس وساحل النيل
بيولاقي وكثرت العمائر على الخليج حتى اتصلت من أوله بموردة البلاط الى حيث يصير في الخليج الكبير بأرض الطبالة
والى سرياقوس وصارت البساتين من وراء الاملاك المطلة على الخليج وتنافس الناس في السكنى هناك وأنشأ الحمامات
والمساجد والسواق وصار هذا الخليج مواطن أفراح ومنازل لهو ومغنى صبايات وملعب أتراب ومحل أنس وقصف
فيماء يرفيه المراكب وفيما عليه من الدور وما برحت مراكب التزهة ترفيه بأنواع التماس على سبيل الله الى أن
منعت المراكب منه بعد قتل الاشرف وكان أوله عند قرب قنطرة السد الجارى عليها المرور الى قصر المينى فينسير قليلا
في الارض الى هناك منعطف الى جهة الغرب حتى يتصل بشارع مصر العتيقة المار امام سراى الاسماعيلية والقصر
العالى فيمتد على حافته الشرقية مبحرا الى أن يفارق الجسر الممتد الى السلطان أبى العلاء بولاق فيكون في غربى
البستان الذى كان في ملك المرحومة زينب خاتم ثم يكون عند أولاد عنان فيننعطف ويسير الى أن يتلاقى مع الخليج
الكبير يترب جامع الظاهر وللا آن منه قطعة باقية خلف المنازل وفوقها قنطرة البكرية المعروفة بالقنطرة الجديدة
والتلال الكبيرة التي كانت بطوله من ابتدائه الى منتهاه هي أثر العمارات التي دمرتها الحوادث وتقدم بعض ذلك
وفي أيام الملك الناصر أخذت العمارة في الزيادة في جميع أطراف القاهرة ودخلها وتناسف الناس فيها وكان النيل قد
انحسر عن جانب المقس الغربى وصار هناك رمال متصلة من بحريها بجزيرة النيل ومن قبلها بأراضى اللوق فتفتح بها
الناس باب العمارة فعمروا في تلك الرمال المواضع وهى الجهة التي تعرف اليوم بيولاقي وأنشؤا بجزيرة الفيل البساتين
والقصور حتى لم يبق منها مكان بغير عمارة وحكر ما كان منها وقفعا على مدرسة صلاح الدين الجاورية للامام الشافعى
رضى الله عنه وما كان وقفعا على المارستان الكبير المنصوري وغرس ذلك كله بساتين فصارت تنف على مائة
وخسين بستانا الى وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون ونصب فيها سوق كبير يباع فيه أكثر ما يطلب من الماء كل وانشأ
الناس فيها عدة دور وجامعا فصارت قرية كبيرة وما زالت في زيادة الى أن حدثت المحن في سنة ست وثمانمائة
قتلاشت وخرب كثير منها وجميع أرض المهمشة وقرية الزاوية الحمراء الى شبرا وسرياقوس هى من أرض هذه
الجزيرة ولم تكن قرية الزاوية الحمراء الا القرية التي حدثت اذ ذاك عوضا عن قرية كوم الريش التي ذكرها المقرئ
وكانت بقربها وامتدت العمارة من الجهة القبلية الى القاهرة وتقدم بعض ذلك أيضا وعمر ما خرج عن باب زويلة

بمئة ويسيرة من قنطرة الخرق الى الخليج الكبير ومن باب زويلة الى المشهد النفيسى وعمرت القرافة من باب القرافة
 الى بركة الحبش طولا ومن القرافة الكبرى الى الجبل عرضا حتى انه استجد في أيام الناصر محمد بن قلاوون بضع
 وستون حكرا ولم يبق مكان يحكروا كثر هذه الاحكار في جهة الخليج الغربية من ابتداء قنطرة السباع الى قنطرة باب
 الخرق فأغلب الاخطاط الموجودة الآن في هذه الجهة لم يعمر الا في وقته وتنافس رجاله في انشاء العمارات الجليلة
 من البساتين الفاخرة والدور الطريفة وأكثرها من الزينة والزخرفة في بناء المساجد والمدارس وبالتأمل يظهر أن
 أغلب ما ذكره المقريري من العماثر بنى في سلطنته فانه كان يحب ذلك ويرغب فيه كما قدمنا وانشا السلطان على
 نفقة عدة عمارات باهرة من ضمنها الميدان الكبير الناصري غربي الخليج ومحلة الارض الواقعة في قبلي منزل الامير
 أحمد باشا رشيد وفي غربيه الى النيل اذ ذلك وأنشأ هناك ميدان المهارة وبني قصر عظيم وكان يتردد اليه ومحلة
 الارض الواقعة على عين السالك من الشارع الى القصر العالي وهي الارض التي كانت في يد محمد وهبي باشا وانتقلت
 الى ورثته ثم قسمت وبيع بعضها وتبلغ مساحتها نحو سبعة عشر فدانا ومنها بعض الشارع وبعض منزل حافظ بيك
 رمضان واعتنى الناصر بالميدان الذي تحت القلعة وكان قد هجر من مدة فابتدأ في اصلاحه سنة اثنتى عشرة وسبع مائة
 فاقطع من باب الاصطبل وهو باب العزب الى باب القرافة وأحضر جميع جمال الامراء فنقلت الفلين حتى كساه كله
 وزرعه وحفر به الآبار وركب عليه السواقى وغرس في بعضه النخيل والاشجار وأدار عليه سوراً من الحجر وبني
 حوضاً للسبيل من خارجيه فلما اكمل نزل اليه واعب فيه بالكرة مع أمرائه وخاع عليهم وكان القصر الابلق يشرف
 عليه وجعل فيه عدة وحوش وأمر بربط الخيل فيه واتخذ صلاة العيدين به عادة وعمل في القلعة الحوش الذي لا يرى
 مثله وكانت مساحته أربعة فدادين وكان موضعه بركة عظيمة قد قطع ما فيها من الحجر - مارة قاعات القلعة حتى
 صارت غوراً كبيراً فردمها في سنتين وأحضر من بلاد الصعيد ومن الوجه البحرى ألفي رأس غنم وكثيراً من البقر
 الابلق لتقف في هذا الحوش فصار مراح غنم ومربط بقروا جرى الماء اليه من القلعة وأقام الاغنام حوله وتتبع
 في كل سنة المراحات من عيذاب وقوص وما دونه - مامن البلاد ليأخذ ما به - مامن الاغنام المختارة بل جلبها من بلاد
 النوبة ومن اليمن فبلغت عدتها بعد موته ثمانين ألف رأس واهتم بعمل السواقى التي تنقل الماء من بحر النيل من
 جهة بركة الحبش الى القلعة واعتنى بها عناية عظيمة فأنشأ أربع سواقى على بحر النيل تنقل المياه الى السور ثم من
 السور الى القلعة وعمل نقالة من المصنع الذي عمله الظاهر ببيرس عند زاوية تقي الدين رجب التي بالرملية تحت القلعة
 الى الاصطبل وأنشأ بالقلعة بس - تاناً عظيماً جلب اليه أصناف الاشجار من سائر البلاد حتى طلع فيه الكادى وجوز
 الهند وغير ذلك وفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة عزم على عمل خليج يبتدى من ناحية حلوان لتوصيل الماء الى
 القلعة ولم يتم له ذلك لان المهندسين الذين أحضرهم من الشام قدر والمصرف ثمانين ألف دينار والمدة عشرين
 فعبدل عن ذلك وفي سنة احدى وأربعين وسبعمائة اهتم الملك الناصر بسوق الماء الى القلعة لاجل سقى الاشجار
 وممل الفساقى ولاجل مراحات الغنم والبقر فطلب المهندسين والبنائين ونزل معهم وسار في طول القناطر التي
 تنقل الماء من النيل الى القلعة حتى انتهت الى الساحل فأمر بحفر بئر أخرى واعمال القناطر لينقل عليها الماء حتى
 تتصل بالقناطر العتيقة فيجتمع الماء من البئرين ويصير ماء واحداً يجري الى القلعة فعمل ذلك ثم أحب الزيادة في الماء
 أيضاً فركب ومعه المهندسون الى بركة الحبش وأمر بحفر خليج ص - غير يخرج من البحر ويمر الى حائط الرصد وينصرف
 الى بركة الرصد عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور ويركب على الآبار السواقى لتنقل الماء الى القناطر العتيقة
 زيادة لما لها واش - ترى جميع الاملاك هناك وحفر الآبار في الحفر فصار عمق البئر أربعين ذراعاً ومات الملك الناصر قبل
 أن يتم جميع ذلك والى الآن جميع هذه الآبار باقية في ذيل الجبل المطل على أرض البساتين والعيون ظاهرة تفرغ
 الى الامام الشافعي رضي الله عنه وبالجمل فلم يتم أحد من الملوك السابقين عليه ولا اللاحقين به مثله في أمر العمارة
 والبناء ونحن لم نذكر جميع ما أجزاه مدة سلطنته الطويلة من قناطر وترع وجسور ومبان خيرية في القاهرة ومصر
 وجهات كثيرة من القطر المصري والبلاد الشامية خشية زيادة الاطالة ومن كثرة عماثره اتصلت مصر بالقاهرة حتى
 صار تابلاً واحداً من مسجد تبر بقرى القبة الى بساتين الوزير قبلي بركة الحبش ومن شاطئ النيل بالجيزة الى الجبل

المقطم وعمر الناصر الجامع الجديد المثل على بحر النيل عند مودة الخلفاء وعدم لاجل ذلك الصنم الذي كان عند قصر
الشمع بسرية أبي الهول وأدخل بجارته في عمارة الجامع وأجرى بمكة المعظمة عين ماء وهي المعروفة بعين بزان
وعمل للكعبة بابا جديدا من خشب السنط الأحمر صفحة بطبقة من الفضة زنتها ثلاثون ألف درهم وأنعم بالفضة القديمة
على الخدم وفي أيامه عمرت القرية المعروفة بالبحريرية عمرها الأمير شمس الدين سنقر السعدي وأخذها الناصر منه
بعد عمارتها وجدد عمارة الرصد وعمارته جامع راشدة عند دير الطين وجدد عمارة مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها
ووضع به المحراب على التحرير الصحيح وعمر زاوية الشيخ رجب التي تحت القلعة إلى غير ذلك مما يطول تعدادها ومن
الحوادث المهمة في أيامه التي تورخ حادثة حرق كنائس كثيرة في القاهرة ومصر والاسكندرية وجهات كثيرة من
الاقليم في ساعة واحدة يوم الجمعة التاسع من ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة خرب بها العامة ونهبوا ما فيها وقتلوا
وسبوا كثيرا ممن بها وقت اشتغال الناس بصلوة الجمعة وقد اسهب المقريري في تفصيل تلك الحادثة وذكرنا ما عند
الكلام على شارع النصرية من هذا الكتاب وبعد ذلك بشهر اتفقت النصارى على حرق مصر والقاهرة فوقع حرق
هائل في عدة حارات ودمر كثير من الدور والربوع والجوامع والمدارس والخوانق وتلف للناس كثير من الاموال واستمر
ذلك أياما إلى أن عرف أنهم من النصارى ووقع انقبض على من كان يفعل ذلك منهم وعوقبوا بالحرق والقتل وبعد ذلك
ألزمت النصارى بلبس العمام الرنق ونودي بأن من وجد نصرايا بعمامة بيضاء أو راكبا على العادة حل لدمه وماله
وأن لا يركب أحد منهم بغلا ولا فرسا ومن ركب جارا فليركبه مقلوبا ولا يدخل نصرا في الحمام الا في عنقه جرس
ولا يتزيا أحد منهم برى المسلمين ومنع الامراء من استخدامهم وكثيرا يقاتع المسلمين بهم حتى تركوا السعي في الطرقات
وأسلم كثير منهم وبعد ذلك حصل الاهتمام من السلطان والامراء وغيرهم في تجديد ما تهدم وعمر ما تخرّب حتى
تراجعت العمارة وازدادت وما زالت القاهرة تزاد في أيامه عظاما وعمارة واستمرت على ذلك بعده إلى أن حدث البناء
العظيم في سنة تسع وأربعين وسبعمائة فخلا كثير من المواضع وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون مشغوقا بطلب
المماليك من بلاد لينك وتوريز والروم وبغداد وبعث في طلبهم وبذل الرغائب للتجار في تحصيلهم ثم أفاض على من
يشتره منهم أنواع العطاء من عامة الاصناف دفعة واحدة في يوم واحد ولم يراع عادة أبيه ومن كان قبله من الملوك في
تنقل المماليك في أطوار الخدمة حتى تتدرب وتتمن وسمح لهم بالنزول إلى الحمام يوما في الاسبوع وكانوا ينزلون بالنوبة
مع الخدم ويعودون آخر النهار ولم يزل هذا حالهم إلى أن انقرضت دولة بني قلاوون ومات عن ألف ومائتي وصيفة
مولدة سوى من عداهن من سائر الاصناف وبلغت عدة مماليكه اثني عشر ألف مملوك حتى صار راتبه وراتب مماليكه
من لحم الضأن كل يوم ستة وثلاثين ألف رطل وهو أول من اتخذ لعسكره الاقمية المفتوحة والطرز الذهب والحوادث
الذهب والسيوف المسقطة بالذهب وهو أول من رتب المواكب في القصر ورتب شرب السكر بعد السهاط ورتب
وقوف الامراء في المواكب على قدر منازلهم وكذلك أرباب الوظائف وقد طالت أيامه في السلطنة وصفاله الوقت
وصار غائب النواب والامراء من مماليكه ومماليك والده ولا يعلم لاحد من الملوك آثار مثل آثاره وآثار مماليكه وخطب
له على منابر عدة بقاع وافتتح كثيرا من البلاد والحصون وأخضع العرب المفسدين وقتل منهم الكثير غير من أسر
منهم واستخدمه في الجسور والترع وأبطل جسد له من المظالم منها ضمان الغواني وهو عبارة عن أخذ مال من النساء
الباغيات فكانت اذا خرجت امرأة للبعاء ونزلت اسمها عند امرأة تسمى الضامنة لا يقدر أحد على منعها وأبطل
ما كان يؤخذ ممن يبيع مملوكا وذلك عن كل ألف درهم عشرون درهما وأبطل الضرب بالمقارع من سائر أعمال مملكته
وكتب بذلك مراسيم قرئت على المنابر وحج ثلاث حجات بذل فيها كثيرا من العطايا والاحسان وزار بيت المقدس
وقبر الخليل عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات وكان أبيض اللون قد وخطه الشيب وفي عينيه حول ورجله اليمنى
ريح شوكه تنغص عليه أحيانا وتولمه وكان لا يكاد يس بها الارض ولا يمشي الا متكئا على شيء وكان شديد البأس جيد
الرأى يتولى الامور بنفسه ويجود لخواصه بالعطايا الكثيرة وكان مهيبا عند أهل مملكته وخواصه بحيث ان الامراء
اذا كانوا عند بالخدمة لا يجسر أحد أن يكلم آخر بكلمة واحدة ولا يلتفت بعضهم إلى بعض خوفا منه ولا يمكن
واحدا أن يذهب إلى بيت أحد البتة فان فعل أحد منهم شيئا من ذلك أخرجه من يومه متفيا وأقنى خلقا كثيرا من

الامراء بلغ عددهم نحو مائتي امير وكان كثيرا التخييل حتى لو تخيل من ابته قتله وفي آخر ايامه شره في جمع المال وصادر
 كثيرا من الامراء والولاة وغيرهم ورمى البضائع على التجار حتى خاف كل من له مال وكان مخادعا كثيرا الخيل لا يقف
 عند قول ولا يفي بعهد ولا يبر في عين ولم يزل قائما على سريره ملكه حتى مرض ومات على فراشه سنة احدى وأربعين
 وسبعمائة وله من العمر ثمان وخسون سنة ودفن مع والده بين القصرين وكانت مدة سلطنته في مصر والشام ثلاثا
 وأربعين سنة وذلك دون اعتزاله السلطنة وفراغه منها نحو أربع سنين ولما مات الملك الناصر ترك أحد عشر من
 الاولاد الذكور وتولى السلطنة بعده ثمانية منهم وأكثرهم كان لا خير فيه فآواهم السلطان الملك المنصور سيف الدين
 أبو بكر مكث شهرين الا يوما وخلصه الامير قوصون نائب السلطنة سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة لفساده وشره الخور
 ونفي هو واخوته الى قوص فقتل هناك ثم تولى الملك الاشرف علاء الدين بكرك أخوه ولم يكمل له من العمر ثمان سنين
 فأقام خمسة أشهر وعشرة أيام وكانت الامور كلها بيد قوصون اتابك السلطنة فأخذ يعهد الامور لنفسه ويعزل ويولي
 في الامراء وقبض على كثير منهم فخذوا عليه وتغصب جماعة من نواب الشام وأمرائهم شهاب الدين أحمد بن
 الناصر وكان في الكرك وانضموا اليه واتفقوا على اقامته في السلطنة بدل أخيه بكرك وقام بمصر الامير ايدوغمش
 وانضم اليه كثير من الامراء والعسكر فقبض على قوصون وسجنه وأرسله الى الاسكندرية مقيدا وسجن بها وخلع
 بكرك في شعبان سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ودخل الى دار الحرم فبقى بها الى أن مات وقام بامور السلطنة بعد
 خلع الامير ايدوغمش الى ان حضر شهاب الدين أحمد بن الناصر فلما جاء في شوال من السنة المذكورة جلس على
 تخت مصر وتلقب بالملك الناصر فسأت سيرته وقبض على جماعة من الامراء وقتل بعضهم ومضى الى الكرك
 فأرسل اليه الامراء في الحضور الى مصر فأبى معذرا بالشتم فخلعوه في المحرم سنة ثلاث وأربعين فكانت مدته ثلاثة
 أشهر وثلاثة عشر يوما وأقام بالكرك الى أن قتل في سنة خمس وأربعين وسبعمائة والذي تولى السلطنة بعده
 أخوه الملك الصالح عماد الدين اسمعيل أبو الفدا في أول سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة فأحسن السيرة وأظهر العدل
 وكان له بروضات وفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة أرسل جندا لقتال أخيه أحمد في الكرك فقاتلوه وحاصروه الى
 ان استسلم فقبضوا عليه وقتل واستمر الصالح في السلطنة الى أن مرض ومات على فراشه سنة ست وأربعين وسبعمائة
 فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وعشرة أيام وكان قد عمر بالقلعة الذهبية واستدعى اليها من دمشق وحاب ألفي
 حجرا بيض وألفي حجرا أحمر وحشرت الجمال لجلها حتى وصلت الى قلعة الجبل وصرف في حولة كل حجر من حباب اثني
 عشر درهما ومن دمشق ثمانية دراهم وجمع لها الرخام والصناع من سائر الجهات وبلغ مصر وفها خمسة مائة ألف
 درهم ثم تولى أخوه الملك الكامل سيف الدين شعبان في منتصف ربيع الثاني من السنة المذكورة فأساء السيرة وصادر
 بخرج الاقطاعات بمال معلوم ويصادر أرباب الوظائف ويأخذ أموالهم قهرا وقبض على جماعة من الامراء واعتقل
 أخويه وهما حاجي وحسين ولدا الناصر في محل من الدهيشة وأراد ان يبنى عليهم ما موزه ليكون قبرا له وما وهما
 بالقبض على بعض الامراء فقاموا عليه وخلصوه وحبس مكان أخويه الى أن قتل وكانت مدته سنة وشهرا وبويع
 بعده أخوه حاجي المذكور فجلس على سرير السلطنة سنة سبع وأربعين وسبعمائة ولقب بالملك المنظر وكانت ولادته
 بطريق الحجاز في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ولدا من حاجي وكان قبيل السيرة يؤثر في حبة الاوباش على أرباب
 الفضائل وانهمك في اللعب وكان أشد قسوة من أخيه فسأت حالته واحتال على الامراء فجاءهم بالقاعة وقتل بعضهم
 واعتقل البعض فنفرت منه القلوب وقام عليه باقي الامراء وقتلوه حتى أمسكوه وذبحوه ودفن في تربة عند الباب
 المحروق وكانت مدته سنة وثمانية شهور ولكن قتل في هذه المدة اليسيرة كثيرا من الامراء وغيرهم وكان يلبغا الصباوى
 لما بلغه ما فعله بالامراء هرب الى الشام لانه كان نائبها فوجه له بعض المماليك فقتلوه وبعثوا برأسه اليه فعلقها على
 باب زويلة ثم تولى بعده أخوه الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن بن الناصر محمد بن قلاوون في ربيع عشر من رمضان
 سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وعمره ثلاث عشرة سنة فعهد الى الامير منجك اليوسفي بالوزارة وجعله استاذا للديار
 المصرية فنقص كثيرا من مصروف الدولة والرواتب ومديده لاخذ الرشوة وصار يولي الوظائف بمال يأخذه ممن
 يتولاهوا اشتدا احتراق النيل مما يلي مصر فاتفق الرأي على سده من بر الحيزة ليتحول الماء الى مصر وكل هذا الامر

الى الامر منجك المذكور فرب لا جمل ذلك على كل دكان درهمين من الفضة وعلى كل نخلة من نخل الشرقية كذلك
الى غير ما ذكر في جمع أموال الوجة وصنع مراكب وشحنها بأحجار اورماها في مجرى النيل مما يلي بر الجيزة فلم تحصل ثمة
وعزل منجك من الوزارة ثم أعيدت اليه بعد قليل ففتح باب الولايات بالمال وجعل من ذلك أموالاً عظيمة واشتد ظلمه
وعسفه وكثرت حوادثه الى أن عزل بعد مدة وجعل الى الاسكندرية فاعة قل بها وصودر في جميع أملاكه وأمواله ثم
أطلق وأعيد اليه بعض ملكه وفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة حصل طاعون عام وفناء عظيم عم ديار مصر وغيرها وقيل
انه لم يسبق مثله فخر بأكثر البلاد ومصر والقاهرة وتعطل الزرع بسبب موت الفلاحين ولم يكن الموت قاصراً على
الادميين بل شمل الطاعون أيضاً الجمال والحمل والحبر والوحوش والطيور وحصل الغلاء واشتد حتى بلغ عن الويبة
من القمح وهي سدس الاردب مائتي درهم فضة وفي سنة احدى وخمسين وسبعمائة جمع السلطان حسن القضاة
الاربعة والامراء ورشد نفسه وبعث أيام قبض على جماعة من الامراء منهم الامير منجك المتقدم ذكره وأرسلهم الى
الشام على طريق الاسكندرية فدخل الامراء من ذلك ما دخلهم الى أن تعصبوا وقاموا عليه في سنة اثنتين وخمسين
وسبعمائة وكان رأس الفتنه الامير طاز فقبضوا عليه وسجنوه بالقلعة في مكان داخل دور الحرم فأقام به الى حين عوده
للسلطنة ثانية كما سيأتي فكانت مدته في هذه المرة ثلاث سنين وتسعة شهور وتولى بعده أخوه الملك الصالح صلاح
الدين صالح في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة يوم خلع أخوه وهو آخر من تسلط منهم ولم
يكن بلغ سنه خمس عشرة سنة فأقام ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ثم خلع لكثرة الهوى وسجن بالقلعة يوم الاثنين
ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة وكان المتكلم في أمر الديار المصرية في مدته الامير طاز المتقدم ذكره وهو
صاحب الدار التي جعلت في زمانها مدرسة للبنات بقرب الصليبية والامير شيخو العمري صاحب الجامع والخانقاه
بالصليبية والامير صرغمش صاحب المدرسة بخط الصليبية أيضاً فكان الامير طاز يسيره كيف يشاء وكان هو الذي
اجلس الصالح على سرير الملك فكان للملك الصالح من السلطنة الاسم وللامير طاز الفعل فنشرت قلوب بعض الامراء من
ذلك وقاموا على الامير طاز وأرادوا القتل به فتعصب بالسلطان ومضى معه لقتالهم ونودي في القاهرة بقتل كل من
وجد من ممالك الامراء الثأرين فقتل منهم في الحارات وداخل البيوت عدد وافر ووقع القتال بين الامير طاز ومعه
السلطان وبين الامراء الثأرين عند خليج الزعفران ووجهة المطرية فكانت النصر للسلطان ومن معه بعد ان قتل في
المعركة كثير من المماليك وفي سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة خرج عن الطاعة بعض نواب المملكة في البلاد الشامية
وانضم اليهم عدد عديد من الامراء والعسكر سوى من التف عليهم من العرب والعشائر فحصلت منهم أمور
شنيعة خصوصاً بدمشق فانهم نهبوا ضياعها وخرّبوا بساتينها وأخشوا في النساء فقام السلطان وسار اليهم وحاربهم
وبدشملهم وقتل كثيراً منهم ورجع منصوراً وزيّنت له مصر وفي سنة أربع وخمسين وسبعمائة خرجت عرب
الصعيد عن الطاعة ونهبوا الغلال وقتلوا العمال فخرج اليهم السلطان بنفسه ومعه جميع الامراء وكان رؤساء
العسكر الامير طاز والامير صرغمش والامير شيخو فأفئوا كثيراً من العرب حتى عمل شيخو منهم اصاطب وبنارات على
شاطئ البحر وحضروا بنحو سبعمائة أسير منهم قتلوا جميعاً بالقاهرة وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة منعت اليهود
والمصارى من مباشرة الدواوين وان لا تريد عمائمهم عن عشرة أذرع ولا يدخل أحد منهم الحمام الا وفي رقبته صليب
ولا تدخل نساؤهم مع نساء المسلمين وان يكون ازار النصرانية أزرق وازار اليهودية أصفر وازار السامرة أحمر وان
يلبسوا الخف لونين كل فردة من لون وفي هذه السنة وثب الامير شيخو العمري ومعه جماعة من الامراء على الملك
الصالح وكان الامير طاز متغيّباً عن القاهرة في البحيرة لاصيد فجهجموا على السلطان وخاعوه من الملك وسجنوه بدور
الحرم يوم الاثنين ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة وفي يوم خلعه عاد للسلطنة الملك الناصر حسن بن الناصر
محمد بن قلاوون باتفاق الامراء الحاضرين فأقام في الملك ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وقام عليه مملوكه الامير
يلبغا وقتله في يوم الاربعاء تاسع جمادى الآولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة وكان ملكاً شجاعاً بطالاً هيباً نافذاً الكلمة
محباً للرعية وقمحت في أيامه جملة قلاع غير أنه كثيراً ما كان يصادر أرباب الوظائف ومات عن سبع وعشرين سنة
منها في السلطنة عشرين سنين ونصف في المرتين وخلف من الاولاد عشرة من الذكور وستة من البنات وكان قد وقع

في نفسه التخلص من امرة المماليك لكثرة ما كانوا يحدثونه من الفتن والثورة على الملوك طمعاً في السلطنة فصار يولي
 الوظائف لاود الناس لكنه لم يتم له ما أراد لضيق مدته عن اتمام ذلك وكثرت الاحزاب وفي مدة سلطنته جعل الأمير
 شيخو العمري أميراً كبيراً وهو أول من سمي بأمير كبير وصار الخلع والعقد اليه والى الأمير صرغتمش وكان بينهما
 وبين الأمير طاز عداوة وكان غائباً فلما حضر قبض عليه وسجنه ثم عفا عنه ووجرت معه أموراً إلى قتله وفي سنة
 ثمان وخمسين وسبعمائة قام أحد المماليك على الأمير شيخو في الديوان وضرب به بخنجر ثلاث ضربات في وجهه فقاموا
 عليه وقتلوه وبقي شيخو مريضاً بجراحاته ثلاثة أشهر وفي داره بحجرة البقرة التي هي الآن حوش برزق ثم مات من ذلك
 ودفن في خانقاهه التي في الصليبة وكانت عدة مماليكه سبعمائة وبلغ من العز والسلطة مبالغاً لم يبلغه غيره وصادراً أكثر
 العمال والامراء من مماليكه ورجاله وكثرت أمواله حتى صار يدخل أملاً كل في اليوم مائتي ألف درهم نفقة سوى
 الانعامات السلطانية والاقادام التي ترد اليه من الشام ومصر والبراطيل على ولاية الأعمال وبعده استقل صرغتمش
 بالكلمة وصار رأس نوبة النوب واتبى العساكر وضرب فلوساً جديدة كل فلس زنته منقال فشمل الناس من ذلك
 ضرر عظيم ومنع ما كان مرتباً بالديور والكنائس من ديوان الاحباس وكان نحو من خمسة وعشرين ألف فدان في بطل
 من حينئذ ما كان بأيدي النصاري من الرزق وزرع كل ذلك على الامراء وهدم كنيسة شبري التي كانت تعرف بكنيسة
 الشهيد وكان بها اصبع يعرف بالصبيح الشهيد كانوا يضعونه في النيل ليزيد به في زعمهم وذلك انهم كانوا كل سنة في ثامن
 بشنس يحتفلون بذلك ويرفعون ان القسا اصبع الشهيد في هذا الاوان يجلب زيادة النيل ويجمع لذلك خلائق
 لا يحصون من مصر والقاهرة وضواحيها ما ينصبون الخيام على ساحل النيل وفي الجزائر ويصرفون في ذلك أموالاً
 لها صورة ويكون يوم قصف وشرب وملاعب زائدة فهدم صرغتمش الكنيسة وأحرق الاصبع في قرايميدان وزالت
 تلك العادة من ذلك العهد ثم انه لما كبره حتى على السلطان نصر منه السلطان وألقى اليه الامراء فيه وحذروه منه وقالوا
 له ان لم تقتله قتل فوجه السلطان أفكاره لهذا الامر حتى قبض عليه في الايوان وأرسله الى الاسكندرية فسجنه بها
 مدة ثم قتله فتحدثت مماليكه وكانوا نحو ثمانمائة ووقع الحرب بينهم وبين عساكر السلطان في الرملة فقتل غالبهم
 ونهبت دورهم ودور سيدهم وخانقاههم ودكاكين الصليبة وكان امراءهم ولا وحينئذ كان الموت واقعاً بمصر فخرج
 السلطان الى الجزيرة وذلك في سنة اثنتين وستين وسبعمائة وكان قد أهداه بعض ملوك اليمن بخيمة غريبة الشكل بدعته
 الصنعة بها قاعة وحمام فنهض بها هناك وصار الناس يذهبون للتفرج عليها فقام بها ثلاثة أشهر وكان قد جعل أمور مصر
 بيد ملوكه يبالغوا في بعض الامراء بينه وبين السلطان فكان السلطان يخشاه على نفسه وانهم ان يقتله وأراد ان
 يكسبه في مخيمه وعلم يبالغاً منه ذلك فأخذ حذره فكمين للسلطان في طريقه فوقعت أموراً إلى قتل السلطان في
 تاسع جمادى الاولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة ومن انشأه المدرسة المعروفة الآن بجامع السلطان حسن بن
 الرملة وحجرة البقرة وكذا أنشأ بالقلعة قاعة البيسرية سنة احدى وستين وسبعمائة فجاءت في غاية الحسن لم ير مثلاً لها
 في المباني الملوكة ارتفاعها في السماء ثمانية وثمانون ذراعاً وعمل بها برج من الابنوس المطعم بالعاج وله باب يدخل
 منه الى أرض كذلك وفيه مقر نص قطعة واحدة يكاد يذهل الناظر اليه بشبابيك ذهب خالص وطرقات ذهب
 مصوغ وشرفات ذهب مصوغ وقبة مصوغة من ذهب صرف فيه ثمانية وثلاثون ألف مثقال من الذهب وصرف في
 مؤثته وأجره ثمة ألف ألف درهم فضة عنها اخسون ألف دينار ذهباً وبصديرايوان هذه القاعة شبك حديد يقارب باب
 زويله يطل على جنيحة بدعته الشبكل وجملة ما دخل فيها من الفضة البيضاء الخالصة المضروبة مائتاً ألفاً وعشرون
 ألف درهم كلها مطلية بالذهب وفي أيام سلطنته أنشأ جامع شيخو وخانقاهه وخانقاه صرغتمش ❶ ويوم موته تولى
 الملك بعده ابن أخيه السلطان صلاح الدين محمد بن مظفر حاجي ولقب بالملك المنصور وعمره أربع عشرة سنة واستبد
 بتدبير الامور الأمير يابغا العمري واستمر الملك المنصور في السلطنة الى أن خلفه يابغا في رابع شعبان سنة أربع وستين
 وسبعمائة وسجنه بالقلعة في دور الحرم وذلك لانه كان مغرباً ما يشرب لا يفيق منه ساعة واحدة ما تلا بكليته الى الانغانى
 والحواري الحسن وبقي الملك المنصور بعد خلفه مشغولاً بالذات الى أن مات مخلولاً سنة احدى وثمانين وسبعمائة
 ودفن في تربة جدته أم أييه خوند طفلي عند الباب المحروق ❷ ثم تولى السلطنة السلطان زين الدين أبو المعالي

شعبان بن حنين بن الناصر محمد بن قلاوون في منتصف شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة ولقب بالملك الأشرف
 وكان عمره عشرين سنة وأقيم في الاتابكية الأمير يلغا العمري فقام بالأمور أصغر من الأشرف وفي سنة سبع وستين
 وسبعمائة أراد أن يجعل الأمير طنبغا الطويل نائب الشام وكان الأمير طنبغا حينئذ في جهة العباسية برأس الوادي
 بتصريف فارس له بذلك صحيفة جملته من الأمر فلم يثبت واتخذ مع الأمر المرسلين إليه ورفعوا اللواء العصية إن فلما بلغ
 الأمير يلغا الخبر أخبر السلطان وقام بالعساكر لقتالهم فوقع بين الفريقين مقتلة قوية عند قبة النصر بقرب الجبل
 الأحمر من العباسية آت إلى انتصار يلغا فقبض عليهم وقتل من قتل وأسرى من أسرى وفي تلك السنة أعني سنة سبع
 وستين وسبعمائة وردت من أكب صاحب قبرس على نغر الاسكندرية وكانت سبعين سفينة حربية مشحونة
 بمقاتلين فطرقوا المدينة على حين غفلة فقام عليهم من نائب الاسكندرية بمن جمعهم من العسكر والعرب وقتلهم
 فمزموه ودخلوا المدينة فنهبوا وقتلوا كثيرا من أهلها ورحلوا عنها قبل وصول عساكر السلطان اليهم ولهذا السبب
 وكثرة افسادهم أكب الأفرنج في البحر وقطعهم طرق التجارة شرعا في انشاء مائة مركب من المراكب الحربية
 بالجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة العبيط لاجل ردعهم ومنعهم فلما كملت توجه اليها السلطان يوم ما ينظرها فتفرج
 عليهم وأعدى إلى الجزيرة ثم مضى إلى الطرانة بتصد النزهة ونصب بمخيماته وكانت مما يليك يلغا يضمرون الخيانة
 لسيدهم ويريدون القتل به سرا فجمعوا عليه ليلا فلم يجدوه لانه كان قد بلغ الخبر فهرب إلى القلعة فتوجه المماليك
 إلى السلطان وأخبروه وجبروه على الاتحاد معهم فلم يسعه غير الموافقة ولما بلغ يلغا هذا الأمر جمع جموعه واستدعى
 بالأمير أنول أخى السلطان من دور الحرم وقلده السلطنة ولقبه بالملك المنصور وسار به إلى الجزيرة الوسطى والسلطان
 الأشرف في برانباة مع المماليك وصار الفريقان يترامون بالشباب والمكاحل إلى أن عدى السلطان بجماعة معه
 على حين غفلة إلى جزيرة الفيصل من جهة الوراق وسار من جهة خليج الزعفران ومن بين اترب حتى طامع إلى القلعة
 وتسمع بذلك من كان مع يلغا ففارقوه وانضموا إلى السلطان الأشرف وانتهى الأمر بالقبض على يلغا وايداعه
 السجن ثم تسلمته ممالكه عند الصرة ودفن عند الباب المحروق وكان قد بلغ من العظمة ما بلغ وكانت عدة
 ممالكه نحو ثلاثة آلاف مملوك وهو صاحب الدار التي محلها الآن ورشة الخوض المرصود وبعد موته تعين بدله في
 الاتابكية استمر الناصري بعد فتنة كثيرة مات فيها كثير من الأمر فالتفت ممالكه يلغا على استدمرو كانوا
 من أنجس خلق الله فأكثروا النهب وهتكوا الأعراض واتحدوا مع استدمر على النشك بالسلطان فتعصب الزعر
 وكثير من العسكر للسلطان وحصل بينهم وبين استدمر وجماعتهم واقعات انتهت بالقبض على استدمر وسجنه
 وتداول الاتابكية بعد استدمر أربعة من الأمر وهم يلغا اص ومنه كل يغا السيفي والجاني اليوسفي ومنجك
 اليوسفي فلم تخل أيامهم من الهرج والمرج والثورة على السلطان والتعاظم عليه ومنهم الجاني اليوسفي تزوج خوند
 بركة أم السلطان وهي صاحبة المدرسة المعروفة بجامع أم السلطان في التبانة وماتت في عصمته فحصل بسبب ميراثه
 تغير بينه وبين السلطان وجرت بسبب ذلك قتل ووقائع مات فيها الجاني اليوسفي وخلفه في الاتابكية منجك اليوسفي
 وبقى بها إلى أن مات سنة ست وسبعين وسبعمائة فلم يول السلطان أحدا بعده وتولى الأمور بنفسه وكانت تلك المدة
 كلها مدة هرج ومرج ووقعت فيها وقائع كثيرة تارة بالرميلة وتارة بجهة بولاق وفي الجزيرة أوفى ضواحي القاهرة
 ومصر وتخرب فيها كثير من الدور الشهيرة والمباني الفاخرة وتعطل فيها كثير من المتاجر وخسرها الناس خسائر
 لا تحصى وفي خلال ذلك رسم السلطان الأشرف للاشراف سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بخضرة العمامة امتازوا بها
 عن غيرهم اظهرا لشرفهم وتعظيم حالتهم وفي سنة ست وسبعين قصر مد النيل فحصل الغلاء والفناء وفي سنة ثمان
 وسبعين أبطل ما كان يؤخذ على أصحاب الأغاني من رجل ونساء وأبطل القراريط وهي ما كان يؤخذ إذا باع أحد
 ملكه وذلك على كل ألف درهم عشرون درهما وفي تلك السنة سار السلطان الأشرف للعج إلى بيت الله الحرام فلما
 وصل إلى العقبة ثارت عليه المماليك ففر راجعا إلى القاهرة واختفى في دار امرأة بالجودرية إلى أن قبض عليه فاخذ
 وخنق في سادس ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وكسر ظهره ووضع في زنبيل وألقى في بئر ثم أخذ ودفن في
 مدرسة أمه وكان ذا حرمة وعظمة ومعرفته بالأمور وولي في أيامه الكثير من أولاد الناس المناصب السامية والوظائف

الخليلة وافتتح عدة مدن وأنشأ مدرسة برأس الصوة تجاه القلعة عرفت بالمدرسة الاشرفية ثم هدمت في مدة سلطنة
فرج بن برقوق ثم أنشئ في محالها المارستان المؤيدى في أيام السلطان المؤيد شيخ ولم يبق منها الا باب واحد موجود عند
تسكة الانعام في جهة الرملة الى الآن وهو في غاية الحسن والاتقان وكان يوم قيام المماليك على الاشرف في جهة
العقبة أشيع في القاهرة موته فأقيم في السلطنة بعده ابنه على علاء الدين سنة ثمان وسبعين وسبع مائة وألقب بالملك
المنصور ٥ ولما تولى الملك المنصور السلطنة كان عمره سبع سنين وتولى النيابة المقر السيفي اقتمر الصاحبى الشهير
بالحنبل وطشقر الحمدي الشهير باللقاف أتابك العسكر ولصغر سن السلطان ارتبكت الامور واضطربت الاحوال
ووقعت حروب آلت الى عزل النائب والاتبك وتولية الامير آيتك البدرى أتابك العسكر وكان رأس العصبة فلما تولى
أخذ في عزل والتولية وسجن بعض الامراء وقتل البعض وأسكن بعض مماليكه في مدرسة السلطان حسن وبعضهم
في مدرسة السلطان شعبان برأس الصوة واستبد بالامور وبلغه ان عمال الشام رفعوا راية العصيان فجهز اليهم جيشا
جرا وخرج اليهم مع السلطان وفي أثناء الطريق هرب بعض الامراء ورجع الى مصر وتحشد مع كثير من الامراء
وغيرهم فلما بلغ أتابك ذلك رجع هو والسلطان وقائلا العصاة في الرملة فانتصر العصاة وقبضوا على الاتبك
وحبس بالاسكندرية وتداول النيابة والاتبكية وغيرهما من الوظائف جماعة من الامراء كل أيامهم فتن ومحن
ومن جملتهم الامير برقوق العثماني وفي سنة تسع وسبعين وسبع مائة حصل حريق هائل بظاهر باب زويلة عند باب دار
التفاح مكث يومين بلبا اليهما فاحترقت دار التفاح والرباع التي حوله ووصلت النار الى البراذعين وعند الموازين
فاحترق نحو خمس مائة دار ولولا سور القاهرة لاحتقر نصف المدينة ولما صار الامير برقوق تصرف في الامور برأيه
فاوقع بكثير من الامراء وسجن من سجن ونفى من نفى فقام عليه باقى الامراء وقتلوه مرارا ومكوا القلعة فحاصروهم
حتى أخلاها منهم وقتل منهم عددا وافرا وتمكن من باقيهم وحبسهم بالاسكندرية وفي سنة احدى وثمانين وسبع مائة
هجمت العرب على دمنهور البحيرة ونهبوها ونهبوا كثيرا من قرى البحيرة فتوجهت اليهم جملة من العساكر فقاتلوهم
وانتصر العسكر عليهم وقتلوا منهم جملة وأسروا نساءهم وأطفالا لهم واتوا بهم الى القاهرة ودخلوها في موكب هائل
وباعوهم بها يسع الارقاء وفي خلال تلك الحوادث حصل وباء عظيم مات فيه السلطان سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة
ومدته خمس سنين وأشهر وكانت نفس برقوق مائلة الى الجلوس على تخت السلطنة ككل من تولى الاتبكية لكنه
خاف من الامراء فاجلس على التخت السلطان زين الدين حاجي أخا الاشرف سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة وألقبه بالملك
الصالح ٥ ولما تولى الملك الصالح حاجي كان عمره احدى عشرة سنة فلم يكن له من السلطنة سوى الاسم وكان الكلام
كاه لبرقوق وكانت المملوك في غاية الاضطراب لان كل واحد من الامراء كان يريد الرياسة فكانوا يوقدون نيران الفتن
وكذلك العرب كانت تعربد في البلاد وعلم برقوق اتفاق بعض المماليك السلطانية مع أحد مماليكه على الفتك به فقام
برقوق واتحد مع خشداشيه وهجم على باب السلسلة الذي هو باب العزب أحد ابواب القلعة واستحضر الخليفة
الموجود وهو المتوكل على الله العباسي والقضاة الاربعة وسائر الامراء فلما اجتمعوا في باب السلسلة قام القاضي
بدر الدين بن فضل الله كاتب السر وقال يا أمير المؤمنين وياسادات القضاة ان احوال المملوك قد فسدت وزاد فساد
العرب في البلاد وها هم غالب النواب في البلاد الشامية وخرجوا عن الطاعة والاحوال غير مستقيمة والوقت محتاج
الى اقامة سلطان كبير تجتمع فيه الكلمة ويسكن الاضطراب فتكلم القضاة مع الخليفة في سلطنة الاتبك برقوق
فخلعوا الملك الصالح حاجي من السلطنة وتقررت بينهم سلطنة برقوق ودخل الملك الصالح دور الحرم عند اخوته فكانت
مدة سلطنته بعد أخيه سنة وشهورا فكان من تولى السلطنة من ذرية الناصر اثني عشر أقاموا فيها ثلاثا وأربعين
سنة مع ان الناصر محمد بن قلاوون أقام بها أربعين سنة ومدة كل واحد كانت أهوالا وشدايد حتى اشتد الضرر
بالناس ومع ذلك حدثت في مدتهم العمائر الكثيرة بيولا والقاهرة وضواحيها وأغلبها كان في الرحاب التي كانت
بالقاهرة زمن الدولة الفاطمية والدولة الايوبية

(دولة المماليك الجراكسة)

أول من تسلط منهم هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن أنص في أواخر سنة أربع وثمانين وسبع مائة وهو

بحركسى الجنس أخذ من بلاد الجركس وبيع ببلاد القريم وجلب الى القاهرة فاشتراه الامير الكبير ببلغا الخاصكى وأعتقه وجعله من جملة مماليك الاجلاب وعرف برقوق العثماني نسبة الى بائعته الخواجه نقر الدين عثمان بن مسافر فلما قتل ببلغا في زمن الملك الاشرف أخرجه مع المماليك الاجلاب الى الكرك فاقام مسجوناً به اربعة سنين ثم أطلقه والذين كانوا معه فمضوا الى دمشق وخدموا عند الامير منجك نائب الشام الى أن طلب الاشرف المماليك اليلبغاوية فقدم برقوق في جلته وامنهم واستقر وافي خدمة على قواجي ولدى الاشرف وعرفوا باليلبغاوية وصار برقوق من الامراء المعدودين الى أن تسلطن بعد خلع حاجي كما تقدم وكان قد سمي برقوقاً لحظوظ في عينييه ومن قبل تلك المدة كان شراء المماليك أمر ألفه الملوك والامراء ليقبضوا بهم وكان السلطان الملك المنصور قلاوون اشترى من الجركس واللاظ عدداً وافراً يبلغ ثلاثه آلاف وسبعمائة مملوك وعمل منهم أوجاقيه وجقदारيه وجاشنكيرييه وسلمداريه وجعلهم في ابراج القلعة واقتنى أثره في ذلك غيره ففي آخر سلطنة الملك الصالح زين الدين حاجي كانت الاحوال مضطربة اصغر سنه كما مر وكان كل امير متطلباً الى السلطنة فتغلب الامير برقوق وتولى الامور ثم تغلب على السلطان وخلعه وجلس على تخت الملك على وجه ما تقدم ومن انشائه المدرسة البرقوقية بدأ فيها سنة سبع وثمانين وسبعمائة وتمت في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة فكانت مدة العمل فيها سنة وكان المباشر للعمل فيها الامير جركس الخليلي ولما استقر برقوق في الملك أخذ يكثر من شراء المماليك ورخص لهم في سكنى القاهرة وفي التزوج فنزلوا من الطباق في القلعة وتزوجوا بنساء أهل المدينة وأخذوا الى البطالة وتغيرت أحوال الدولة وعواثدها ثم رفع نواب البلاد الشامية لواء العصيان ووقع بينهم وبين عساكر مصر وقائع سنك فيها كثير من الدماء ودام الاضطراب حتى حضر ببلغا الناصري بعساكره من الشام فحارب عساكر السلطان برقوق خارج باب النصر فانهم زمت عساكر السلطان واخفى برقوق واستولى ببلغا على القلعة فأخرج حاجي بن الاشرف من دور الحرم وولاه السلطنة واقبضه بالمنصور ثم قبض ببلغا على كثير من الامراء وامتدت أيدي العساكر الشامية الى النهب والسلب فنهبوا جهة باب النصر والركن الخلق وجهات أخرى فارتجت القاهرة لذلك وكثر الناس من العويل والشكوى الى ببلغا فنع ذلك ثم أخرج من مصر جميع مماليك الظاهر برقوق وأكثرت البعث عنه حتى عثر به فقبض عليه وأرسله مسجوناً الى الكرك وبعد ذلك حصلت عداوة بين الامير منطاش وبين الاتابك ببلغا بسبب عنها فتنة ومحاربة في الرملة آل أمرها الى حرب ببلغا وجماعته وصار الخلق والعقيد يد منطاش فعزل وولى وتصرف تصرفاً مطلقاً وفي تلك المدة تمكن الملك الظاهر برقوق من الخروج من الكرك فخرج وانضم اليه مماليكه وكثير من العرب وحصل له مع ولاية الشام والملك المنصور وقعات عديدة انتهت برجوعه الى السلطنة ثانياً وكان الامير منطاش قد هرب في الوقعة الاخيرة فبعد عود الظاهر برقوق للسلطنة مال اليه كثير من الناس وصار يجمع على البلاد الشامية ويقتل ويسلب وحصل له وقعات مع نواب الشام انتهت بقتل منطاش وأتى برأسه فعلق على باب زويلة وفرح السلطان برقوق بقتله فرحاً شديداً وكان المتولى الاتابك كية الامير لاجين الجوى وفي تلك المدة كان تيمورلنك يعثو في البلاد بجيوشه الباغية وأخرب بلاداً كثيرة وحصل بينه وبين المصريين وقعات كثيرة واستوات عساكره على بغداد وفرصا حياها القناتاجر وحضر الى مصر فأكرمه السلطان وأمرته في دار الامير طقوز دمور المظلة على بركة الفيل وهي محل المدارس الميرية الآن في درب الجماسين ثم جهز جيشاً وسار معه بنفسه الى الشام وكان تيمورلنك قد رحل عنها ورجع السلطان برقوق الى مصر وتوجه الى ملكته فكانت هذه المدة حروباً وشدايد ووقع فيها غلاء وباء بديار مصر بسبب منه خراب كثير من البلاد وكثير من الدور والحارات في القاهرة وغيرها من المدن واستمر السلطان برقوق في الملك الى أن مات على فراشه سنة احدى وثمانمائة ودفن في تربته بالصحرى فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ست عشرة سنة وشهور اربعة أشهر من السلطنة الاولى ست سنين وشهور والثانية تسع سنين وشهور ومدة اتابكيتيه أربع سنين وشهور ولما مات كان له من العمر ثلاث وستون سنة وخلف من الاولاد ستة وثلاثين من الذكور وثلاث من الاناث وخلف في الخزائن من المال ألف ألف دينار وأربع مائة ألف دينار ومن الخيل اثني عشر ألف فرس ومن الجمال خمسة آلاف جمل ومثلها من البغال وكان كثير البر والصدقات فكان يفرق

كل سنة سبعة آلاف إردب على الزوايا والمزارات وأبطل في أيامه مكوسا كثيرة بمصر والشام وعظم أمره حتى خطب باسمه في أماكن لم يخطب فيها لاحد قبله فخطب باسمه في توريز من بلاد العجم وفي الموصل وفي ماردين وفي سنجار وضربت السكة باسمه في جميع هذه البقاع وأراد أن ينقض الأوقاف فنهه من ذلك السراج البلقيني والعلماء وكان في يومى الاحد والاربعاء ينزل الى باب السلسلة ويجلس بالاصطبل لسماع الشكاوى والمظالم وهو أول من رتب شرب القمح في الميدان تحت القلعة والقمرز لبن مصنوع مخض فيه اسكار فكانت الامراء تجتمع كل يوم أربعاء في الميدان فتدور عليهم السقاة بزبادى القمح وصار ذلك من شعائر السلطنة ٥ وفي أيامه أبطل ما كان يعمل بالديار المصرية يوم النيروز (وهو أول يوم من السنة القبطية) من اجتماع الكثير من أراذل الناس على أبواب الاكابر والاعيان ويجعلون لهم أميراً يسمى أمير النيروز فيقر رتباً بالغ على كل أمير فن أعطاه مارسم كف عنه والأشبهه ذماً وشتماً وكانوا يقدفون في الطرقات ويرشون من مر بالمياه النجسة ويضربونهم بالبيض النى وغير ذلك من القبائح حتى كانت الناس ذلك اليوم لا يخرجون من بيوتهم ويغلقون دكاكينهم وتتعطل الأشغال جميعها وقبل موته كان قد عين لابنته ابنة تيمش الجبلى عوضاً عن كشمبغا فلما اشتد عليه المرض جعل ابنه ولي عهده ٥ فلما مات تولى ابنه الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج سنة احدى وثمانمائة وعمره نحو العشر سنين فلم يلبث أن قام ايتمش بما يليكه يريد خلع السلطان فتحزب عليه مما يليك انظاهر مع كثير من الامراء وانتشب الحرب بين الفريقين في الرملة وحول القلعة فانهمز ايتمش وفر الى الشام وقتل في هذه الواقعة كثير من الناس ونهب العوام بيوت الامراء الذين هربوا معه ونهبوا مدرسة ايتمش التى عند باب الوزير وأحرقوا ربعه المجاور للمدرسة وحفروا قبر أولاده بطن أن فيه ما لا فـ لم يعثر على شئ ونهبوا جامع آق سنقر المجاور لدار ايتمش وهو المعروف الآن بجامع ابراهيم أغا بالسبانية ونهبوا قبة خوندز هراء بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون المجاورة لدار ايتمش ونهبوا وكالة ايتمش ومدرسة السلطان حسن وأحرقوا بابها الكون ايتمش كان يحاصر القلعة منها ولم يزل النهب مستمرا مدة يومين وازداد امر العوام حتى كسروا باب حبس الرحبة وأطلقوا من كان به من المحاييس وماجت المدينة وتعطل البيع والشراء واضطربت أحوال الناس وتعين بدل ايتمش فى الاتابكية بيبرس السيفي فهذهت الحال فى المدينة والنف ايتمش على بعض نواب الشام وعثوا هناك بالقتل والسلب فجهز اليه السلطان جيشا جارا وسار اليه وبعد وقعات قبض على ايتمش وقطع رأسه وقتل كثيرا ممن معه وأرسل برأسه فعلق على باب زويلة ثم رحل الى مصر ودخلها فى موكب هائل ولما دخلت سنة ثلاث وثمانمائة كانت عساكر تيمورلنك قد انتشرت فى جميع جهات الشام ودمروا ما وصلوا اليه من البلاد لاسيما حلب فانه تمكن منها بعد محاربتها وانهمز ام عساكر السلطان وقتل كثير منهم فاستمر القتل فى المدينة ثلاثة أيام فقتلوا الرجال وسبوا البنين والبنات واقتضوا الابكار وهتكوا الاعراض وأحرقوا الدور وقلموا الاشجار وأسرفوا فى السبل فى جميع البلاد حتى قيل انه بنى من الرؤس عشر منارات دور كل منارة عشرون ذراعا فى مثلها ارتفاعا وجعلوا النور جوه منها بارزة تدرى عليها الرياح وتركوها للكلاب والوحوش ويقال ان قتلى مدينة حلب بلغوا نحو مائة ألف من أنف نفوس وكذا فعل بحماة ودمشق وأحرقها عن آخرها ولما أراد الرحيل عن دمشق جمعوا له أطفال المدينة الذين أسر أهلهم وأكبرهم ابن خمس سنين ليرقاهم وكانوا نحو عشرة آلاف نفس فأمر تيمورلنك عساكره أن يسوقوا عليهم بالخيول فساقوا عليهم حتى أتوا على آخرهم كل ذلك والسلطان فرج فى لهو وشرب وخطوطة مع الملاح والندماء وتوقف النيل وحل الوباء والغلاء بديار مصر حتى قيل ان أهل الصعيد باعوا أولادهم وقد سخط الامراء على السلطان وسخط عليهم فثارت الفتن فى كل جهة وهاجت عرب الشرقية وكثر النهب واستمر ذلك الى سنة ثمان وثمانمائة فقام بيبرس على السلطان وأراد الفتك به فهرب ٥ وأقام بيبرس بدله السلطان عز الدين عبد العزيز أخا الناصر فرج وعمره عشر سنين وتلقب بالملك المنصور ولم يبق فى السلطنة الا نحو شهرين وفى مدته صار بيبرس هو الاتابكي ويده الحل والعقد وليس للمنصور غير الاسم وانخفضت كلمة المعز السيفي بشتك الدواد فزع عليه ذلك وحزب الاحزاب وكان الناصر فرج مخفيا فظهر واقتربت الامراء والعساكر فرقتين ووقع الحرب بينهما فى الرملة وقراميدان وأطرافهما فقتل خلق كثير ونهمز بيبرس ٥ ورجع السلطان الناصر

فرج للسلطنة ثانيا ورسم لآخيه عز الدين بالدخول في دور الحرم وعين المقر السيفي تغري بردي أتابك العسكر وقبض على أكثر الامراء المتعصبين وعلى يبيبرس وأرسلهم الى سجن الاسكندرية والتفت الى عماليك أبيه فصار يذبح منهم بيده كل ليلة نحو العشرين وأكثر من الشرب والفسق فهرب أكثر عماليك أبيه ورفع الامير شيخ المجودي لواء العصيان بالشام والتف عليه كثير من الناس وكان معهم الخليفة المستعين بالله العباسي والقضاة الاربعة فتوجه اليه السلطان الناصر فرج بجيش جرأه لالتقي الجمعان في ضيعة من الشام تعرف باللجون ففارق الناصر من كان معه وخذلوه وخذلوا فهرب فلحقوا به وقبضوا عليه وحبس في برج بقاعة دمشق ثم دخل عليه جماعة من الفداوية وقتلوه بالخناجر فلما أصبح الصباح ألقى على منبله خارج البلد فيق على هذه الحالة ثلاثة أيام ثم دفن بمقبرة دمشق فكانت مدته بالبلاد المصرية والديار الشامية ثلاث عشرة سنة وشهور اوله من العمر نحو ست وعشرين سنة وخلف من الاولاد خمسة ذكور وأربع اناث وكان شجاعا مقداما غير انه كان سفاكا لا داما مسرفا على نفسه ومنهم من كان على شرب الخمر وسماع الزمر وكثير الجهل قليل الدين وله من المباني بالقاهرة مدرسة تجاه باب زويلة عرفت بالدهيشة وعمر الجامع الذي في داخل الحوش السلطاني بالقاعة وجدد بالدهيشة التي في القلعة أشياء كثيرة وعمر الربعين اللذين بقرب جامع الصالح خارج باب زويلة وغير ذلك من المباني وفي أيامه احترق نحو الثلث من الحرم الشريف بمكة المعظمة وأنت النار على أكثر من مائة وثلاثين عمودا وعلى باب العمرة فبعث بعشرة آلاف دينار صرفت على عمارة وعملت العمد من البحر الاسود عوضا عن الرخام لتعذر وجود الرخام وقتئذ وكان المتولى أمور المملكة الامير سعد الدين ابراهيم ابن عبد الرزاق بن غراب الاسكندراني واستولى على كثير من الوظائف فكان ناظر الخاص وناظر الجيوش واستادار السلطان وكاتب السر وأحد امراء الالوف الا كبر فتصرف في الامور أسوأ تصرف رهو من تسبب في تخريب اقليم مصر فانه ما زال يرفع قيمة الذهب حتى بلغ صرف الدينار مائتين وخمسين درهما من الفلوس بعدما كان صرفه خمسة وعشرين درهما من الفلوس فسدت بذلك معاملته الاقليم وقتل النفود وغلط الاسعار فسادت أحوال الناس وزالت البهجة وانطوى بساط الرقة وانقطعت رواتب اللحم وغيره حتى عن عماليك الطباق مع قتلهم ورتب للواحد منهم عشرة دراهم من الفلوس فصار غذاؤهم غالبا الفول المصالح عجزا عن شراء اللحم ونحو ذلك مات سعد الدين المذكور في مدة الناصر فرج سنة ثمان وثمانمائة وكانت جنازته حافلة شهدها كثير من الامراء والاعيان وأرباب الوظائف حتى استأجر الناس السقائف والحوانيت لآهدهم وانزل السلطان للصلاة عليه ولما قتل السلطان الناصر فرج سنة أربع عشرة وثمانمائة كما مر كان في امكان الامير شيخ المجودي أن يتسلط لئلا يكون له آخر نفسه وقدم الخليفة العباسي للسلطنة حتى لا يكون عرضة لهام الذين فان الاحوال كانت مضطربة والفتن قائمة في جميع أنحاء المملكة من مصر والشام وتداعى للخراب كثير من المحلات بالقاهرة وغيرها من المدن والبلدان أكثر الصعيد وأسفل الارض حتى صار كثير من الاماكن تلالا وقلات موحشة وخلت الخزائن من الاموال فتأخر شيخ عن الاستيلاء على تخت السلطنة فربما يتمكن من عهد الامور وتقرير الاحوال وولى السلطنة امير المؤمنين الخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباس بن محمد العباسي فاقام به اسبعة شهور وولى النيابة المؤيد شيخ فشاركه المؤيد في الخطبة وصار الامر للمؤيد فتغلب على السلطنة وصار الخليفة معه في غاية الضنك محجورا عليه لا يتمكن من كتب منشورا ومرسوم حتى يعرضه على الاتابك فلم يكن له في السلطنة مع الاتابك غير مجرد الاسم وكل الامر بيد الاتابك شيخ الى أن بدالاتك أن يخلع الخليفة ويتسلط فاحضر القضاة الاربعة وسائر الامراء وخلصه من السلطنة ولم يخلفه من الخلافة وابتاه في القلعة تحت الحجر ثم خلعه من الخلافة أيضا وأرسله مسجونا الى الاسكندرية فاستقر بالسجن الى زمن الملك الاشرف برسباي فاخرج من السجن وأسكن هناك الى أن مات في الوفاة الذي وقع في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ودفن هناك وفي اثر خلع الخليفة المذكور من السلطنة سنة خمس عشرة وثمانمائة جلس على تخت المملكة السلطان أبو النصر شيخ المجودي الظاهري أحد عماليك الظاهر برقوق في شهر شعبان من تلك السنة وتلقب بالملك المؤيد وما وصل الى نوروز نائب الشام أخبار خلع الخليفة وتسلط المؤيد شيخ وكان نوروز هو القائم مع شيخ والمعاضد له لم يذعن بالطاعة واستمر بخطاب باسم الخليفة فسار اليه المؤيد وجاربه حتى قبض عليه وقتله وعاد الى القاهرة وولى منكلي بغا الشمسي محتسبا

بالقاهرة وهو أول من تولى الحسبة من أولاد الترك وفي سنة ثمان عشرة وثمانمائة خلع نواب الشام بقعة الطاعة
 ثانياً فسار إليهم فهر يوا منه واستبدلهم بغيرهم ممن يثق بهم ومن البلاد الشامية وعاد إلى القاهرة وصفاله الوقت
 وأطمأنت البلاد ولما صفا للسلطان الوقت أكثر من شراء المماليك وأخذ في اللهو والقصف وصار أغلب أوقاته
 يولاق ووقع في زمنه ويا وغلام من ابتداء سنة ثمان عشرة إلى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة حتى حصل للناس
 من ذلك ضرر كثير ولما مات ابنه إبراهيم وجد عليه وجداً شديداً مع أنه هو الذي قتله بالسهم فيما يقال لما بلغه أنه متطلع
 إلى اقتزاع السلطنة منه ثم دفنه في قبة الجامع المؤيد الذي أنشأه في داخل باب زويلة ثم مات خوفاً من معه وكان
 مقدماً ما خيراً بالأمور يحب العلم والعلماء وله شعر ومعرفته لكنه كان سناً كالدماء قتل كثيراً من النواب وكان كثير
 المصادر وأحدث كثيراً من المظالم وأخذ من جامعته من البيوت والمساجد وأخذ نواب جامع السلطان حسن
 وعمودي سماً من قبله جامع قوصون ووزع الأخشاب ودهانها على المباشرين وكانت وفاته سنة أربع وعشرين
 وثمانمائة وتولى المملكة بعده ابنه أبو السعادات أحمد بن المؤيد شيخ ولقب بالملك المظفر وعمره دون سنتين تعصب له
 مماليكاً أئمه وكانوا خمسة آلاف مملوك فسلطوه ورضيعاً وجعلوا التصرف في المملكة للامير طربسبب أنه لما مات
 السلطان المؤيد تزوج زوجته أم ابنه السلطان أبي السعادات المذكور فأخذ بزمام الأحكام وأغدى على المماليك
 فأنضموا إليه وكانت الأمور مضطربة في البلاد الشامية لقيام النواب ورفع التابك الامير طربسبب الوفاء العصيان
 فجهر ططر العساكر وسافر إلى الشام واستحب معه السلطان بمرضته فغلب العصابة وقتل منهم عدداً وافراً
 ورجع إلى مصر ظافراً وصفاله الوقت فسوت له نفسه خلع السلطان فخلعه وأرسله إلى سجن الاسكندرية مع
 مرضته ودادته وبقي محبوساً إلى أن بلغ سنه إحدى عشرة سنة ومات وهو في السجن فنقل إلى القاهرة ودفن مع أبيه
 وفي سنة أربع وعشرين وثمانمائة المذكورة زاد النيل زيادة مفرطة واستمرت الزيادة إلى آخرها تورول بعهد
 ذلك قط في الاسلام فحصل للناس الضرر الشامل واستجرت الاراضي وغرق أكثر البساتين وفات أوان الزرع
 وانقطعت الطرق لكثرة الما فكان ما حصل للناس بأسباب هذه الحادثة من الضرر والكآبة مع ما هم فيه من المحن
 والفتن جرحاً على جرح ولما خلع أحمد بن المؤيد تولى السلطنة الملك سيف الدين أبو الفتح ططر الظاهري الحر كسي
 المذكور في سنة أربع وعشرين وثمانمائة وقبب بالملك الظاهر فلم يلبث أن مرض ومات ولم يمكث في السلطنة غير
 ثلاثة أشهر ويومين ومع ذلك فقد أفتى كثيراً من الأمراء وهو من مماليك الظاهر برقوق وكان كثير الحيلة والتدبير
 ولكن غلبته حيلة زوجته فانه يقال انه لما خلع ابنه اشغلت به بالسهم فكان سبب موته وانه طلقها قبل موته بقليل وقد
 عهد لابنه محمد فتولى الملك بعده وسنه عشرين وأقبب بالملك الصالح أبي النصر فأقام في السلطنة أربعة أشهر
 وأربعة أيام ثم خلع وكانت أمور المملكة في أيامه بيد المعز التابكي جان بيك العوفي فلم يكن للسلطان معه الا مجرد الاسم
 فعز ذلك على الأمراء تعصبوا مع الامير برسببى الدقاق وقبضوا على التابكي وبه ثوابه إلى سجن الاسكندرية
 وخلعوا السلطان الصالح وسلطوا برسببى وبقي الصالح مع أمه خوندبركة بنت الامير شودون القبة في القلعة ثم
 أذن له في النزول من القلعة والركوب إلى زيارة ولده فلم يزل على ذلك إلى أن مات سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ودفن
 مع أبيه ططر عند قبر الامام الليث رضى الله عنه وبعد موته أمر بنزول ذرية الملوك السالفة من القلعة فنزلوا وسكنوا
 المدينة وكان يقال لهم أولاد الاسياد ولما تولى السلطنة السلطان سيف الدين أبو النصر برسببى الدقاق سنة خمس
 وعشرين وثمانمائة لقب بالملك الأشرف وبولايته سكنت النتن واستقرت الاحوال وجعل جان بيك التابكا ثم رأى
 منه الغدر فشغله في حلوى وولى بدله جتتمق العلاقى وحصل في زمنه طاعون وحارب ملك قبرس وأحضره إلى مصر
 أسيراً وعلق خودته على باب مدرسته الاشرفية التي بناها في سلطنته عند الوراقين بقرب الغورية وأثبت وقفيتها في
 جدرانها بكتابة بارزة من يد الجرد اخل المتصورة حرصاً على بقاء أوقافها ومع هذا لم يشد ذلك فائدة فقد لحقها ما لحق
 غيرها من الاضمحلال وبني أيضاً مدرسة بخانقاهه سر ياقوس لم ير أحسن منها وله وكالة بالصليبية عليها ريعان وله عمارات
 كثيرة بمصر ومكة والشام وقد تغيرت تلك الآثار بعده بتداول الايام وزوال بعضها بالكلية وأقام الأشرف برسببى
 في السلطنة ست عشرة سنة ومرض فاشتد به المرض واعتريته ما ليخوليا وخفة في العقل فرسم بأمور منها أن لا يخرج

امراة من بين مطلقا فكانت الغاسلة اذا خرجت الى ميتة تأخذ ورقة من الخشب فتجعلها على رأسها حتى تمشي في السوق ونادى أن لا يلبس فلاح زناطام مطلقا ورسم بتوسيط اثنين من الحكماء فوسطا وهما الرئيس خضر والرئيس شمس الدين بن العفيف واستقر على ذلك حتى مات في شهر ذي الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة ودفن بترتبه التي أنشأها عند البروقية بالحجارة وكان له من العمر نحو خمسة وسبعين سنة وكان ذا سكنة وقار ومهابة مع لين جانب ذامعرفة باحوال السلطنة كثير البر والصدقات لكنه كان كثير الطمع في تحصيل الأموال محبا لجمعها من المباشرين وغيرهم ومن محاسنه ابطال عادة تقبيل الارض وكان ذلك معتادا من زمن من قبله من الملوك حتى أبطله اكتناه بتقبيل اليد وحسن النقود حتى كانت نقوده من أجود الذهب والفضة وكان الناس يرغبون فيها ثم تولى ابنه السلطان جمال الدين يوسف بعهد من أبيه وسنه نحو خمس عشرة سنة ولقب بالملك العزيز فاقام ثلاثة أشهر وخلع وبقى الى أن مات بالاسكندرية في أيام الظاهر خشيدهم وسبب خله ان المماليك الاشرفية لما رأوا انصرف الاتابكي حقه في العلائق واستقلاله واحتقاره لسيدهم قاموا عليه وأرادوا قتله فتعصب معه بعض الامراء والمماليك وأوقعوا بمماليك الاشرف فقتل من قتل منهم وفتر من فتر وخلعوا السلطان ثم تولى بعده الاتابك ابوسعيد جقمق المذكور أحد مماليك الظاهر برقوق ولقب بالملك الظاهر سيف الدين ثم جاءت الاخبار بخروج نائب حلب ونائب دمشق عن طاعته فقتلها ما وعلق رؤسهما على باب زويلة فصناله لوقت وعمر في سلطنته جوامع ومساجد وبقناطر وغيرها وكان كثير الاحسان وغزا قبرس واستولى منها على كثير من الأموال والانفس وفي مدته قام العبيد سنة ست وأربعين وثمانمائة وتعصبوا في الجزيرة وجعلوا لهم سلطانا ووزراء فوجه اليهم جلد من المماليك فقتلوا كثيرهم ثم قبض على باقيهم ووضع فيهم القيود وباعهم في المملحة العثمانية وأخلى منهم الديار المصرية وفي سنة تسع وأربعين وثمانمائة وقع طاعون عظيم مات به كثير من الاغراب وجاء بعده غلاء بيع فيه الاربع من القمح بخمسة اشرفيات الى سبعة وغلا سعر كل شئ وعم الغلاء سائر البلاد وشرق أكثر الارض وماتت البساتين والبهائم وفي سنة سبع وخسين وثمانمائة مرض السلطان جقمق فلما اشتد به المرض فوض السلطنة الى ولده عثمان ثم مات وعمره احدى وثمانون سنة وكانت مدة سلطنته أربع عشرة سنة وكان ملكا جليلا محسنا الى الامراء السراكية مظلما لهم فصيح اللسان بالعبودية وكان عنده حدة زائدة وصادر كثير من الناس وكان اذا سمع بأن أحدا يسكر قطع جامكته ونفاه وهدم كثيرا من كنائس النصارى وأراق الخمر وولما تولى السلطنة ابنه السلطان أبو السعادات عثمان لقب بالملك المنصور ولم يكن اذذاك في الخزانة أموال تصرف على العساكر فأشار عليه القاضي جمال الدين ناظر الخاوص بضرب دنانير تنقص عن الاشرفية قيراطين فضربها وسمها المناصرة وصرف منها على العساكر فلم تظمئن العساكر لذلك واتفق الاشرفية مع السينية والمؤيدية على خلع السلطان واقامة الاتابكي اينال مقامه وجعلوا اينال على ان قام وحاصر القلعة وقطع الماء عن السلطان ومن انحاز اليه واستمر ذلك أياما حتى اضطر السلطان للتسليم فقبض عليه وعلى جملة من الامراء وأرسلوا الى سجن الاسكندرية فكانت مدته أربعين يوما وبقى في سجن الاسكندرية الى أيام الملك الظاهر خوشقدم فرسم باطلاقه فسكن المدينة ثم انتقل الى دمياط في أيام الملك الاشرف قايتباي ثم أذن له في الحج وعاد الى مصر فأقام في القاهرة محترما معززا الى أن عاد الى دمياط ومات بها ثم نقل الى مصر ودفن مع والده وعمره أربع وخسون سنة وبعد خلع تولى السلطنة السلطان أبو النصر اينال العلائي الظاهري ولقب بالملك الاشرف وهو جركسي كان أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق ثم صار بعد موته الى ابنه الناصر فرج فاعتنته وأخرج له خيلا وقساوا وجعله جدارا ثم صار أمير عشرة في دولة الملك المنصور أحمد بن المؤيد شيخ ثم رقي الى رتبة مير طبلخانا رأس نوبة ثمان في دولة الملك الاشرف برسباي ثم لما توجه الاشرف برسباي الى آمد جعله نائب غزة وفي سنة ست وثلاثين وثمانمائة جعله نائب الرها ثم أحضره الى القاهرة وأنعم عليه بتقدمة ألف مع بقايا ابنة الرها ثم نقله سنة أربعين وثمانمائة الى نيا بة صندوف في مدة الظاهر جقمق صار اتابكيا بعد موت الاتابكي يشبك السعدوني وذلك سنة تسع وأربعين وثمانمائة ثم لما وثبت العساكر على الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق وقامت الحرب على ساقيها سبعة أيام واکسر السلطان وخلع تولى السلطنة بدله كاذ كر سنة سبع وخسين وثمانمائة فاقام فيها ثمان سنين وشهرين

وخلع نفسه في مرض موته سنة خمس وستين وثمانمائة بعد ان عهد به لولده وكانت مما ليكه قد ساءت سيرتهم عند
 الناس ولولا ذلك لكان خير ملوك الجراكسة فانه كان ليناهينا قايلا الاذى وكان يعرف باينال الاجر ودخلة عارضيه
 وكان لا يحسن الكتابة والقراءة وكانت أيامه أقل فتنا من غيرها وانما كثرة وقوع الحريق في أيامه بالقاهرة مدة ولم يعلم
 له سبب فتخرب بذلك وبما تقدمه من الفتن والحروب أما كن كثيرة من القاهرة وغيرها ووقع الطاعون في أيامه سنة
 ثلاث وستين وثمانمائة فاقام ثلاثة أشهر ثم تولى المملكة بعده ابنه الملك المؤيد أحمد أبو الفتح وكان قد عهد به اليه
 فاقام بها أربعة أشهر ثم خلع بقتال الامراء عليه وكان أتابك العسكر اذ ذاك خوشتهم فلم يرض غير قليل ودبت
 عقارب الفتن فتعصب العسكر وحاصروا القلعة ووقع بينهم وبين الملك ما أدى الى القبض عليه وخلعه ومجنته ثم
 تولاها الظاهر أبو سعيد خوشقدم الناصري ثم المؤيد سنة خمس وستين وثمانمائة واقب بالملك الظاهر وهو السلطان
 الاول من الروم ان لم يكن منهم أيك ولا لاجين وفي سنة ست وستين وثمانمائة تمثيل على الامراء حتى جمعهم بالقاعة
 وقبض على جماعة من الاشرفية وأرسلهم الى سجن الاسكندرية فقام عليه باقيهم وسلطوا جرباش الاتبكي
 بالغصب والقوة ولقبوه بالناصر فحصلت وقعة بينهم وبين عصابة السلطان خوشقدم بالرمله انتصر فيها عليهم ونفي
 جماعة وفي السنة المذكورة توقف النيل وعلت الاسعار الى أن بلغ الاردب القمح ألف درهم وفي سنة اثنتين وسبعين
 وثمانمائة توفي السلطان خوشقدم بمرض كان قد أصابه ودفن في تربته التي أنشأها بالصراة وكانت مدته ست سنين
 ونصف سنة ولم يحصل فيها تجاريد ولا طاعون وسكنت فيها الفتن وكان كسلا للسلطنة طاهر الذيل لكنه كان سربع
 العزل للقضاة والمباشرين وأخذ أموالهم بغير حق وهو آخر من مشى على النظام القديم من الملوك ثم تولى
 بعده السلطان أبو النصر سيف الدين بلباي المؤيد الجركسي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة واقب بالملك
 الظاهر فاقام بها شهر اوسمة وعشرين يوما وهو آخر المؤيديه وكان قبل ذلك أتابكي المسا كرفلما تاسلطن جعل
 الاتبكية للمقر السبقى عمر بغا وكان السلطان بلباي عاجزا رأى قليل المعرفة وجعل تدبير الامور لخير بك الدوادار
 فأشار عليه بالقبض على جماعة من امراء الدولة وارسلهم الى سجن الاسكندرية فلما فعل ما أشار به حنق الامراء
 من ذلك وقاموا على السلطان فقبضوا عليه وخلعوه وأرسلوه الى سجن الاسكندرية وكان خشنا قليل المعرفة بامور
 السلطنة وكان يدعى بلباي المجنون ثم تولى بعده السلطان أبو سعيد عمر بغا الظاهري سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة
 واقب بالملك الظاهر فاقام بها شهرين الا يوما وخاع وذلك انه في تلك المدة القليلة له أراد مصادرة الامراء للنفقة على
 العسكر فقاموا عليه وخلعوه وسلطوا خير بك فاقام له في فرح وكان الاتبك قايتباي في الربيع فحضر وحاصر
 القلعة وبعد قليل اتصر وقبض على جملة من الامراء وأرسلهم الى ثغر الاسكندرية وقبض على السلطان وأرسله غير
 متيد الى دمياط ثم تولى السلطنة بعده أبو النصر قايتباي الظاهري المجرى المذكور سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة
 واقب بالملك الاشرف وهو خيار هذه الطائفة له مبرات وعمارات شتى في مصر والمدينة المنورة على ساكنها أفضل
 الصلاة والسلام في مكة المشرفة وغيرها فمن آثاره في مصر جامع بحزيرة الروضة وجامع بقلعة الكيش وجامع
 بباب القرافة وجامع عمارات كثيرة بالقلعة فمن ذلك الايوان والمعمد الكبير وجامع اعمارة الميدان الناصري
 بالناصرية بعد ان كان مهجورا وأنشأ عدة قناطر وجسور في الاقاليم ووقف أوقافا كثيرة على عماراته من بلاد
 وربع وغيرها وله في الصراة والمدرسة التربة العظيمة التي لم ير مثلها وهو من عماليك الظاهر جتمق وفي أيامه كانت
 فتنة شاه سوار بن ذي النادر وهي فتنة هائلة أرسل فيها السلطان العساكر المرة بعد المرة وهي تنهزم وصرف عليها
 جميع ما في الخزائن وأخيرا أرسل تجريدة تحت امره الأمير يشبك الدوادار ففاق على سوار فأراد سوار اجراء الصلح
 فظهر له يشبك الميل الى ذلك ولما حضر بالعسكر علمت له الاكرامات حتى خدع ثم قبضوا عليه بعد ان قتلوا من معه
 وأرسل هو واخوته الى مصر فأمر السلطان بتسميرهم وادارتهم بالقاهرة فقتلواهم ثم ذلك ثم شفقوهم على باب زويلة
 وبقوا كذلك يومين وفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة حج السلطان ولم يحج من السلاطين الجراكسة غير ورتب لاهل
 الحرم ثمانية آلاف اردب قحالة الغنم والفتير والحرو والعبد والذكور والاثني وفي سنة سبع وثمانين وثمانمائة
 توجهت عساكر مصر تحت امره يشبك الى محاربة حسن الطويل ملك العراقيين فكانت بينهم وقعة عظيمة انهزمت

فيها عساكر مصر وأسرت أمراؤها وأومات يشبك وهو صاحب القبة الموجودة الآن بالبلاد التي سميت بها قرب
 المطرية وتولى أتابكية العسكر بعده الأمير آق بردى صاحب الدار المعروفة بقاياها الآن بحوش بردق قبلى جامع
 السلطان حسن ثم عقب ذلك محاربته مع السلطان محمد ملك الروم من سلاطين الدولة العثمانية وسبب ذلك
 هدية أهداها بعض تجار الهند إلى السلطان محمد فسمع بها قايتباى وفيها خبير مرصع فاستحوذ عليها قايتباى فثار
 الحرب بسبب ذلك وحصلت بينهما وقعة انتهت بنصرة العساكر المصرية وعودتهم إلى مصر بالغنائم إلا أن السلطان
 محمد الميرل على نية الحرب فقطع التجارة التي كانت ترد على مصر من بلاد الروم وكان يتجهز لمعاودة القتال وفي أثناء
 ذلك أحس قايتباى من بعض الأمراء المصرية بالشرب لاسباب قطع نفقات العسكر عما كان يضطر اليه من كثرة
 المصروف فخلع نفسه من السلطنة بمحض من الأمراء وغيرهم فتوقع عليه الحاضرون وأكثروا في الرجاء ثم حصل
 التراضي على أن السلطان قايتباى يتفق على كل واحد من العسكر خمسين دينارا ثم حصت المبايعات له بالسلطنة ثانية
 وانتهى الأمر على ذلك فشرع في تحصيل هذه النفقة ورسم بأن يؤخذ من أملاك القاهرة والأوقاف أجرة شهرين
 كاملين فأخذ ذلك وصرفه على العسكر فكان فتح هذا الباب على يد قايتباى ثم جاءت الأخبار بانغارة العساكر العثمانية
 على بلاد الشام ثانية فجهز قايتباى العساكر لقتالهم وأرسلهم إلى الشام فكان بين الفريقين وقعة عظيمة انتصرت
 فيها العساكر المصرية وعادوا إلى مصر بأسارى كثيرة من أمراء وعسكر مع الأمير أربك صاحب الجامع الشهير
 الذى كان امام سراى العتبة الخضراء بجهة الأربكية وعرفت الأربكية باسمه ثم هدم هذا الجامع ولم يبق له أثر ومع
 تكرار النصر لقايتباى كما ذكرنا من حسم الفتنة وقطع اسباب الشر بينه وبين ملك الروم فأرسل الأمير جانبلاط
 ابن يشبك إلى السلطان محمد ليسعى بينهم فى الصلح فأكرمه السلطان محمد وتلطف معه وأرسل معه قاضيا من قضاة
 الروم وعلى يده مفايح قلعة كولا وكانت من أسباب الفتنة فأكرم قايتباى القاضى وخلع عليه وأقرطى الأحسان
 اليه وأطلق جميع الأسرى وخلع على الأمراء منهم وأرسل إلى السلطان محمد هدية جليلة وتقدم جيله فانهقد بينهما
 الصلح ونجحت الفتنة وفي سنة إحدى وتسعمائة مرض السلطان وتغادى به المرض فلما كان اليوم السادس
 والعشرون من شهر ردى القعدة من تلك السنة أشرف على الموت فاجتمع الأمراء والعساكر وأحضروا الخليفة العباسى
 وخلعوا قايتباى وهو فى النزاع لا يعلم بشئ وبايعوا ابنه محمدا وفى ثانى يوم توفى السلطان قايتباى وعمره ست وثمانون
 سنة ودفن بترته التى فى الصحراء وكانت مدة سلطنته تسعا وعشرين سنة وشهرا وكان الملك الأشرف قايتباى فارسا
 وافر العقل حازم رأى غير عجول فى الأمور بطى العزل لارباب الوظائف محبا لجمع الأموال ثم تولى السلطنة ابنه
 السلطان محمد دأبوا بالسعادات وعمره أربع عشرة سنة واقب بالملك الناصر فخلع على المقر السيفى قانصوه المعروف
 بخمسمائة وجعله أتابك العساكر عوضا عن تراز الشمسى وكان أتابك متطلعا إلى السلطنة فخشد الممالىك
 واستولى على باب السلسلة والسلطان وقتئذ بالقلعة وتعصب معه العصاة وولوه سلطانا واقبوه بالأشرف قانصوه
 وبايعوه ومكث يدعى ساطانا بغير رسم أجرى له أحد عشر يوما وكان السلطان فى القلعة فاراد قانصوه دخوله فلم
 يتمكن وجمع السلطان عبيده ومماليكه وهجم عليه فحصل بينهم مقتلة عظيمة آلت إلى انهزام قانصوه وجماعته
 وتفرقوا فى طرق المدينة وتبعهم العبيد والممالىك بالقتل ومن نجوا منهم فرمى قانصوه إلى البلاد الشامية وفى هذه
 الوقعة نهبت جهة الأربكية بسبب ان قانصوه بعد انهزامه اختفى مدة ثم ظهر واستقر ببيت الأمير أربك والتف
 عليه جماعة من الأمراء فلما أحس بنزول الممالىك والأمراء السلطانية اليه تسحب وهرب فخرّب العساكر جهة
 الأربكية وما يليها وعاثوا فيها بالحريق والنهب حتى نهبوا ما كان بجامع أربك من فرش وغيرها وفى تلك الأيام كان
 آق بردى قادما من الشام باستدعاء السلطان له فملاقى مع قانصوه المذكور وهو قاصد إلى الشام فحصلت بينهما عند
 خان يونس وقعة عظيمة انكسر فيها قانصوه وقتل كثير من كان فى صحبته واستولى آق بردى على ما كان معه وأرسل
 إلى مصر برؤس كثير من القتلى وفيها رأس قانصوه وقيل انه اختفى ولم يعلم له أثر فلما وصل آق بردى إلى مصر لم تستقم
 له الحال بل حصل بينه وبين الممالىك فتن وأمر يطول شررها حتى انه حاصر القلعة واستمر الحصار والقتال بينه وبين
 من كان فى القاعة مع السلطان فوق ثلاثين يوما كانت فيها القاهرة مغلطة الاسواق مقفلة الدكاكين وامتنع فيها البيع

والشراء ولم يكن أحد سوى العسكر يجسر أن يعيش في طرقاتها ثم انتهى أمر ذلك بانكسار آق بردى وخروجه
متسجبا إلى الجهات الشامية فنزلت المماليك والعبيد من القلعة وانتشرت في أنحاء القاهرة للبحث عنه وعن كان
معه وقتلوا من عثر وابه منهم ونهبوا دورهم ونهبت حارة زو يلا بما فيها من الدور لان آق بردى كان له بها حاصل
ونهب أيضا دور اليهود واستقر النهب والقتل ثلاثة أيام بلا منازع وفي خلال ذلك قتل عمرازا الشمسي وكان السلطان
قد عينه في الاتابكية ثم انضم إلى آق بردى وبعد انقضاء هذه الحادثة أنعم السلطان على كثير من الأمراء وأخذ
في تدبير الأحكام مع طيش وخفة وقلة تبصر فكانت مدته كلها شر الجهل وقبح أفعاله ومعاشرته للعوام والاراذل
فهتك حرمة المملكة وأخل نظامها وبلغ في الخنة والطيش ما لا يوصف فن ذلك أنه أهديت له مركب صغيرة
فجعلها في البحيرة ووضع بها مقعدا من الخلود والفاكهة والجبن المقلد وصار ينزل بها ويبيع كالبياعين وأخرج
جماعة من السجن ووسطهم بيده والسياف يعلم كيف يوسط ويقطع الأيدي والآذان والاسن وهو يفعل ذلك
بيده إلى أمثال ذلك من أفاعيل الطيش والخفة وكثر شره وأذاه في الرعية وكان يؤديه طيشه إلى أفعال منهكرة وأعمال
فظيعة فن ذلك أنه هجم على الدور التي حول بركة الرطلي هو وأولاده معه وأخذوا ما أعجبهم من النساء بالرغم عن
أهلهن فارتاب منه الناس وضجرت منه الأمراء وقصدوا له السوء وترقبوا الفرصة لذلك فاتفق أنه توجه مرة إلى
بر الحيزة وأقام بها أياما في اللهو واللعب وعند رجوعه تمكن له الأمير طمناي كمينافقة له هو وأولاده معه بقرب
قرية الطالبيية من أعمال الحيزة ونقلت جثتهم إلى تربة قايتباي ودفن مع أبيه في سنة أربع وتسعمائة فكانت مدته
سنتين وثلاثة أشهر وأياما وعمره حين مات سبع عشرة سنة وكانت أيامه بمصر أيام عناء وبلاء كثيرة ما حصل فيها من
الفساد والاضطراب والغلاء والقناعات والمصادرات وجور السلطان وأذى المماليك وقد أصاب البلاد الشامية أيضا
نصيبها من ذلك فلما وصل إليها آق بردى به دخل خروجه من مصر كما مر آنفا أخذ في الفساد والعسف فيها بالنهب والقتل
والحريق والتخريب إلى أن مات سنة أربع وتسعمائة وكانت مصر والشام في تلك الأيام على أسوأ حال وانضاف إلى
تلك البلايا أن ظهر داء يقال له الحب الأفرنجي سنة ثلاث وتسعمائة فاعيا الأطباء أمره ولم يظهر بمصر قط إلا في ذلك
التاريخ وانضم لذلك أيضا فساد المعاملة وكثرة الفلوس الجدد بأيدي الناس حتى صارت البضائع تباع بسعرين
سعر بالقصة وسعر بالفلوس وأضر ذلك بالعام والخاص ولا هلك الناصر بن قايتباي تولى السلطنة بعده السلطان
أبو سعيد قانصوه بن قانصود الأشرف في حال الناصر محمد بن قايتباي المتقدم سنة أربع وتسعمائة فامته اخته مقام
ولدها وعمره فوق العشرين وهو حركسي الجنس ولما حضر إلى مصر تبين أنه أخوخونداصل باي أم الملك الناصر
المذكور وكان في مدة السلطان قايتباي من جملة الجدارية ولما تولى ابنه جعله خازن دارا كبيرا وصار يدعي بفعل
السلطان فعظم أمره وخلع عليه السلطان وظيفة دوا دار كبير ثم صار استادارا فلما قتل السلطان محمد بن قايتباي كما
مر وقع الاختيار عليه وتلقب بالسلطان الملك الظاهر ولم يتم بمصر قبل تواتره السلطنة إلا ست سنين ولم يتفق ذلك
لحركسي قبله فعد ذلك من بعده فلذلك كانت الأمراء تتحسده وتحقد عليه مع حسن تدبيره للأموال فكانت الفتن غير
منقطعة من القاهرة وزاد على ذلك قيام العرب في الصعيد والوجه البحري حتى وصل الإهالي الضرر الشامل
فتفرقت العساكر في جهات مصر وبددت شمل العرب وأسروا منهم عددا وافر وفي أثناء ذلك قام طومان باي ومعه
جملة من الأمراء وحاصروا القلعة وجرت بينهم وبين السلطان قانصوه أمور انتهت بالقبض عليه وسجنه فكانت
مدته سنة وثمانية أشهر وتسلسل بعده السلطان أبو النصر جانبلاط الأشرف في سنة خمس وتسعمائة واقب بالملك
الأشرف فأقام بها نصف سنة وبني المدرسة الجانبلاطية خارج باب النصر وكانت الفتن كل يوم في ازدياد وقد أكثر
المصادرات للأمراء والمباشرين واليهود والنصارى للصرف على العساكر فكثرت الاضطراب والقال والقييل وفي
أثناء ذلك وصلت الأخبار من الشام بأن جميع نوابها شقوا عصا الطاعة ورفعوا اللواء العصيان فجهز السلطان جيشا
ووجه تحت قيادة الأمير طومان باي فلما وصل قباله النواب وسلموا مقاليد الأمور إليه وسلطونه واتبوه بالعادل
وأخذوا في أهبة السفر إلى مصر فلما بلغ السلطان جانبلاط ذلك حصن القلعة وجعل فيها ذخائر فلما وصلوا حاصروا
القلعة وحصل قتال شديد في الرمي له وجهه باب الوزير والصلبية واتخذ جامع السلطان حسن معقلا وكذا جامع

شيخون وحفرت الخنادق في الصليبية وحفرة البقر وهي شارع المظفر وباب الوزير فقتل كثير من الفريقين
 وخربت بيوت ثم أخذت العساكر تنضم إلى العادل حتى اضطروا جانبلاط إلى الفرار فقبض عليه وسجن في
 الاسكندرية حتى مات **ثم** تولى السلطنة بعده السلطان طومان باي الأشرف في سنة ست وتسعمائة وبابها القضاء وغيرهم
 ولقب بالملك العادل وهو مملوك الأشرف قايتباي فأقام به سبعة أشهر وبنى به مدرسته العادية وترتبته التي خارج
 باب النصر وكانت من أجل المباني ولم يبق منها إلا القبة التي على يسار الذهاب إلى العباسية وتعرف الآن بقبة
 الفداوية وكان أخذوا حذرهم من الأمراء وهم أخذون حذرهم منها لما كان بينهم من البواطن فلما كان يوم العيد أراد
 القبض على بعضهم فاستشعروا بذلك فخرجوا الأحزاب وقاموا عليه قومة واحدة ومعهم الأمراء الذين كانوا مختلفين
 من مدة جانبلاط فلم يجدوا من الفرار وقيل أنه قتل **ثم** تولى المملكة بعده السلطان أبو النصر قانصوه الغوري سنة
 ست وتسعمائة ولقب بالملك الأشرف فأقام به خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وكان جبارا كثير القتل والسفك وله
 عدة مبان ومبارق الأمراء وأذل المعادين وأخاف المفسدين فامن السبيل وسكن الفتن ورتب للأزهر كل رمضان
 ستمائة وسبعين دينار ومائة قطار عسلا وخمسمائة إردب قعوا وبني دائرة الحجر الشريف وبعض أروقة المسجد
 الحرام وباب إبراهيم وجعل علوه قصر شاهقا وفتح ميفأة وبني في طريق الحاج المصري عدة خانات وآبار وأنشأ
 بالقاهرة مدرسته بسوق الجبلون ومدفنا في مقابلهما على جانبي سوق الغورية وأنشأ المنارة المعتمدة بالأزهر والبستان
 تحت القلعة والسبع السواقي لجرى الماء من مصر العتيقة إلى القلعة وعمر بعض أبراج في الاسكندرية وغير ذلك من
 العمارات الكثيرة النافعة ومع ذلك كان كثير الطمع والظلم بصادر الناس ويأخذ أموال من يموت ومما ليكه يظلمون
 الناس ووقعت بينه وبين السلطان سليم ملك الدولة العلية العثمانية فتنة والتقى جيشاهما بمرج دابق شمال حلب
 بمرحلة سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فانهزم عسكر الغوري بمكيدة خير بك والغزالي وفقد الغوري تحت أرجل الخيل
ثم تولى الملك بعده الملك الأشرف طومان باي الجركسي ابن أخيه وبه انتهت مدة الخرا كسة بمصر وكانت مائة
 واحد وعشرين سنة وكانت القاهرة قبلهم بلغت حدا في الانساع وبسبب ما كان يقع بهل من الحروب المتوالية
 والوباء والغلاء والحرق والنسب كانت تتقلب في أطوار العمارات والدمار فتستجد جهات وتخرب جهات فيصير العامر
 دارسا والدارس عامرا بحسب تغير الدول والأحوال وكان المعتنى بها كثيرا من مدة الدولة الأيوبية القاهرة فبنيت
 فيها المباني الفاخرة والقصور الزاهرة وعمر ما حولها فأنصلت بأسوارها العمارات بالحجر والرميلة وكانت مقر السلطنة
 وكانت بها خزانة كتب أحرقت سنة إحدى وتسعين وتسعمائة وكانت القلعة مسكن المماليك السلطانية وخوادم
 الأمراء بنسائهم ومماليكهم ودواوينهم وطبخاناتهم وفرشخاناتهم وشربخاناتهم ومطابخهم وسائر وظائفهم وكان
 بهم عدة أبراج لسجن الأمراء والمماليك وجب هائل مظلم كبريه الرائحة كثير الوطاط يط مع ذلك أيضا قد عمره الملك
 المنصور قلاوون سنة إحدى وعشرين وتسعمائة وبنى قلاوون سنة تسع وعشرين وتسعمائة واستجد في
 أيام الجراكسة عمائر ضخمة بالقاهرة وبولاق ومصر العتيقة وكثرت القصور والبساتين في ضواحي المدينة وكان نطاق
 العمارة أخذ في الاتساع مع كثرة التقلبات وتواليها المأثم كانوا يتنافسون ويتفاخرون في بناء الدور والمدارس
 والجوامع والربط والاسبله والقبور وكان لهم خيرات جزيلة ورزق واسعة وكان أهل مصر ينتفعون بها في أيديهم من
 الرزق والدواوين وكان خدمهم يبيعون للناس ما يصل إلى أيديهم من اللحم والسمن والعسل وسائر أنواع المأكولات
 والملبوسات ونحو ذلك بأجس الأثمان فكان أهم سوق يباع فيه الفاضل من الأطعمة التي أخذها الخدمة من
 الأسطة وبقوا على ذلك زمانا فشافهم الظلم والعدوان وكثرت المصادرات وغلبت سياستهم على حسناتهم ومالوا إلى
 الغواية والفساد وأخلوا بكثير من شعائر الدين فزقهم الله كل عزق فسيحان من لا يزول ملكه **ثم** يحسن بنا قبل
 الكلام على ما آل إليه أمر مصر بعد تبعيتها للدولة العلية العثمانية أن تذكر بالابحار بعض مصنفات الملوك المتقدم
 ذكرهم وطرفا من ترتيباتهم وعوائدهم وما حصل من التغيرات في المباني وغيرها ليقاس الحاضر على الماضي فنقول
 لم تكن دولة الأكراد أكثر من إحدى وعشرين سنة وسبعة عشر يوما وقام من بعدهم الأتراك وعقبهم مماليكهم
 ومماليك مماليكهم ومنهم دولتا البحرية والبرجية أقاموا في الملك مائتين وسبعة وخمسين سنة وسبعة أشهر وتسعة أيام

فدّة الجميع من حين زوال دولة الفاطميين الى انقضاء دولة المماليك ثمانمائة وثمانية وثلاثون سنة ومائة
شهور وستة وعشرون يوما ومن وقت ان جلس السلطان صلاح الدين الايوبي اخذ في غير عوائد الفاطميين
في كان أول شيء أجراه من ذلك ابطال مذاهب الشيعة وعزل قضاتهم وترك رسومهم وأجرا الخطبة باسم
الخليفة العباسي وشرع في إقامة السنة وامانة البدعة وتعزير الشريعة واستحوذ على أملاك الفاطميين وفرق
أملاك أمراءهم على أمراء الاكراد واستبدل العسكر فبعد ان كان الجند من العرب والعبيد والارمن والترك
صار جميعه من الجركس والروم والاكراد والترك ان ثم تغير من بعد الايوبيّة حتى صار غالبه من ممالك
الشراء ولما كثرت الوقائع بالمشرق بين التترو من جاورهم وبيع الكثير من الامرى وتنة سلوا في الاقطار
اشترى الصالح نجم الدين منهم جماعة وحماهم بالبحرية فترقى الكثير منهم الى المراتب الرفيعة حتى تملك منهم
ناس أولهم المعزايك ومعهم كان لقطر الواقعة المشهورة بعين جالوت وهزمهم وأسر الكثير منهم فكنزوا بمصر والشام
وفي زمن الظاهر بيبرس كثروا فدون من المغل وملوا بمصر وانتشرت بها عاداتهم وطرقهم وكان الملوك مصر وقتئذ
عناية بالاماليك من جميع الاجناس واحتفال زائد بتربيتهم وكانوا يسكنونهم القلعة في طباق مخصوصة واذا اشتروا
الواحد منهم سلموا طوائفي يعلمه القراءة والكتابة والحلقة وبطائفة من جنسه وكان لكل طائفة فقيه يعلمهم أمور
الدين والآداب والقرآن فاذا شب وقوى سلم لهم علم يعلمه أنواع الحرب من رمي النشاب واعب السيف والرمح وكانوا
اذا ركبوا للرمي لا يجسر جندي أن يكلمهم ولا يدنو منهم وكانوا يتلوهنهم في الخدم على حسب الاستعداد حتى يصير
منهم الامير والوزير ولم يزالوا كذلك الى أن كان زمن الناصر فرج فاشمل شأنهم وترك أحوالهم فاصبحوا من أرذل
الناس وأذناهم واخسهم قدر اواضعهم ونسأوا جهلهم بأمر الدنيا وأكثرهم اعراضا عن الدين قال المقرري ما فهم
الامن هو أرفى من قردوا لص من فارة وأفسد من ذهب فم كان ذلك داعيا للفساد حال المملكة وخرابها وكان
للسلاطين أيضا اعتناء بأمر العسكر فبالغوا في مرتباتهم واقطاعات الامراء منهم حتى كان يبلغ مرتب بعض
الامراء الى عشرين ألف دينار الثلث للامير خاصة والثالثان الجند وكان لا عيانهم غير ذلك كاللحم بتوابعه والخبز
وعليق الخيول والدواب ولا كبرهم السكر والشمع والزيت والسكوة وفي كل سنة والاضحية بحسب الدرجات وفي
رمضان السكر والخلوا واذا نشأ لأحد منهم ولد أطلق له الذنانير واللحم والخبز وعليق الدواب حتى يتأهل للاقطاع في
جملة الحلقة ثم ينقل الى امره عشرة أو طبخانة أو غيرها حسب حظه ولم تكن تلك الهبات قاصرة على طوائف
العسكر بل كانت متعددة الى أصحاب الاقلام والقضاة على طبقاتهم والعلماء والخطباء على اختلافاتهم وقد أطل
المقرري في شرح الانعامات الواصلة كل سنة لأكابر المئين ومن دونهم كما أطله فيمن تقدم ذكرهم وكان ذلك يصرف
من الخزانة السلطانية ومحلها بالقلعة واهلها ناظر من القضاة الاعلام وكانت العادة ان الحلقة اذا خلقت أعيدت
للخزانة وصرف بدلها ومن نظر الى ما يكون به من الزركش والجوهر والذهب رأى ان الحلقة الواحدة تفوق الحد في
المصاريف وكانت خلج أكابر المئين من الاطلس الاحمر الرومي وتحتاه الاطلس الاصفر الرومي وعليهم اطرار زركش
مذهب بكلايب من الذهب وشاش لانس رفيع موصول بطرفيه حريز يرض من قوم عليه ألقاب الساطان منقوش
بالحرير الملون النقوش الباهرة ومنطقة بالذهب مختلفة بحسب الرتبة فاعلاها به البلخش والزمر ذو اللؤلؤ وبيكارية
مرصعة وغير مرصعة ومن تقاد ولاية يعطى له سيف محلي بالذهب وفرس يسرجه وجام وله كنش من الذهب
أيضا وكان لكل منهم علامة تميزه بحسب الدرجة والولاية وأما أمير أقل من مائة أقل منه فكل بحسبه وأجل خلج
الكتاب الكمخ الايض المنظر بالحرير السانج والسنباب المقدس وتحتاه كخ أخضر وبيقة من قوم وطرحه
ودونهم اعدم السنباب ويكون المقدس بدائر الكمين فقط ودونهم اترك الطرحة وهكذا التميز الدرجات وكانت
خلج القضاة والعلماء من الصوف بغير اطرار ولهم الطرحة وأجلها البيضاء ثم الخضراء ثم ما وخلج الخطباء
هي السوداء تحمّل الى الجامع من الخزينة وهي دلق مدقور وشاش اسود وطرحة سوداء وعلمان أسود ان مكتوب
فيهم ما بالايض أو بالذهب وثياب المبالغ مثل ذلك ما خلا الطرحة وكان للسلطان عادات في اعطاء الخلع كابتداء
بالموسى على الدست وتشمل الخلع حينئذ سائر رجال الدولة وقد خلع في يوم اقامة الاشرف بن حسين بن محمد بن قلاوون

ألف وما شاعرة وكوقت اللعب بالكرة فيخلع على الجوكندارية ومن له خدمة في ذلك وكأيام الاعياد وأوقات الصيد فإذا سرح أحد مصيده أو أحضر غزالة أو نعامة خلع عليه بما يناسب قدره وكذا يخلع على البردارية وحمل الجوارح ومن يجري مجراهم في كل سنة عند أو ان الصيد وكان ينعم على غلمان الطشتخانة والشرابخانة والفرشخانة ومن يجري مجراهم وكذا من يصل إلى الباب من الاغراب زائراً أو مهاجراً من مملكة أخرى تدر عليه أنواع العطايا والارزاق والخلع على حسب حاله وكذا التجار الذين يبيعون من متاجرهم للسلطان يخلع عليهم فضلاء عمالهم من الرواتب الدائمة من الخبز والتوابل والحلوى والعليق والمساحات في تطير ما يباع من الرقيق مع ما يترك لهم من حقوق أخرى ولو باع أحدهم للسلطان ولو واحداً من الرقيق فله خلعة كاملة زائدة على اصل الثمن وله انعامات وسفارات تطلق على سبيل الاتجار وكان أمراء العسكر يلبسون أنواع الكمخ والخطائي والكنجي والمخل والاسكندرانى والشرب والنصافي والاصواف الملوثة ثم بطل لبس الحرير في أيام الظاهر برقوق واقتصر على لبس الصوف الملوّن في الشتاء والنصافي المصقول في الصيف وكانت العادة ان السلطان يتولى بنفسه استخدام الجند فاذا وقف بين يديه كاتب الاقطاع المحلول ووقع اختياره على أحد أمر ناظر الجيش بالكتابة له فيكتب ورقة مختصرة تسمى المئال مضمون ما خبز فلان كذا ثم يكتب فوقها اسم المستقر له وينادوا بالسلطان فيكتب بخطه ويعطيها الحاجب لمن رسم له فيقبل الارض ثم يعاد المئال الى ديوان الجيش فيحفظ هناك ثم يكتب مربعة بخطوط وعلامات جميع المباشرين وترسل الى ديوان الانشاء فيكتب المأشور ويعلم عليه السلطان فمن الجند من يقطع له بلاد يستغلها وينتفع بها كيف شاء ومن يقطع له نفود يتناولها من جهات كدقر وطرح القراريج والمكوس كساحل الغلة وكالسيرة ورسوم اولاة والاخراج وحمايات المراكب وغير ذلك مما ذكره المقرري حتى غلب المنة ورلا حين فحل أرض مصر أربعاً وعشرين قيراطاً اختص منها بأربعة وجعل للجند عشرة وللامرأ عشرة فكان الامرأ يأخذون كثيراً من اقطاعات الاجناد فلا يصل الى الاجناد منها شيء ويصير ذلك الاقطاع في دواوين الامرأ فلما أفضت السلطنة الى المائال الناصر محمد بن قلاوون رآه البلاد فصارت الاقطاعات كلها بلاداً وجعل لخاصته عدة نواح بلغت عشرة قراريط من الاقليم وصارت اقطاعات الامرأ والاجناد وغيرهم أربعة عشر قيراطاً وبلغت عدة الجيوش في زمنه أربعة وعشرين ألف فارس وكانت لهم رسوم وعادات سرت لهم مع سير لزمان من عادات أهل البلاد والامرأ فقبل اختلاطهم بالترك كانوا التريبتهم بدار الاسلام يحفظون القرآن ويفقهون الاحكام ويتبعون السنة

(الجلوس بدار العدل)

كانت الملوك تجلس بدار العدل بكرة كل خميس واثنين طول السنة ما عدا شهر رمضان للنظر في المطام وتبجاس قضاة المذاهب الاربعة عن بين المائال يليه الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي ثم وكيل بيت المال وناظر الحسبة وعن يسار السلطان كاتب السروامامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين المعروفين بكتاب الدست وموقعي الدست على هيئة دائرة والامرأ واقفون فلما صار أغلب رجال الدولة من التتر غلبت قوانين التتر على قوانين البلاد ودخلت شرائعهم هذه البلاد ومع باسم السياسة ومن وقتئذ دخل الحق بالباطل ومنحج الحسن بالقبيح وبعد ان كانت الاحكام تبت على مقتضى الشريعة المطهرة قسمت الى سياسية وشرعية فقوض القاضى القضاة كل ما يتعلق بالامور الدينية من الصوم والصلاة وأمر الاوقاف والايام والنظر في الاقضية الشرعية كالديون والزوجية ووجه لولا انفسهم في اقصيتهم قوانين رجعوا فيها الى اصول جنكزخان التي تسمى السياسة واقتدوا بحكمها فنصبوا الحاجب ليقضى بينهم وفيما اختلفوا فيه والخذل على يد القوي وانصاف المظلوم على مقتضى ما في السياسة والياسة كلمة مغلية حرفها الناس فزادوا فيها سينا فقالوا السياسة وهي عبارة عن قوانين الاحكام التي وضعها جنكزخان بعد ان صار ملكاً ونقشها على صفائح النولاد وجعلها شريعة لقومه فالتمذوها ومع هذا فقد جدد الكثير منهم في اتساع نطاق الثروة والرفاهية وكثرت فتوحاتهم وانتشر صيتهم واتسعت مصر بكثرة الوافدين وعمرت أطرافها وحدثت به ادروب وحات وأسواق لبيع ما يحتاج اليه فحدثت سوق السلاح محل الخردجية الآن وسوق المهاميز وكان يباع بها المهاميز من الذهب والفضة والمكفت

والبدلات التي يرسم لحم الخيل وكان أغلبها فجرة بالمينا وسوق الشرايشيين نسبة إلى الشربوش وهو ما يوضع على الرأس شبه التاج مثلث الشكل يلبسه السلطان لم يرقه إمرة ومجمله الآن الثمر والجملون وكان يباع فيه أيضا الخلع التي يلبسها السلطان للأمراء والوزراء وغيرهم

(ذكر الملابس)

كان السلطان والعسكر يلبسون على رؤسهم الكاوتة بدل العمامة وكانت العادة أن تكون صرة مضرية تضربا عريضا ولها كلاب وبضفرون شتورهم ويرسلونهم أبين أكافهم موضوعة في كيس من الحرير أوجرا أو صفر ويشدون أو ساطهم بنود من قطن بعلم يكي مصبوغ عوض الحوائص والاقبية البيض أو المشجرة بالأحمر والأزرق الضيقة الأكام أشبه بعباس الأفرنج ومن فوق القباء كران بخلق وإبريم وصالق بلغاري يسع أكبره أكثر من نصف ويصنع من الغلة مغروربا منديل طوله ثلاثة أذرع وله أخفاف من الجلد الأسود البلغاري ومن فوق الخف خف آخر يقال له السقة إن ولم يزل هذا زيهم إلى سنة ثمانية وأربعين وستمائة فأدخل المنصور قلاوون فيه بعض تحسين ولما كان زمن الأشرف خليل صارت الكاوتة من الزركش والقباء من الأطلس واتخذت السروج والأكوار المربعة وعرفت بالاشرفية ولما ملك الناصر محمد بن قلاوون أحدث العمامة الناصرية وكانت صغيرة وأحدث الأمير ياغا العمري الكاوتات الكبيرة وعرفت بالبلغاوية وأحدث الأمير تارا القباء الذي عرف بالسلاوي وكان قبل يعرف بالغلطاق (وهو شبه المضربية) وفي زمن السلطان برقوق عملت الكاوتات الجركسية وهي كبيرة وفيها عوج وكثير لبس الحياصة وتأنق فيها الأمراء والعسكر وكان لها سوق مخصوص من أعظم أسواق القاهرة وفي زمن الناصر محمد وصلت قيمة الحياصة إلى ثلثمائة دينار عبارة عن مائة وخمسين جنينها في زمانها وصلت من خالص الذهب وكثيرا ما كانت ترصع بالجواهر وكان السلطان يفرق منها كل سنة عددا وفرا واما كثر استعماله في زمانهم العنبر حتى جعله النساء قلادة فلا توجد امرأة الا ولها منه قلادة وعمل منه أهل الثروة الستور والمساند وكثيرا أيضا استعمال الفراء وكانت من أعز الأشياء مدة الترتك وفي دولة الجركس جعل لها سوق محل التبليطة من الغورية الآن وكان يباع فيه السمور والوشق والاقاقم والسحاب وكذا كثير لبس الطواق للصبيان والأجناد والنساء والحواري وكانت تصنع خضرا أو حرا أو زرقا وكانت تزيد عن الرأس أولا سدس ذراع ثم ارتفعت نحو ما من ثلاثة أرباع ذراع في زمن الناصر فرج وكانت مدورة من أعلاها وأسفلها بفرو من السمور وكانت من أشنع ما يرى وكما تغيرت في زمانهم هيئة اللبس كذلك تغير المأكول والمسكن فاستجد من الأطعمة ما لم يكن معروف قبلهم وسموها بأسماء من لغتهم وتغالوا في المأكول وبالعوا في زخرفتها وزينتها فبنى الناصر محمد بالقلعة عدة قصور بالجمر الأسود والاصفر من خارجها وفي داخلها الرخام المشجر بالصدف وأنواع الزينة مرصها بنصوص الذهب وأبدع في سقوفها فكانت مدهونة باللأزورد محلاة بالذهب وجعل في جدرانها طاقات من الزجاج القبرسي الملقون كالجوهر والنور يخرق محالها من تلك الطاقات فيرى له منظر عجيب وجلب اليها من الاقطار البعيدة أنواع الرخام ففرش به أرضها وجعل فيها البساتين البهيجة وفيها محلات للحيوانات الغريبة وساحات للحيوانات الداجنة وأجرى اليها الماء من النيل بواسطة دواليب بعضها أعلى من بعض حسب ارتفاع الأرض على المسافات تديرها البقر يوصل كل ماء إلى الأعلى حتى يصل الماء إلى مقره من التصور ويوت الأمر فكان ذلك من أعجب الأعمال إذا الماء يرتفع من النيل إلى القلعة في أزيد من خمسة مائة ذراع وكان من أعجبها القصر الباق محمل الطوبى بخافة الآن مشرفا على الاصطبل وسوق الخيل حيث الرميالة الآن أخذ في الارتفاع بحيث كانت ترى منه القاهرة وضواحيها والجيزة وقرائها

(ولائم اتمام الدور)

ولما تم بناء هذا القصر سنة أربع عشرة وسبعمائة عمل فيه السلطان وليمة حضرها جميع الأمراء وأهل الدولة فأفاض عليهم الخلع السنية وحمل إلى كل أمير من أمراء المؤمنين ومقدمي الألوف ألف دينار ولما تم مددهم كل خمسة مائة دينار وبلغت الذنقة عليها ألف ألف درهم وخمس مائة ألف درهم وقد بنى أيضا قصرين محمل جامع السلطان حسن

لاميرين من اتباعه على نفقته بلغت النفقة على أحدهما أربعة ملايين وستين ألف درهم عبارة عن مائتي ألف جنيه وثلاثة آلاف جنيه وبني غيره من الابنية ما يفوق الوصف ولو أطلقنا عنان القلم في ذلك لاطال الحال فانظر الى ما كان عليه هؤلاء من السعة والدعة وقد آبادهم الدهر وما صنعوا حتى لم يبق من آثارهم الا ما لا يدرك وكذا بني امرأهم ما يقارب ابنيهم مثل الجياوي اليوسفي وملوك الناصر بن قلاوون فانه بني دارا بقصة رضوان صرف على بوابتها فقط مائة ألف درهم عبارة عن خمسة آلاف دينار وثمانمائة أسكنها بالاضرابته وعرفت بالدار القردمية ومحالها الآن بيت رضوان كتحدا وكذا يكثر الساقى صرف على بناء قصره نحو من ألفي ألف درهم عبارة عن مائة ألف جنيه ومحله الآن ورشة الخوض المرصود وكذا بنى على قصره الذي بناه مقابل قصر البساسيري بالنحاسين وبعضه باق الى الآن ما لا يحصى وكان ارتفاعه نحو من أربعين ذراعا كما تقدم وكانت المادة ان السلطان أو الأمير اذا أتم بناء دار أو لم ودعا الامراء والاعيان وخلع الخلع الغالية وفرق النقود رأ كثر من الهبات كما فعل الناصر عند بناء القصر الا باق كما قدمناه وكذا الاشرف خليل حين أتم قصره المعروف بالاشرفي سنة اثنتين ونسعين وثمانمائة صنع مهمما لم يصنع نظيره في الدولة التركية وختن أخاه الملك الناصر وابن أخيه الأمير موسى بن الصالح واحتفل في ذلك الختان احتفالا رائدا وجمع كافة أرباب الملاهي والمغنين وأعطاهم ما يقصر عنه من العطاء فأعطى البلبيل المغني وحده ألف دينار ولما اجتمع الامراء وقاموا للرقص وكانت تلك عادة فيهم من عادات المغول أمر السلطان الخازندار وكان واقفا وبين يديه أكياس الذهب بأن ينثر على رؤسهم الذهب فلم يزل كذلك كلما قام واحد ينثر على رأسه حتى فرغ الختان وانعم على كل أمير بفرس كامل القماش وألبسه خلعة عظيمة وأعطى كثير منهم كل واحد ألف دينار وفرنساو أعطى ثلاثين من الخاص كية كل واحد خمسة آلاف دينار وبلغ ما ذبح من الغنم ثلاثة آلاف ومن البقر ستمائة ومن الخيل خمسة مائة وصرف من السكر برسم المشروب ألف وثمانمائة قنطار وبرسم الحلوا مائة وستون قنطارا وبلغت النفقة على الاسمطة والمشروبات والاقبية والطرز والسروج وثياب النساء ثلثمائة ألف دينار وهكذا كانت احتفالاتهم في التزويج والختان فقد ذكر وأن الملك الناصر حين تزوج ابنه أنول بانبنة بكتر الساقى عمل مهمما من أعجب ما يرى وحمل الشوار على ثمانمائة رجل بين المقريري كلا وما حمل وكان من عادات السلاطين ان يمدوا الاسمطة طرفي النهار لعامة الامراء فيمدوا ولا سيما طلائع كل منه السلطان ثم يدنان ويسمى الخاص فتسارية كل منه وتارة لا ثم ثالث ويسمى الطاري ومنه ما كول السلطان هذا أول النهار وأما آخره فيمد سلطانا دائما واذا دعا بالثالث حضروا الاقلا ويؤكل جميع ما عليها ويفرق نوات ثم يفرق بعدهم الاقسام المصنوعة من السكر والافاويه المطيبين بماء الورد المبردة بالشج وكان يجلب الثلج من السواحل الشامية وكانت العادة ان يبيت في كل ليلة بالقرب من السلطان أطباق فيها أنواع من المطجنات والبوارد والنظير والقشطة والجبن المقل والموزو السكر الكباب وأطباق فيه امن الاقسام والماء البارد برسم أرباب النوبة في السهر حول السلطان ليمتشاغلوا بالأكول والمشروب عن النوم ويكون الليل مقسوما بينهم ساعات فاذا انتهت نوبة جماعة نهبت التي تليها ثم ذهبت هي فنامت الى الصباح هكذا أبدا سفرا وحضرا وبلغ مصروف سباط عيد الطرز من الناصر خمسين ألف درهم عبارة عن ألفين وخمسمائة دينار وكان يعمل في سباط الظاهر برقوق كل يوم خمسة آلاف رطل لحم سوى الاوز والدجاج وكان راتب المؤيد شيخ كل يوم ثمانمائة رطل وسباط الاشرف برسباى بكرة وعشيرة ستمائة رطل ولا يخفى أن بين كل مملكة وعاصمتها ارتباطا ونسبة فعلى قدر ما يكون حال المملكة تسعة وثروة يكون أمر عاصمتها عارة وبهجة ونظاما وحال أهلها غنى ورفاهية وقد علم انه من وقت ان جلس السلطان صلاح الدين على تخت مصر أخذ في توسعة نطاقها فألحق بها اليمن والنوبة وغيرهما وبما كان له من السطوة والهيبة وعلو الشأن عظمه ملك الافرنج وعابوه بذكرهم عن أرض القدس وسواحل الشام وانتصر عليهم بعزماته في غزواته ورأس له خلفاء بني العباس وهاداه ملوك الاطراف فانتسعت اذذاك دائرة الديار المصرية ووليله الى العدل وحب الخير عمر الاقليم وانتظم معاش أهله وانتشر الامن في انحاءه فحجب أصحاب الاغراض وقصده العلماء وأرباب الحرف والصنائع وجلب اليها التجار ما غلام البلاد القاصية والدانية فبلغت النهاية في الغنى والعمارة حتى لم يبق من الرطب التي كانت زمن الفاطميين على سعتها شي الا بنيت فيه الدور وغيره من الابنية ثم أخذ الناس يبنون خارجها

بجهة الحجج والصلابة وباب الخرق وشاطئ الخليج بل أوسعوا المدى الى مصر العتيقة وجزيرة الروضة ودير الطين
 والاثرو وكذا بنوا في الرمال التي حدثت بعد بستان التكة وبستان المقس ولم تزل تمتد الى أن زالت دولة الأكراد
 وقامت بعدهم دولة الاتراك وأولهم ايلك التركاني فلم يترسب العمارات فتور بل لم تزل تزداد حتى عمرت جهة الحسينية
 وباب اللوق وحكمت بعض البساتين وكذا استمر سير العمارات في دولة الجرا كسة بعدهم وحصل بها كثير من
 الرونقة والتحسين وحدثت القباب الحجر كسبية العظيمة والقاعات المصرية فبنى السلطان حسن قاعة البيسرية
 وأتمها سنة تسعين وسبعمائة وكان ارتفاعها عن وجه الأرض ثمانية وعشرين ذراعاً وعمل بها برجاً لميته من العاج
 والابنوس المطعم وباباً ينزل منه الى الأرض كذلك وقبة بعقد مقرر نص قطعة واحدة بكاد الناظر اليها أن يذهش حسناً
 وجعل شبابيكه ودرابزينه وشرافاته من الذهب الخالص وأما ما جعل في هذه القاعة من نحو الفرش والانية فشيء
 لا يحصره القلم فمن ذلك تسعة وأربعون ثرابرسم وقود القناديل جملته ما قيم من النضة المضروبة مائتان وعشرون ألف
 درهم وكلها مطلية بالذهب وعمر الصالح عاد الدين اسمعيل بن محمد بن قلاوون الدهيشة سنة خمس وأربعين وسبعمائة
 لما بلغه ان الملك المؤيد صاحب حماة عمر به ادهيشة لم يبين مثلها فقصدها كانه وبعت ببيع المهندس مع بعض الامراء
 للنظر في دهيشة حماة وكتب لنائب حلب رده مشق ان يحملا على الجمال ألفي حجر أبيض ومثلها أحر فأرسلت الى قلعة
 الجبل وصرف على كل حجر من دمشق ثمانية دراهم ومن حلب اثني عشر واستدعى لها الرخام العجيب وأحضر له برعة
 الصناع وبلغ مصر وفها خمسة مائة ألف درهم سوى ما جاب من الجهات المتقدمة وغيرها وفرشها بما يجمل وصفه من
 أنواع الفرش وكذا عمر الناصر بن قلاوون سبع قاعات تشرف على الميدان وباب القرافة أسكنها سرارية وكنى ألف
 وصيفة ومائتين من المولدات ومن غيرهن كثير وكذا بنى الاشرف خليل الرفرف مشرفاً على الجزيرة كلها وبني به وجعل
 فيه صوراً لأمراء الخواص وعقد له قبة على العمود وزخرفها بأنواع الزينة وجعل مجلساً له وجلس فيه من بعده من
 السلاطين الى أن هدمته الناس بن قلاوون ولما تغيرت هيئة المباني الخاصة كما علمت تغيرت هيئة المباني العامة
 كالمساجد والمدارس فان المسجد أولاً وانما كان عبارة عن مكان مفروش مبنياً بالطوب جابلاً منارة ولا منبر ولا محراب
 مفروشاً بالحصاء والرمل فجعلوه من أنخم الابنية وأرفعها وبنيها بالاحجار الضخمة وزينوه بأنواع الزينة داخلها وخارجها
 وجعلوا له الشرافات والمنارات البديعة وأحدثوا القباب الرفيعة وتغالوا في نظامها وزينوها خصوصاً أيام الناصر
 وأحدثوا المحارب المطعمة بالصدف والعاج والابنوس والاعمدة للمنطقة بالنضة واللواوين الواسعة وقد كان
 المؤذن سابقاً ينادي بالاذان على سطح المسجد ثم ينزل له غرفة يؤذن فيها ثم اخذوا في تحسينها حتى جاءت كهيئة منئذنة
 ابن طولون ساهمها يطبها من خارج ثم جعلت زمن الأكراد كالهئية التي بجامع الجاولي والمدرسة المسعودية التي
 هي الآن تنكية المولوية ويسمى بها الناس المبجزة ثم كانت في زمن المماليك من أنخر المبانى على الهيئات التي تراها
 في مسجد السلطان حسن وبرقوق وكذلك اعتنوا ببناء المدارس والمدافن والخانات وذلك لعلو شأنهم وسعة نطاق
 ملكهم وبالجمله فقد كانت همهم مصر ووفرة الى العمارة وتوسعة دائرة المملكة وقد أفرد الناصر ديواناً للابنية وجعل
 مقره كل يوم اثني عشر ألف درهم فخذوا هذه الامراء والتجار حتى ازدحم خارج مصر بالمباني وكثرت المدارس
 والمكاتب واستلأت بطلاب العلوم ولاتفات السلاطين والامراء الى العلماء والاعداق عليهم بالهبات وتقليد هم
 الوظائف السامية والرتب العالية كالوزارة ونظارة بيت المال ونظارة الخاوص وكتابة السر والاضاع والشهادة وغير
 ذلك اجتمعت في توسعة المعارف وتفتشوا في العلوم حتى كانت مصر من أوسع الكرة الارضية ذكراً في ذلك ولما
 اتخذ الناصر ميدياً بقرية منية الشيرج يسرح اليه في أيام معلومة كان يعتنى بها الامراء وأرباب الدولة فمنع بها
 ما لا يوصف وزرع بها البساتين المعجبة وأحضر اليها البساتينية من الشام حتى عادت كأحسن مدينة عامرة وصنع
 بقرية الخانقاه عند قرية أبي زعبل وخصص لها الرواتب الزائدة واعتنى بأمر الفقراء الذين بها وصارت به قليل
 قريته من أعمار الاماكن وبنيت بها المدارس والمساجد وكثرت بها الاسواق وشجنت بالمتاجر وكان النيل انحسر عن
 أرض اللوق والتكة وخلق الناس ضيقاً لبعده عن القاهرة فأمر بحفر الخليج الناصري لينتفع به أهل القاهرة وليحمل
 فيه الغلال الى منية الشيرج والخانقاه وأصله بالخليج الكبير كما مروى في توضيح ما ذكره عمر الناس جوانبه وصارت

من أجهج الأماكن وكذا عمر الناس بولاق وجزيرة أروى وقد قدمتا محامهما واتصتا بمباني ثبات الجهات ببعض
 فعظمت القاهرة وزادت سعتها إلى غاية عظيمة وأنشأ أيضا عصر الميدان الكبير وبعضه باق أمام القصر العالي وكان
 يعرف في أول زمانه بجيدان النشاب وأنشأ أيضا ميدان المهارة محل جنيحة المرحوم محمد باشا وهي تربية المهارة لشغفه
 بالخيل فتدذكر المقرري أنه مات عن ثمانمائة وأربعة آلاف فرس وخمسة آلاف هجين ونوق أصائل مهرجات
 وقرشيات وكان أكثر ميله إلى الخيل العربية عكس أبيه فإنه كان يفضل عليها خيول برقة وجلبت إليه التجار الخيول
 من البحرين والحسا والقطيف والحجاز والعراق وغيرها وكان يعطي في النرس الواحد من عشرة آلاف درهم إلى
 ثلاثين ألفا ويدفع في الواحد من خيول آل مهناستين ألف درهم وأكثر إلى مائة ألف ولم ينقطع في زمنه السباق فلما
 مات بطل إلى أن أعاده السلطان برقوق وكان له أيضا رغبة في الخيل حتى مات عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف
 جبل وهجين وكان جلبيه الخلع والرواتب والمساحات وكان يشتري الفرس باعلى من قيمته إلى عشر مرات غير العطايا
 وكانت الخيول السلطانية تشرق على الأمرين في السنة الأولى عند خروج السلطان إلى مرابط الخيل عند تمام
 الربيع والثانية عند لعبه بالكرة في الميدان وكان للخاصة المزايا من ذلك فرمما وصل إلى أحدهم في السنة مائة فرس
 ويقرق على الممالك في أوقات أخرى بل كان يهب السلطان للخاصة القصور والبيوت الغالية وكان لهم مع المالك عادات
 في الحضور بين يديه فمنهم إذا حضروا للخدمة بالديوان أو القصر وقف كل أمير في مكان خاص به ولا يجسر أحد
 أن يتكلم مع غيره بل لا يلتفت إليه وكانوا أيضا لا يجتمعون مع بعض في أوقات الترفيه أو رعى النشاب وإذا بلغ السلطان
 أن أحدا منهم خالف تلك العادة عاقبه بالنفي أو القبض وبقوا على عاداتهم ورسومهم صار فيهم همهم إلى توسيع
 دائرة العمارة واليسار آخذين في أسباب بقاء ملكهم حتى دبت فيهم عقارب الحسد وجرحت بينهم مياه الضغائن وأثر
 في قلوبهم حب الطمع والتعالى فابطل كل ما أحكمه الآخرون ونقض ما أبرمه فتفرقت كلمتهم ونقضت عهودهم وساءت
 سيرتهم وصاروا أحراراً رأس كل فريق صاحب غاية ذاتية يفضلها على المنفعة الحقيقية التي هي المنفعة العامة
 من حفظ الحقوق ورعاية الواجبات واتباع الشرائع والسير مع حدود الشرع والقانون المعتبر واقفاً أثر الملوك
 السالفين فيما سبوا من طريقة كانت سببا لعلو شأنهم وانتشار صيتهم وخوف من جاورهم من الملوك منهم والاحقاء
 بحماهم فلهذا نضيلهم الذاتية على الحقائق وانحرف عنهم عن طرق الاستقامة انكسف نور سعادتهم وتورطوا في
 أحوال شقاءهم وهوت بهم رياح الجهالة فأصبحوا بلا عتة تحفظهم ولا قوة تمنعهم ولا قانون يردعهم فطمع
 في ملكهم من كان يفرغ من اسمهم ونطلع إلى ابتلاعهم من كان يوت من هيبتهم فدسوا الدسائس
 في عصبياهم وأشعلوا نار الفتنة في رؤسهم فبغى بعضهم على بعض وثار بينهم الحروب المتفاقمة وتقاتلوا في حارات
 القاهرة وضواحيها وعم الفساد في البلاد قاصيها ودانيها فحرموا الذات وساءت بعد الحسن منهم الحالات
 ولم ير الوا على ذلك أن هدوا عامات قاموا أعواما حتى عم الضرر جميع القطر وفاق بأهله ما لا يوصف من الفقر
 والضرر وبوالت الغلات والأمراض وتعاقب الوباء وأهمل أمر الري وتوزيع المياه فطمت الترع والخجان فلم
 تصل المياه إلى المزارع وخيفت السبل وسلب الأمن وباع الغاية في الشدة زمن السلطان فرج فذهبت ثروة البلاد
 بالكافة فهاجر الكثير من سكان القطر إلى الشام والحجاز والمغرب وغيرها وتركوا دورهم ومستقرهم فعادت مساكن
 يوم وغربان بعد أن كانت رياض أنس ومراتع غزلان وآلت إلى ما ترى في أنحاء القطر من الكيمان ولم يقدر من
 أتى بعدهم على إرجاعها لأصلها بل لا يستطيع نقلها من مكانها لماسيتلى عليك بعد

(حال القاهرة في أيام الدولة العلية العثمانية)

لما انقرضت دولة المماليك بموت السلطان الغوري ثم السلطان طومانباي واستولت على مصر الدولة العلية
 العثمانية كانت القاهرة مع ما كان قد أصابها من التدمير والحوادث على جانب من الاتساع والعمارة بسبب أنها
 كانت عاصمة مملكة عظيمة تمتد أطرافها إلى الجهات الشامية والاقطار الحجازية وجزء عظيم من بلاد سواحل البحر
 الأحمر كصوع وسواكن وجميع بلاد النوبة وبرقة على البحر المتوسط فكانت المتاجر ترد إليها من كل جهة وتصدر

عنها إلى جهات كثيرة وكذلك الصنائع والعلوم وذلك من دولة الفاطميين إلى آخر دولة المماليك ولم تعقها الفتن والحوادث المهمة عن الاتساع والتقدم بل كان ما يتخرب بالفتن ونحوها يتعوض فكانت العمارة في تلك الأزمان من ضواحي المطرية ومدينة الشيرج إلى دير الطيز ومن شاطئ النيل إلى الصحراء كما سبق بيانه ولم يزل عنها الاستقلال وتوالى عليها من كان بها الاضطراب والفتن والاختلال وأورثها ذلك نقصا في عزها ووهنا في ثروتها وسرى هذا الحال إلى باقي بلاد القطر بسوء تصرف العمال وسير كل منهم على حسب ما سولت لنفسه فكان كل ذي صولة يجتدي في تحصيل أطماعه من غير انقبات إلى ماله عمارة البلاد وسعادة الأهالي ومن كثرة الحروب وتعاقب الأهوال لم يتمكن الفلاحون من زراعة الأرض ولأمن أعمال الطرق التي بهارهم من أحكام الترغ والترغ والفتن والجسور فكانت الأرض تارة تبور وتارة تظمأ وفسد كثير منها فصار غير صالح للزراعة وبسبب ذلك كثرت الغلاء والقحط والوباء والأمراض وانهزل كثير من سكان العاصمة وغيرها ولتعاقب ذلك بحيث لا تغض أربع سنين أو خمسة إلا بشي من تلك الأهوال تخرب جزء عظيم من العاصمة ومن مدن الأرياف وليس انغرض الآن تناصيل تلك الحوادث من أراد الوقوف على ذلك فعليه بما أسهب به العلامة الجبرتي وغيره في هذا الشأن وانما المقصد ذكر بعض مهمات الحوادث ليعلم القارئ كيف كانت سياسة العمال للرعايا يعرف أسباب العمارة والدمار **وأول** حادثة تستحق الذكر هي حادثة دخول العساكر العثمانية في مصر بعد موت السلطان الغوري وذلك لما أتت إلى المملكة السلطان طومانباي والفتن قائمة بين مصر والدولة العلية لم يبق غير قليل وحضرت العساكر العثمانية سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة واشتعلت نيران الحرب بينهم وبين عساكر طومانباي فكانت في جهة العباسية ثم صارت في بولاق ثم جهة القصر العباسي وباب اللوق وجهة السيدة زينب رضى الله عنها وفي مصر العتيقة والصلبة وقبر ميدان الرميلة وحديقة البقر فتخرب لذلك كثير من المساكن والقصور الفاخرة والبساتين المنضرة وجامع شيخون وجامع طولون وعدة جوامع ومساجد وزوايا وصارت القتلى مطروحة في الطرقات والشوارع والحارات من العباسية إلى بولاق إلى مصر العتيقة إلى الصلبة إلى القاعة ولم تجده نيران الحرب إلا بعد هروب طومانباي وكانت مدتها أربعة أيام قتل فيها نحو من عشرة آلاف نفس ولما تم الأمر للعثمانيين واستولوا على مصر أخذوا يفتشون على أمراء البحرا كسنة فكل من وجدوه منهم قتلوه ومنهم ما منزله حتى فنيته عدة من أمراء البلد وتخربت منازلهم رمكت السلطان سليم بالديار المصرية ثمانية شهور يربث أمورها ويجهد قوا عدها ثم رحل عنها إلى القسطنطينية بغنائم كثيرة وعدد عديد من أرباب الصنائع وغيرهم واستصحب معه أيضا المتوكل على الله العباسي الذي كان خليفة بمصر حين ذلك بعد أن استنزل عن الخلافة فخلع نفسه منها وتنازل عن حقوقها وفوض أمورها إلى السلطان من آل عثمان وأبقى السلطان ما كان مقررا للعرمين الشريفيين والمساجد والافتحة والارامل والايام والفقراء وغيرهم من الأوقاف والأزاق والخيرات بل زاد في ذلك ورخص باستخدام من بقي من المماليك وقرر من القوانين والنظامات ما رأى أنه يترتب عليه استمرار التبعية للسلطنة واستقرار الأمن والراحة والرفاهية للرعية لوبقى ذلك مري الأجر لكن لم يرض غير تسع سنين حتى قامت العساكر على أحمد باشا الوالي اذذاك ومن معه بسبب انه رغب في الاستقلال وتجاهر بالعصيان فحصل بينه وبينهم مقتلة عظيمة في الرميلة وما جاورها وحاصروه في القاعة حتى قتلوه وانقضت تلك الحادثة بخراب بعض ما جاور الرميلة ثم تولى بعده عدة ولأهت بهم بعضهم في عمارة بعض الجوامع وبني بعضهم وكاثل في القاهرة وبولاق وبني داود باشا مدرسة في سويقة اللاسنة خمس وخمسين وتسعمائة وبني اسكندر باشا جامعاً وأنشأ عمارة عظيمة في باب الخرق وقد زال كل ذلك وصار ميداناً كما قدمنا وكذا اسنان باشا أنشأ جامعاً وعمارة جميلة في بولاق وفي غيرها ووقف كل منهم أمراً وقادراً على عمارته لأجل بقائها عامرة لكن كان عاداتهم ان كل من أراد وقف شيء أخذ من وقف غيره ووقفه باسمه أو نهب ما بأيدي الناس ووقفه فلذلك لم تستمر بعددهم بل أخذت تلك الأوقاف في التقهقر والخراب حتى صارت بعضاً من كل وقف أرادها فاختل لذلك بعض تلك العمار ولا انحلال عرى الضبط والسياسة اختل حال الرعية وقل الأمن وكثرت اللصوص وقطاع الطريق وأهل الفساد في سائر جهات القطر حتى صاروا يدخلون البلاد للنهب جهاراً ليلاً ونهاراً بلا مبالاة لانتقام رؤسائهم إلى الأمراء وكانت الأحكام تكثرت من الأوامر والتشديدات بلا ثمرة ولا تأثير في ردع المفسدين

الى أن تولى مصر مسيح باشا في سنة سبع وثمانين وتسعمائة فتصدى لكسح المفسدين وازالة أهل الشر فتبسط على نحو عشرة آلاف منهم وقتلهم وفي زمن حسن باشا الخادم كثرت الرشوة للحكام واتسع نطاقها حتى صارت أمرا معتادا يستحصل عليه بدون مبالاة وجعل همه في جمع المال فكان يحتال بكل حيلة لتحقيقه لا يراعى حلال ولا حرام ولم يكن له أثر قط يد كرمه الا تغيير رزي اليه وودو النصراني فالبس اليه ودا الطرا طيرا السود ولبس النصراني البرانيط السود وكان رزي النصراني قبل ذلك العمائم السود وزي اليهود العمائم الزرق وفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة قامت العساكر على الوالي عدة مرات وعارضوه في أوامرهم ورفضوا طاعته وأوقعوا السلب والنهب بالتجار والاهالي واستمرت الفتن وفي زمن محمد باشا الشريف سنة أربع بعد الالف حصلت محاربات في الرملة وباب الوزير وكذا في زمن خضر باشا سنة سبع بعد الالف وفي زمن علي باشا فشرب الدخان بمصر ولم يكن معروفا قبل ذلك وفي سنة اثنتي عشرة بعد الالف قتلت العساكر ابراهيم باشا الوالي وصارت الحكومة فوضى لا رئيس لها فخل بالناس كل مكروه وتعطل السفر برا وبحرا القيام الاشقياء من العرب والفلانيين وحل بالناس مرة من القبط والغلاء والوباء ما تسبب عنه خراب كثير منها وازداد الناس في ست وستة عشرة بعد الالف وحصلت في بركة الحاج حروب بين عساكر الوالي والعساكر القائمة مع الامراء العصاة وفي كل وقعة تغتم العرب فرصة النهب والسلب وبعضهم يفر في جهات الارياف والبعض ينتمي ظاهرا الى احدى الطائفتين واتسع نطاق فسادهم وتقاسموا الاقاليم القبلية والبحرية وفي سنة سبع وعشرين وألف حضر من الاسبانية أربعة آلاف عسكرى أبعدتهم الدولة عن مقر الحكومة لانهم كانوا أثار واهمال الفتن وأنفذت لوالي مصر أن يبعث بهم الى اليمن عند حلولهم بمدياره صر فلما أراد الباشا إرسالهم الى تلك الجهة وشرع في تجهيزهم قاموا على قدم العصيان وقتلوا باب الفتوح وباب النصر وعلموا متاريس بالطرق والشوارع واستولوا على كثير من المناركة ووصلوا بعضهم ببعض فوجه اليهم الباشا العساكر المصرية ووقع بين الفريقين القتال عدة أيام حتى انتهى بخراب جهة الجمالية والخرنفس وباب الشعرية والحسينية وما جاور ذلك واستمرت الفتن بين العساكر الى سنة خمس وثلاثين بعد الالف بما يتخلل ذلك من الغلاء كالعلاء الفاحش الذي حصل في زمن ابراهيم باشا السبلا جدا ففقد اقل الناس فيه هولا شديدا وفي سنة سبع وثلاثين وألف زمن الوزير محمد باشا عين العساكر للسفر الى بلاد الحبشة صحبة الامير قانصوه فعمسكروا بالعباسية وجعلوا يخطفون الاولاد والبنات ويفتسون بالمارين ويسلبون وينهبون حتى انقطعت الطرق وضاق ذرع الناس وحل بهم الكرب من كل مكان ولم يجدوا مغشا ولم تكن المصائب قاصرة على ما يحصل من العسكر والعرب بل كثير من الامراء كان لا فائدة الا فيما يجلب به الضرر للناس وجمع أموالهم كما فعل أحمد باشا الذي كان يلقب برامي الخماس فانه جلب نخاسا كثيرا وأراد عمله فلوسا فأنشأ بحوش بردق الوجاقات ووضع المسابك وجمع الصنائع فلم يحصل على ما كان يؤمل منه من الفائدة فرماه على التجار وسائر ارباب الحرف والطوائف فلحق الناس من ذلك ما لا مزيد عليه من الضنك والشدة ثم قامت عليه العساكر وعزلوه وكان أكثر الحكام يقرر الرشوة على الناس فيستعملها من بعده حتى تصير كأنها حقوق ثابتة ولما تولى منصور باشا كما على مصر سنة اثنتين وخمسين وألف كانت عدة أنواع القرض والبصا اثنان وثلاثين نوعا منها عشر البصا ومنهما ما هو على البغايا وأولاد الهوى وما هو على المغنيات ونحو ذلك واستمر هذا الحال الى ان دخلت سنة احدى وسبعين وألف شخصات وقعة الصناجق وهي وقعة شائلة انقسمت فيها الامراء أحزابا واشتعلت نيران الحرب في شوارع القاهرة وضواحيها وامتد ذلك الى الاقاليم القبلية وجهاز فيها الباشا الوالي عدة تجاريد حتى انتهت بنتل أغلب الامراء الفقارية تسببة الى رئيسهم ذي الفقار وذهبت صواتهم وفي اثر ذلك سنة أربع وسبعين كان والى مصر عمر باشا فاهتم بجمع السلاح من كافة البلاد وكانت الضعائن كمنة في نفوس من بقى من الفقارية وفي كل وقت يرتقبون انها فرصة الانتقام من أخصائهم طمعوا في رجوع صواتهم وما كانوا عليه من النعم فلم يمتض غير قليل حتى حصلت وقعة الزرب وهم قوم حضروا من الشام أغلبهم أروام ودروز فأنخرطوا في سلك العسكرة ووصل بعضهم الى المناصب السامية وانضموا الى محمد بك حاكم جرجا وصاروا أنصاره وأخذوا في الظلم والايقاع بالناس وأكثر ما من النهب والسلب وكانوا يقتلون النفس على أقل سبب فرفع الناس شكواهم الى

الوالي فزجرهم فلم ينزجروا بل زادوا في الطغيان وفتكوا بالناس وتجاوزوا حدود الله وخرجوا عن طاعة الله ورسوله وأولى الأمر فاضطرر الوالي لمحاربتهم فأعد لهم ما استطاع من القوة ووجه عليهم المدافع وكانوا قد تحصنوا بجامع المؤيد فحاصروهم فيه وقتلهم قتالا شديدا مات فيه خلق كثير ونحرت عمائر كثيرة في السكينة والداودية وقصبة رضوان والدرب الأحمر وتحت الربع وما جاور ذلك ثم بعد معاناة شديدة أخذوا وقتلوا واكتفى الناس شرهم ثم تسع ذلك في سنة إحدى وعشرين بعد الألف حريق هائل في جهة باب زويلة واستمر أياما حتى مات فيه خلق كثير ونحرت فيه غالب عمائر تلك الجهة ولم تدخل سنة اثنتين بعد المائة والألف كان الفساد قد بلغ منتهاه وانتشرت العرب للفساد في كل جهة وكان الخاكما آنذاك على باشا قلم فمجز عن ردع المفسدين وتأمين الرعايا وتسبب عن ذلك انقطاع ورود الغلال إلى الشئون السلطانية وخلت الخزينة من الأموال فلم يتمكن من صرف مرتبات الحرمين ولا غيرها. ما كجهاث الأوقاف والعلماء والأشراف والأيتام والأرامل وكان قد انسح نطاق الحمايات وكانت عادة اتخاذها العسكر من قديم فكثر في تلك المدة فكان كل طائفة من العسكر تأخذ في حمايتها اجسلة من التجار أو المزارعين أو الملاحين في البحر فيقتسمون مع الناس أرباحهم ويمنعونهم من أداء حقوق الحكومة ولا يتمكن الحاكم من التعرض لأحد منهم فلما تولى الحكم على باشا قلم بذل جهده في إبطال الحمايات حتى أبطلها وحارب العرب حتى قمعهم وأفنى منهم الكثير فهدأت الأمور وأمن الناس على أنفسهم وأموالهم ولكن حصل من الغلاء والوباء ما فاقت شدته على تلك الحالة وفي سنة تسع عشرة ومائة وألف كان الحاكم بمصر حسين باشا الوزير وكان قد سجن على العساكر ومنعهم عما كانوا يفعلونه فضجوا من ذلك وقاموا على قومة واحدة وحاصروا بالقلعة ونهبت البلد وأغلقت الحوانيت والخانات وتعطلت الأسواق وفي سنة ثنتين وعشرين ومائة وألف حصلت من العسكر قومة أعظم من تلك القومة وحاصروا الوزير خليل باشا وانه قطع الممر من طريق الحجر وعرب اليسار والرميلة والصليبة والدروب الموصلة إلى القلعة واستمرت هذه الحادثة سبعين يوما ونحرت بسببها الدرب الأحمر والحجر وعين قوصون وسوق السلاخ وخط الداودية والصليبة والسيوفية والخليفة والعمارات التي كانت جهة القصر العيني وبركة الناصرية وما جاور ذلك إلى مصر العتيقة وخط السعيدة زينب رضى الله عنها وفي سنة خمس وعشرين ومائة وألف في زمن عابدين باشا كانت وقعة القاسمية وسببها أن الباشا تحزب لهم وأخذ في أعمال الحيلة على قتل غيطاس بيك وكان غيطاس بيك صاحب الحل والعقد يومئذ وكانت العادة في يوم العيد أن تعمل جمعية في قردميدان فلما كان يوم عيد وحصلت الجمعية وحضر غيطاس بيك أغرى عابدين باشا بعض أتباعه من العسكر على قتله فقتلوه وقتلوا معه من أمرائه وأتباعه وتسامع الناس بذلك فقام بقية حزبه ووقعت معركة خرب لاجلها حارات ودروب ومات فيها عالم كثيرون وصار بعد الحل والعقد بيد القاسمية بعد أن كان بيد النقارية ولم تنقطع الضغائن فلما كان سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف كان الوالي على مصر محمد باشا البسننجي فأخذ في تعصيد النقارية إلى أن كان يوم فيه جمعية بالقلعة فاغرى العساكر على القتلى بأمر القاسمية فوقع القتال بين الفريقين ونزلوا إلى الرملة وامتد إلى جهة الصلبة ودرب الحصر والحجر وعرب اليسار وخط الدخيرة والدرب الأحمر ثم وقع الصلح بين الفريقين على تقسيم الوظائف نصفين وعزلوا الباشا وفي سنة اثنتين وأربعين حضر عبد الله باشا واليا والضغائن لم تزل كاشنة في الصدور فقام الفريقان يقتتلان فالتصرت القاسمية على النقارية فتفرق النقارية في الانحاء وخرجوا من القاهرة واستولى الأمراء على منازلهم بما فيها من حريم وعيال وأمتعة وفي سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف قام الأمراء على الباشا وحصنوا بجامع السلطان حسن وفي سنة إحدى وستين قامت فتنة بين الدمياطية وكان رئيسهم على بيك الدمياطي وبين القطامشة ورئيسهم إبراهيم بيك قطامش وبعد حروب انتصرت الدمياطية على إخصامهم فاحتاطوا بعمالهم من الأرض والعقار والإثاث وغيره وأمروا الحال هكذا في حروب وقتل ونهب إلى سنة تسع وسبعين ومائة وألف فاستقل على بيك الكبير بأمور مصر وعزل الباشا وخلع طاعة الدولة وقويت شوكته وملاك الجواز والشام وضربت السكة باسمه وزني الأمير عبد الرحمن لتخدا صاحب العمارات الكثيرة الباقية عند الأزهر وغيره إلى الآن وكان هو صاحب الحل والعقد قبل على بيك الكبير فصفنا الوقت لعل بيك إلى أن ثار عليه مملوكه محمد بيك أبو الذهب صاحب المدرسة

الباقية أمام الأزهري الآن فقام على سيدة واجتمع عليه أعداؤه فوقع بين علي بيك وبينهم محاربات آلت إلى فرار علي بيك إلى الشام وصار الأمر لمحمد بيك أبي الذهب فتحزب مع علي بيك كثير من أهل الشام وانضم اليه جمع عظيم من المصريين الفارين والعرب وساروا لمحاربة محمد بيك أبي الذهب فوقع بينهم القتال جهة الصالحية وانتهى بقتل علي بيك وانتهت الرئاسة لمحمد بيك أبي الذهب لكن لم تطل حياته ٥ ولما مات الأمير محمد بيك أبو الذهب انفرد مراد بيك وأبراهيم بيك بالحل والعقد وتصرف في أمور البلد وأخذ في التعدي على الأمراء وغيرهم وتبين الغدر لبعض الأمراء ومن جملتهم اسمعيل بيك وكان صاحب عز ووسطوة وله عماليك وأتباع كثيرة وظهر ذلك من سوء معاملتهم وخشونة كلامهم فتبين للأمراء ما يراهم فقاموا وقصدوا الخروج من المدينة فلما علم بذلك إبراهيم بيك ومراد بيك جمعوا عماليكهما وحزبهما بالرماية وقرميدان واستولوا على أبواب القلعة والبلد وحصل بينهم وبين الأمراء الفارين مناوشات انتهت بهزيمة رجل إبراهيم بيك ومراد بيك فدخلوا القلعة وحصنوا أبوابها فحاصروهم الأمراء وضايقوهم أشد المضايقة حتى أبلجواهم إلى الفرار ففروا إلى الأقاليم القبلية وتمكن اسمعيل بيك من البلد وتسلم زمام الحل والعقد وعينه محمد باشا عزت الكبير الوالي من حين ذلك شيخا للبلد فقام من وقته ونهب بيوت الأمراء الفارين هو وأمراؤه وأتباعه وجهز التجار يد لمحاربهم فلما التقى الجمعان بالصعيد وقع بينه وبينهم وقعات آلت إلى انهزام عساكره فولوا مدبرين وعادت الأمراء القبلية في أثرهم وزحفوا إلى القاهرة ففرا اسمعيل بيك بمن معه إلى الشام ودخل البلد من كانوا في الجهات القبلية واستولوا على بيوت الأمراء المنهزمين ودورهم وقسموا من وجدوه منهم قتلوا ونفيا وحبسوا وخلا الجول مراد بيك وإبراهيم بيك فتصرفا في البلد كيف شآؤا وزاد في التعدي والظلم فأنقست أمراء مصر إلى قسمين قسم يقال لهم الحمدية نسبة لمحمد بيك أبي الذهب وقسم علوية نسبة لعلي بيك الكبير وكل قسم يحقد على الآخر ويتمنى هلاكه ويتربص به ريب المنون ووقع بينهم التحاسد والعدوان وتسبب عن ذلك فتن وحروب دمرت البلاد وأفسدت أحوال القطر وعطلت أرزاق أهله وأحس العلوية من مراد بيك بالغدر فتجمعوا وتحصنوا في حوش الشرفاوى وصنعوا متاريس في جهة بابي زويلة والخرق وجهة السروجية فدخل إبراهيم بيك القلعة وتحصن بها ووجه المدافع على جهات العلوية وتمادى يضرب عليهم بهما اثنين وعشرين يوما وعساكره تتناقل على عساكرهم في الحارات والدروب وكل منهم يوم يصل البيوت بعضها ببعض لئلا يتمكن من قتل عدوه وانتهت تلك الحادثة بخراب هذه الجهات ولهروب العلويين إلى الشرقية وغيرها اقتنى الحمدية أثرهم ونسلط عليهم العرب فقتلواهم عن آخرهم ولم ينج منهم إلا القليل ففر إلى الشام ومن بقي أودع السجن وعزل محمد باشا وتولى مكانه اسمعيل باشا ولم تنقطع الفتن وتجهيز التجاريد والمصادرات وكثر الظلم والتعدي ففر كثير من الأمراء والتحق باسمعيل بيك بالجهات القبلية وبعد حروب طويلة حصل الصلح على أن يعطى اسمعيل بيك أخيم وأعمالها وحسن بيك قنأوا أعمالها ورضوان بيك استأوا أعمالها فسلم كل ما استقر عليه الرأي ولم يمس غير قليل حتى انتقض الصلح ورجعت الأمور إلى ما كانت عليه وفي سنة سبع وتسعين ومائة وألف اهتم إبراهيم بيك في مصالحة القبالي وكان ذلك في زمن محمد باشا السلحدار فرجع أغلبهم وأقام عنزله وكان ذلك على غير مراد مراد بيك فقام بعزوته وخرج إلى بني سويف وقطع الوارد عن القاهرة فلحق الناس ما لا مزيد عليه من الضنك والغلاء المفرط وضاق ذرع الفقراء وزاد ذلك أضعافا لما حضر مراد بيك بجموعه إلى الجزيرة وعسكر إبراهيم بيك بجيوشه في مصر العتيقة مقابلا لها واستمر هذا الحال بهم عشرين يوما وكان ضرب المدافع متراشلا بينهم في تلك الأيام جميعها واشتد الكرب بأهل المدينة وخد الرقع والاشوان من الغلال وحق الناس كل مكروه وأخيرا حصل الصلح بين إبراهيم بيك ومراد بيك تخاف أمراء حرب اسمعيل بيك عاقبة هذا الصلح لما تبين لهم من خيانة إبراهيم بيك فهاجروا من مصر فسأبتهم عسكر إبراهيم بيك ومراد بيك والعرب من خلف الجبل فقطعوا طريقهم وقتلوا منهم ما لا يحصى وشتتوهم ثم رجعوا فاحتاطوا بأهملهم واستولوا على عيالهم وأموالهم ومنذ خلا الجحوم من اسمعيل بيك وعائلته لم يحصل اتفاق بين إبراهيم بيك ومراد بيك بل زاد ظلم مراد بيك وتعديه هو وجماعته وكثر منهم الناب والسلب والقتل فقام إبراهيم بيك بعزوته إلى الصعيد فعزل مراد بيك الوالي وتصرف في أمور البلد بصفة قائم مقام وأعطى رجاله وعماله المناصب السامية وفرق عليهم أملاك الفارين وجرت بينه وبين إبراهيم بيك أمور

لاخير فيها فسعى بينهم المشايخ والأمر في الصلح حتى تم ذلك ٥ وفي سنة تسع وتسعين ومائة وألف عمت البلوى بمصر
 من الطاعون فكانت هذه الايام ليس اهلها مثل في الشدة ائد لما حصل فيها من الغلاء والقناء والفتن وقصور النيل وتواتر
 المصادرات والمظالم وتعدى الامراء وانتشار اتباعهم في النواحي لطلب الاموال من القرى والبلدان واحداث أنواع
 المظالم لاى نوع كان من تسمية البعض مال الجهات والبعض رفع المظالم وغير ذلك حتى اهلكتوا الحرث والنسل وقل
 الزرع وضاع الذرع واشتد الكرب وتشدت الفلاحون من بلادهم تخربت أغلب بلاد الارياض ومذراً وانه
 لا فائدة في الفلاح حولوا الطلاب على المتزمنين وبعثوا لهم في بيوتهم فاحتاج مساكين الناس ليسع أمتعتهم ودورهم
 ومواسيهم وحواشيهم مع ما هم فيه من المصادرات الخارجة عن الحسد وتبعوا من يشم فيه رائحة الغنى أيضاً فأخذوه
 وحبسوه وكافوه فوق طاقتهم أضعافاً والواطاب السلف أيضاً من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة وطمع
 ابراهيم في الموارد فكانوا اذا مات الميت يحيطون بخلفاته سواء كان له وارث أم لا حتى صار بيت المال من جملة
 المناصب التي يتولاها شرار الناس بجملة من المال يدفعها في كل شهر واذ لا يعارض فيما يفعل من الجزئيات وأما
 الكليات فيختص بها الامير فيجمل بالناس ما لا يوصف من أنواع العناء حتى خرب الاقليم بأسره وانقطعت الطرق
 وعربدت أولاد الحرام وفقد الأمن ومنعت السبل الا بالخرقة وركوب العرب وانتشر الفلاحون في المدينة بنسائهم
 وأولادهم يضجون من الجوع ويأكلون ما يتساقط في الطرقات من قشر البطيخ وأوراق الشجر حتى لا يجد الزبال شيئاً
 يكنسه من ذلك واشتد الكرب حتى أكلوا الميتة من الخيل والحمير والبغال والجمال فكان اذا خرج حمار ميت
 تراجوا عليه وقطعوه فمنهم من يأكل ما أخذه نيشام شدة الجوع ومنهم من هو على خلاف ذلك ومات الكثير جوعاً
 هذا والغلاء مستمر والسعار في غمق الدرهم والدينار عزيز من أيدي الناس والتعامل قليل الا فيما يؤكل الى آخر ما قاله
 الجسبري ومع ذلك كانت الامراء تنهب في المدينة ورجالهم تنهب في بلاد الارياض وما من محب يروى تشكى الناس الى
 ابراهيم بيك فلم يجدوا منصفاً ٥ ولما اشتد الامر وامت البلوى وكثر التعدي على التجار من الافرنج وغيرهم وانتشر خبر
 ذلك في الآفاق أرسلت الدولة في سنة اثنيتين ومائتين وألف حسن باشا القبطان ومعه العساكر ليرجع هؤلاء العساكر
 عما هم فيه فلما وصل غر الاسكندرية وبلغ الخبر الامراء حاجت المدينة وما جت وأخذ كل يحرق أمواله ويستعد
 للخروج وجرى الخبايا بين الامراء وحسن باشا القبطان فلم تغد شيئاً ٥ فتوجه مراد بيك بعسكره الى فوة ووقع
 بينه وبين عساكر الدولة محاربة كانت الدائرة فيها عليه فانهزم ورجع الى مصر وأراد ابراهيم بيك أن يدخل القلعة
 فسبقه الباشا اليها فلم يجد بدا من مفارقة مصر وهو من معه من الامراء انفرتوا الى الجهات القبلية وحضر قبطان باشا
 في اثرهم ودخل مصر وأخذ في الاستيلاء على بيوتهم وتبع أموالهم وجهز طائفة من العساكر وأمر عليهم عابدين باشا
 وأرسلها لاقبائها آثار الفارين فوقعت بينهم جملة من المناوشات مات فيها خلق كثير من الطائفتين وتعطلت أسباب
 الارزاق وفي كل هذا الاوقات كانت العرب تنهب وتسلب وتقتل في جميع أنحاء انطرو ولا مانع يمنع ولا حاكم يردع
 ٥ وفي تلك السنة أعي سنة اثنيتين ومائتين وألف تولى اسماعيل باشا كخدا حسن باشا بعد انصال عابدين باشا والامور
 على ما هي عليه الى سنة خمس ومائتين وألف وفيه انزل سيل كثير من ناحية الجبل الاحمر وامتد في جهة الجالية وجامع
 الحماكم الى أم دبعة في الحارات المجاورة لذلك وخرب بسببه أكثر خطا الحسينية وما جاورها وعقب ذلك طاعون أقام
 ثلاثة أشهر مات فيه اسماعيل بيك شيخ البلاد وأقام خلفه مملوك عثمان بيك طبل فقال الى الامراء القبلية سرافد خلوا
 مصر بجموعهم فلم يسع من به من الامراء الا الفرار فاحتاط بهم العرب والعسكر فقتل من قتل وفر من فر ورجع
 مراد بيك و ابراهيم بيك وأخذ فيما كانا عليه من السلب والنهب والغدر وفي سنة سبع ومائتين وألف في زمن محمد
 باشا عزت الثاني لم يف النيل أذرعه فصل القمح فأكلوا الميتة والاطفال ومات الكثير من الخلائق جوعاً وفي سنة
 تسع ومائتين وألف تولى صالح باشا والامور على حالها وعقبه بكر باشا سنة عشر ومائتين وألف والظلم متسلطن
 والخلال عام للكبير والغير والقريب والغريب من حوادث أملاها الجبرتي فكان آخرها حضور الدونانة الفرنسية
 ودخولهم أرض مصر وحصول ما يستلزم عليك ان شاء الله تعالى

(حال القاهرة في مدة الفرنسية)

لم تمكث افرنساوية بالديار المصرية زمنا طويلا فان مدتهم لا تزيد على ثلاث سنين ومع ذلك حصل فيها حوادث شتى
 خرب بسببها كثير من بلاد الاقليم وهدم كثير من دور القاهرة وفارقها كثير من السكان وقد تكلم الجبرتي على
 هذه الحادثة وأسهب في شرح ماجرى فن يروم كمال الوقوف عليها فاعليه ان يراجع ما كتبه رحمه الله وسند كركلا
 بالاختصار ما يتعلق بالقاهرة خصوصا وببناي القطر عوما حتى لا يتخلو قدم متاعن هذه القائدة فنقول ان دخولهم
 الى ثغر الاسكندرية كان في المحرم سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وبعد مناوشات حصلت بينهم وبين مراد بيك عند
 قرية الرجانية من مديرية البحيرة انهم زمر مراد بيك وحضر الى انبابة وعمل بهم امتاريس وحضرت الفرنساوية في
 أثره فجموا على ثلاث المتاريس وأخذوها بعد ثلاثة اربع ساعات وانهم زمر مراد بيك ومن معه الى الصعيد ولم تنفع
 جوع العرب ولا القلا حين بشئ وكذلك فارق ابراهيم بيك القاهرة وفر الى جهات بحري بمن لحق به وتشتت الامراء
 الى الجهتين وكانت العرب ملأت تلك الجهات فتعرضت للنار من بالسلب والقتل والنهب وجميع الرذائل وصار
 القطر فوضى وتعدى الناس بعضهم على بعض ودخل الافرنج القاهرة ثاني يوم انهم زام الامراء وسكنوا بيوتهم
 فسكن بونا بارت بيت محمد بيك الانبي بالازبكية وسكن كل أمير منهم فيما يحب من بيوت الامراء ورثوا مجلسا من
 العلماء فاطمأن الناس لذلك ورجع الكثير الى داره ثم ان الافرنج أخذوا في الكشف على بيوت الامراء والاعيان
 وتبعوا الاوباش الذين ثاروا في البلد ونهبوا البيوت الخالية فأخذوا منهم عددا وافرا وعاقبواهم أشد العقاب وقتلوا
 البعض بالرصاص في جنينة الازبكية وقتلوا بيوتهم وأخذوا ما وجدوه فيها من المنهوبات وضربوا على تجار المسلمين
 خمسة مائة ألف ريال فرنساوي ثم جعلوا مبلغا على كل حرفة وقالوا انهم اسلفوا بدخول بذلك للفقراء أشد المضايقة
 وشددوا عليهم في الطلب فكثرت لفظ الناس وكانت العساكر تدخل البيوت وتنهب ما فيها من غير مبالاة فحاق بالناس
 الكرب والخوف فلا يأمن الانسان الا بتعليق بنديرة (أي راية) على بابه أو يلصق ورقة من طرف الفرنساوية
 وأخذت الامراء المختفيات في الظهور وصالحن على أنفسهن بما بالغ دفعها على نسبة حال كل منهن فدفعت زوجة
 مراد بيك ١٢٥٠٠٠ ريال فرنساوي ودفع غيرها أقل من ذلك وصار الناس يتوجهون الى الافرنج ويخبرون عن
 ودائع الامراء وخباياهم فكثرت الهجوم على البيوت ونهب الارض وهدم الحيطان واتسع نطاق الفتن خارج البلد
 ودخلها وتخير الناس في أمرهم فانهم ان خرجوا عن المدينة كانوا عرضة لقبائح العرب وعساكرهم ادوا ابراهيم وان
 أقاموا بها كانوا هدا فالتسهم فتن الافرنج غير آمنين مكابدهم وفي خلال ذلك ظهر الطاعون فنعج الافرنج الدفن في
 المقابر الموحدة داخل البلد كقبرة الازبكية والرومي وغيرهما وشددوا في نطاقة البلد وكنس الازقة والحارات
 والتفتيش على ذلك ورفعوا أبواب الدروب والعطشات جيعها وأمروا بتعليق قناديل على أبواب البيوت طول الليل
 وعاقبوا من خالف أشد العقاب ثم وضعوا مجلسا من كبار من تجار المسلمين ومثلهم من تجار النصارى لتحقيق
 حججهم الامسالة وقرروا ما بالغ تؤخذ من الموارد والرزق والهبات والمبايعات والدعاوى فلحق بالناس من هذه
 الغرامات ما لحقهم وكثر عويلهم وشكواهم ولا معين ولا نصير والتقت عساكرهم بعساكر مراد بيك في الجهات
 القبلية فوقع بينهم مناوشات وسافر من عساكر الافرنج أيضا جماعة الى الجهات البحرية لتسكين الفتن وضبط تلك
 الجهات فكانت العرب تعارضهم ويسكن على غير طائل وأخذ من بقي في القاهرة منهم في الاحتياطات خوفا مما
 عساه ان يحصل من الاهالي فهدموا أبنية كثيرة من حول القاعة وزادوا على بدنان باب العزب بالرميلة وغيره واما
 ومحوا ما كان به من آثار الحكماء والعلماء ومعالم السلاطين وما كان في الابواب من الاسلحة والدرق والبلط والحراب
 الهندية وهدموا من داخل القلعة قصر يوسف صلاح الدين وطلب النقود من البلاد لم يرل متواليا وتويع الفرض
 مستمرا فلم يلحق بها الى القطر أشد ولا أعظم مما لحقهم في هذه المدة لان العرب كانت تهجم على البلاد وتستحوذ على
 ما وجدت من أموال الاهالي ويعقبهم الغز يسلبون وينهبون ويلتهم الافرنج يقتلون ويهجون فحجز الناس عن
 رده هذه الاحوال خصوصا أهل القاهرة فقاموا وتحشدوا بين القصرين وعملوا امتاريس في بعض الحارات وحصل
 بينهم وبين الفرنساويين مناوشات فكانت المدافع من القلعة تضرب على هذه الجهات وعلى الجامع الازهر فتخرب
 بهذا السبب جملة من البيوت وتشتت كثير من الناس ومات كثير منهم وشددوا الفرنساويون على الاهالي زيادة على

ما كان وضربوا عليهم فرضة مستجدة واخذوا يجمعونها بأي نوع من الطرق وزادوا في احتياطهم فعملوا قلاعاً فوق التلال المحيطة بالقاهرة من جهاتهم الأربع وكذا بمصر العتيقة وشبى والجيزة ووضعوا بهم المدافع وشددوا في جمع الأسلحة وأخلوا بيوت الأربكية من أهلها وأسكنوا بها رجالهم ومن انتمى إليهم من نصارى الشام والقيبط وفي عقب ذلك حضرت المراكب العثمانية وخرجت عساكرها في أبي قبر وتحصنوا وشاع خبرهم في القاهرة فكثرت لغط الناس وأظهروا العداء للفرنساويين وفرحوا بظنهم بأن الخلاص ولكن كان الأمر خلاف ما ظنوا فان يونان بارت توجه لحرب العثمانيين فالتقوا في تلك الجهات فانهم زعم العثمانيون ورجع إلى مصر معه أسرى كثيرة من جندهم الوزير فدهش الخلق وزاد وجلهم وكانت فرنساويون تشاهد عداوة الأهالي وكرهتهم لهم فأكثروا من التشديد وزادوا في الاحتياط ثم حضرت عساكر عثمانية من جهة العربيش وشاع بين الناس التسكلم في أمر الصلح وبالفعل توجه مندوبون من طرف فرنساوية ودخل عساكر الترك ووصلوا المطرية وانتشروا في الجهات ودخلوا المدينة بعد عقد الاتفاق على الشروط اللازمة وبالفعل أخذ النساويون في أهبة السفر وأخلوا القلاع لكن لما قدر في علم الله لم يدخلها العثمانيون واكتفوا بدخولهم المدينة واشتغلوا بالنهب والسلب وحصل بين بعض فرنساويين والأتراك بعض مناوشات تجر إلى القتل لولا أن تداركها الأمر فحصل الاتفاق على خروج العثمانيين وأقامتهم خارج البلد حتى تتم المدة المتفق عليها وتم الأمر على ذلك ولكن لم يرض غير قليل حتى وصل الخبر لفرنساويين بعدم رضا الإنكليز بهذه الشروط وبلغ ذلك العثمانيين ولكن لم يستعدوا ما عساه يحدث أما فرنساويون فرجعوا بالتدريج إلى القاهرة وقاموا برجالهم إلى قبة النصر وهجموا على الأتراك وهم في غفلتهم فقتلوا منهم كثيراً ورجع الباقون إلى جهة الصالحية وهم يسوقونهم وكان نصوصاً داخل المدينة من خلف الجبل مع كثير من الأتراك والعرب وهيج الناس وحرضهم على القيام على فرنساويين فانضم إليه كثير وهجموا على من بقى من فرنساوية في جهة الأربكية وغيرها وانتصب القتال بينهم فبيدهم على ذلك أذرجع العساكر الذين سافروا خلف العثمانيين فحاصروا القاهرة وبولاق ونهبوا أغلب دورا الحسينية وهدموا وكذا قرية الدمر داش وما حولها ومنعوا الاتصال بين المدينة والخارج ووجهوا المدافع عليها وصار الهجوم منهم على أخطاط البلد واستمر ذلك عشرة أيام وبعد ذلك نصب فرنساويون بريق الصلح في الأربكية وتوجه عندهم بعض المشايخ ففهموهم أن هذا الحرب مبنى على غير أسباب موجبة ومضريهم وطالبوا منهم نصيحة الأهالي ورجوعهم للطاعة والتموا بهم بالعدو العام فلما رجع المشايخ وتكلموا بذلك لم يسمع قوالهم واستمر الحرب ولم ينته إلا بعد سبعة وثلاثين يوماً خرب فيها خط الأربكية وخط الساكت إلى بيت الأفي وخط القوالة وخط الرويعي إلى حارة النصارى وخربت أغلب طارات بولاق أيضاً من الحرق والهدم وجهة بركة الرطل وباب البحر وانتهت هذه النازلة بتقرير مبلغ مليونين من الريالات لفرنساوية على الأهالي فحصل لهم غاية المضايقة في تحصيلها وأهانوا الأعيان والمشايخ وضرب السادات وحبس وأخذت منه أموال جمعة ونهبت عدة بيوت من بيوت الأمراء وصور كثير منهم فكانت هذه المدة أشنع مما قبلها ففيها انقطع السفر براً وبحراً ومنعت الإنكليز الصادرات والوارد عن جهات القطر وانقطع الحج ووقف العرب وقطاع الطريق بجميع الجهات وتسلبوا على القرى والفلاحين وقصر مد النيل واشتد الغلاء وحصل القحط والوباء فمات فيه كثير من الخلق وفي خلال ذلك سافر يونان بارت إلى بلاده واستخلف على الجنود الفرنسية أوبية بمصر قائداً من زعمائهم اسمه كليبر فاعتاله رجل شامى حضر من بلاده لهذا القصد يقال له سليمان الحلبي وقتله واخترق فاشتد غيظ فرنساوية وحقدتهم على أهل مصر وأرادوا بهم سوء فراحوا حرق المدينة لولا أن الله تعالى رفق بوجود القاتل فقتلوه وقتلوا معه عدة من أتباعه ساعدته وبعد قليل تم الصلح وخرجوا من مصر وأعقبهم العثمانيون فيها واستقروا بها فحصل ما سبى عليك

(القاهرة بعد خروج فرنساوية)

لم يهدأ لمصر حال بعد مفارقة فرنساوية بل ازداد التعب وعم الاضطراب جميع الخلق وتخرب الكثير من منازل القاهرة وضواحيها وقاسى الناس خصوصاً التجار والمستورين من الغرامات والكلف ما لا يمكن وصفه إلى أن صدر

الامر بتولية المغفور له محمد علي باشا عليه سنة ١٢٢٠ وكان قد تولى عليها قبله أناس أولهم محمد باشا
 المعروف بأبي مرق قد دخلها بموكب حافل وفرح الناس بقدومه ظناً أن ينالوا الراحة والامن فخاب ظنهم وانعكس
 مآولهم لعدم قيامه برعاية المصالح فان النصارى الاروام الذين كانوا مع الفرنسيات وحصل منهم الاذى للمسلمين
 اندرجوا مع الارنؤد والعسكريين بالبلد من الاتراك وجعلوا يعيثون ويعربدون في أنحاء القاهرة وينهبون الاهالي
 ويطردونهم من منازلهم ويسكنونها واستعملوا في السلب أنواع الخيل فيمال يجمعوا اليه سبيلا فربما جلس
 العسكري على دكان بدعوى الاستراحة أو شراشي ثم يقوم ويعود بعد قليل قائلاً انه نسي كيسه أو فقد دراهمه
 ويجعل ذلك سبباً لاهانة صاحب الخانوت ونهب ما عنده وعم منهم الفساد وشاركوا الباعة فيما يبيعون وساهموا
 التجار فيما يرهبون وضاق خناق الخلق واتسع ميدان الكرب خصوصاً في جهات الارياف فان العسكري صاروا
 يقتلون ويحطفون المردان والبنات ويقتضون العذاري ومن مانع عن عرضه قتلوه ولا معارض ولا مغيب ونضاعف
 الكرب وعم الهرج أكثر مما كان حين قال قاضي العسكري بان الاملاك كافة صارت ملكاً للدولة لان انتصارها على
 الفرنسيات يوجب فتحاً جديداً وعارضة في ذلك العلماء وضع أصحاب الاملاك وأكثروا الشكوى حتى لم يبق ما قاله
 ولا كان الباشا أكثر مصادرات من شتم فيه رائحة الثروة وتفريد القرض على التجار وغيرهم حتى تجرد الناس من
 أنفسهم واستقر الحال على ما هو عليه زمن محمد باشا خسر وكتخدا حسين باشا قبودان الذي عقبه سنة ١٢١٦
 وكان قد اتحد مع قبطان باشا على الغدر بالامراء المصريين اذ انزلوا بالغليون في الاسكندرية للاقائه فلما حضر
 الامراء وأحسوا بما يراهم من القتل ناروا وخلصت مقتله عظيمة وتخلص الامراء ولحقوا بالانكليز الذين كانوا
 بشعر الاسكندرية وبلغ ذلك محمد بك الانفي وهو بالاقليم القباية فآظهر العصيان فتبع الباشا ماله بكواً تباعه
 وكذا ماله بك الامراء وأتباعهم بالقتل والنهب ونهب بيوت الامراء وسبي حريمهم ونشأ عن ذلك ما نشأ من المناسد
 المعتادة لهم * ولما تولى بعده محمد باشا أخذ في قمع مفساد العسكريين وشد في عقابهم وكان يطوف الحارات ليلا بنفسه
 ومعه طاهر باشا ويقتل على أقل ذنب ويجرد على الامراء القبلية عدة تجاريد احداها تحت رئاسة المرحوم محمد
 علي سر حشمة فغلهم التبدلية وشد في امر الحسبة حتى خرم أنوف الخبازين وعلق فيهم الخبز الناقص وكذا
 الخبازون فحسن الحال نوعاً وامن الناس بعض الامن وأبطل الرطل الزياتي الذي كان يكال به الادهان وكان وزنه
 أربع عشرة أوقية واستعوضه برطل وزنه اثنتا عشرة أوقية وبقي للآن واتخذ جلة من العبيد والتكرور وأسكنهم
 بقاعة الظاهروسة بهم بالنظام الجديد واهتم بعمارة مسجد السيدة زينب رضي الله عنها ومع ذلك كان غشوماً
 جهولاً عجولاً في أموره محباً للسفك الدماء ولم تسكن نائرة الاضطراب فان الامراء في الجهة القبلية كانوا دائماً يشنون
 الغارة على البلاد حتى نهبوا القيووم وقتلوا كثيراً من أهله ونهبوا بلادها وكذا الجزيرة بنوسوف وقطعوا الجسر
 الاسود وتقاتلوا مع العساكر العثمانية في دمنهور فحصل بينهم وقعة عظيمة انهزم فيها العسكريون فكان الحرب عاماً
 لجميع أنحاء القطر والقرى والغارات تطلب من التجار وتمت دائر الخراب حين قام العسكري بالقاهرة بسبب منع
 جوامعهم وهجموا بيت الدفتر دارو بيت المحروفي وهو بيت الشيخ البكري القديم وصار الباشا يضرب عليهم بالمدافع
 من القلعة حتى نخر خط الازبكية ونهب ما فيه وعلت متاريس عند رأس الوراقين والعقادين والمشهد الحسيني
 وربت العساكر بجامع ازبك وبيت الدفتر دارو بيت محمد علي وكوم الشيخ سلامة وقام طاهر باشا وحضر مدافع
 من القلعة واتشب الحرب بين العساكر العثمانية وعساكر الارنؤد بالقاهرة وبولاق وقصر العين وانهمز الباشا
 بعسكره الى جزيرة بدران ومنها توجه الى المنصورة وضرب على أهلها تسعين ألف ريال فرانساً ثم توجه الى دمياط
 فكانت مدته كلها حروب ونهب وقتل وتخريب فيها تخربت حارات القاهرة وضواحيها الا القليل وقام بعده بصفته
 طاهر باشا فاقام فاكثرت مصادرة الناس من المسلمين وغيرهم وأغدق على الارنؤد وصرف جوامعهم ولم يعط
 الانكشارية فقاموا عليه وقتلوه فكانت مدته ستة وعشرين يوماً وعند هذه الحادثة كان بعصر أحمد باشا متوجهاً
 الى المدينة المنورة على سائر أفضل الصلاة والسلام واليامن قبل الدولة فعينه العساكر والياعلى مصر فلم يرض
 بذلك محمد علي وقام بملك القلعة وحضر اليه أكثر الامراء القبلية وانضموا اليه وتفرقوا في حارات القاهرة وملكوا

بابي النصر والفتوح وضربت المدافع على بيت أجد باشا بالداوودية فتفرق عنه الانكشارية وأمر بالخروج من مصر فامتثل ومذخر ج نهبت العساكر بيته ولما فارق باب الفتوح رأى نفسه قد وقع في وسط العسكر فلم يسعه الا الالتجاء الى قلعة الظاهر فدخلها محتميا بامامها وقتها الوقت حينئذ لمجد على وعساكر الارنؤد فتسلطوا على الانكشارية ونهبوا بيوتهم وقتلوا أعيانهم فاجتمعوا بعصر العتيقة وأرادوا التوجه الى الشام من طريق الصحراء فجهم عليهم الارنؤدوا وقمعوا بهم فقتلوه عن آخرهم ولم يبق الا من اختفى ففتشوا عليهم البيوت والمساجد ثم مدوا أيديهم الى أذى الاهالي والتعدي عليهم وتفرقوا في النواحي وأكثروا من السلب خصوصاً بلاد القليوبية والغربية والمنوفية واتخذ سليم كاشف المخرجي قلعة الظاهر مستقراً وفرد على كل بلد من بلاد القليوبية ألف ريال فرانس وسبعين من كل صنف أي سبعين خروفاً وسبعين رطل من سبعين رطل عسل وهكذا خلاف حق الطريق وهو خمسة وعشرون ألف نصف فضة ولذلك الحين كان محمد باشا مقبلاً بمياط يقرر على أهلها ومن جاورهم الفرد الباهظة فتوجه اليه محمد على وعثمان بك البرديسي فقاتلاه وهزما من معه وأسرادوا رسلاًه الى مصر ونهبت دمياط وفعل الارنؤد كل شنيعة ثم توجه البرديسي الى رشيد لقاتله العثمانيين وكانوا بارج مغيزل فلما اتقى الجمعان انهزم العثمانيون وأسرع على باشا القبطان وأرسل الى مصر وحصل برشيد من النهب والسلب والسبي ما حصل بدمياط وأدهى خلاف ثمانين ألف ريال فرانساً ضربت على أهلها وصالت منهم وفي سنة ثمان عشرة ومائتين وألف حضر الوزير على باشا المطرابطسي وأقام بالاسكندرية وقطع جسر أبي قير لمنع وصول البرديسي اليه فعند هار جع البرديسي الى مصر وجعلت عساكره كلها امرت ببلد منهم حتى وصل للناس منهم من الضرر ما لا مزيد عليه واشتد الغلاء ذلك السنة بسبب قصور النيل وعدم الري وعريدت الطغاة وأصبح القصر بلا حاكم وفي أثناء ذلك أيضا رفع العساكر لواء المعصيان بسبب منع الصرف فاتفق الرأي على توزيعها على الطوائف والتجار وجعلها درجات أعلاها خسون كيساً وأدناها خسة أكياس فوزعت كذلك وشدت في طلبها فغلقت الحوانيت وتعطلت الاسواق وبطل البيع والشراء ونهب العساكر بيوت الافرنج فحصل بينهم مقتلة عظيمة قتل وجرح فيها من الثريين ناس واشتد الخوف بالناس وشكت القناصل للدولة فلم يجد شيأو على باشا لم يبارح اسكندرية لذلك الحين مشغلاً بجمع العساكر وترتيبهم على هيئة عساكر الافرنج فقرأى للأمر انه يدبر عليهم أمر افاحتالوا عليه من باب تعش بفلان قبل أن يتغدي بك فاطهروا له الطاعة وطلبوا منه الحضور اليهم ليكنوه فقام بعسكره فاصدا مصر فلما وصل الى شلقان خرج عليه عسكر الارنؤد فلم يجد بدا من المدافعة فاشتد القتال بين الفريقين وقتل خاق كثير منهم ما وقت بهزية العساكر العثمانيين وأسرا باشا وارسله الى مصر ثم توجه الاقاي الى القليوبية فنهبا وقتل اناساً كثيراً من أهلها وكذا فعل بعرب بلبي محجباً أنهم كانوا مائتين للباشا ظملاً وافترأ ثم اتفق الامراء على اخراج على باشا الى الشام فاجتمعوا بعدة من العسكر فلما وصل القرين قام عليه العسكر وقتلوه فلما وصل الخبر الى الامراء أظهر وأعدم الرضا وسكتوا وكان مع كل ذلك يرغب كل أمير أن تكون له السطة ويعمل فيما يقوى أمره ويضعف غيره وعقارب الحق تدب بينهم ومحمد على سياسته لا يظهر ما في نفسه لاحد بل كل من رآه قويا مال اليه وأظهر له أنه معه ولم يمل أمره يرذل بواسيتهم وهو يترقب الفرصة ويسير بعقل وسياسة واذا كان البرديسي اذذاك هو المتبين فيهم تحالف معه وجرح كل منهم ما نفسه وشرب الا آخر من دمه كينال الاخوة على زعمهما وامكنه لما كان يرى من سوء سيرتهم وطيش عقولهم يعلم أنهم مخذولون وأن أمرهم لا يتم فكان يراعي الاهالي ويواسي العلماء ويتواضع لهم ويتأدب مع وجوه الناس ويعاونهم بما في وسعه فقالوا اليه وأجبه ثم ان الامراء اتفقوا فيما بينهم على اضممار العداوة للانا في الكبير لما رأوا من فوقانه عليهم فخافوا على أنفسهم منه فسد البرديسي لما كرم رشيد أن يقتله فاستشعر الاقاي فاحتال حتى قرب من مصر واستطلع حقيقة الخبر فذبت عنه دمه توجه الى الجهات القبلية وكذا الاقاي الصغير فانه لما بلغه ما يراى بقرية لم يبعه الا اللعان به فنهب الامراء بيوتهم ما وبيوت أتباعهم وحواسيهم ولما رأى الامراء كثرة حربه بالجهة القبلية خافوا فاتفقوا ثم شره فجردوا الحربه تجريدة وجعلوا بعض مصر وفيها على التجار وفرضوا الباقي على الاملاك فجعلوا نصف ما فرض على كل منزل على المالك والنصف الاخر على المستأجر ووزعوا على القرى الغرامات الباهظة فكان هولاء هائلاً

في جميع أنحاء القطر المصري حتى قامت النساء يتدبرن وصنغن ويجههن وأيديهن بالنيلة وشكا الناس الى محمد علي لما كانوا يرون منه من الميل اليهم فماتواهم بالبشر ووعدهم بما سهرهم وكثرت بينهم قبايح البردي حتى قام عليه العسكر والزعر فأسعده الانحروج الى قبلي ونهب بيته وبيت ابراهيم بيك بالدارودية وحصل بين العسكر ومالك المذكور قتال شديد وطلع محمد علي الى القاعة وأقام بها ووجه المدافع الى الدارودية فخرب أكثر منازلها وانتهت هذه الحادثة بخروج الامراء الى قبلي ونهب بيوتهم وسبي نسائهم وأولادهم ثم حضر أحمد باشا سنة تسع عشرة ومائتين وألف واليسا على مصر وكان الغلاء قد بلغ منتهاه حتى وصل ثمن الارنب من القمح خمسة عشر ريا لافرانسا والاضطراب مستقر والعسكر قائم والامراء القبايلي يعينون في البلاد واحتاطوا بالقاهرة وخربوا ضواحيها كبولاق والشيخ قرو العبدوى والويلية فخرج اليهم محمد علي وهم بجبهة طرافيكبهم وهم غافلون وأوسع فيهم القتل فانهم زموا واشتتوا في الجهات وحصل بينهم وبين العسكر انتم فرقة وقعات بجبهة شبرى وأبي زعبل والخانقاه أعقبت خراب تلك الجهات ولم تزل العسكر مع ذلك تقوم لطاب الجوامك ويحصل منهم مالا خفيفه والوالى كل مرة يضرب على الاهالى مبالغ يحصلها بأنواع الظلم ثم ان محمد علي بينا هو تجهز للخروج بعسكره اثر الامراء القبايلي اذ حضر فرقة من عساكر الدلالة من جهة الشام فأراد محمد علي أن يكونوا معه فامتنع الوالى من ذلك وحصل بينهم ما كلام فامر الوالى بالخروج من البلد فامتنع وهاجت الارنود وخاف كل فريق من الآخر وبينما هم على ذلك اذ ورد فرمان بتولية محمد علي على جدة فأظهر الامتناع وأخذ في الاستعداد فاضرب العسكر والاهالى اعدم رضاهم بمفارقة البلد وفي أثناء ذلك طلب منه العسكر من تباتهم فأحالهم على الوالى ولم يكن بيده شيء فأغلظوا له في القول واسوء تدبيره قال لهم عليكم نهب القليوية فتفرقوا في بلادها ونهبوها وسبوا النساء وباعوا الاولاد فأوغرت صدور الاهالى وحصل في قلوبهم بغض الوالى والميل الى محمد علي لما يرون منه من الحزم والمساعدة فكان عاقبة ذلك ان كتبوا للدولة بانهم رضوه واليا فأجابتهم الدولة لذلك وصدر له الامر بولاية مصر في شهر صفر سنة ألف ومائتين وعشرين وانقرضت به دولة الغزو وحصل من ماله ما سئل الى أن انقضى نحبهم والله يؤتي ملكه من يشاء

(حال القاهرة في مدة الخديوى الاعظم محمد علي)

لما صدر الامر له بولاية مصر في صفر سنة عشرين وألف طلبة المرغوب أعياها وسلسلة الفتن محكمة حلقتها واعدة الحوادث صعب ملها والاضطراب عام في جميع الأنحاء والعقول غاب علمها حب الاهواء والعرب تعزبد في النواحي والمناسير تقطع الطرق وتنهب الضواحي والعسكر يجاب على الاهل كل داهية والامراء المصرية تعيث في البلاد وتخرب القاصية والدانية واذا أرسل اقاتلهم عسكر زادوا عنهم اضعافا في الفساد مع ما بين فرقهم من العداوة والعناد فالارنود تخالف الانكشارية وتقاتلها والدلالة تعادى كل فرقة ونصاؤها والكل معاد لاهالى عاص للوالى أخذ الباشا بالحد والحزم وتصدى على تلك المشكلات المعضلة والفتن المتطاولة فشرع في استمالة قلوب المشايخ أصحاب الحكمة كالسيد عمر مكرم والشيخ الشرفاوى والدواخلى حتى صاروا معه فجعل يحصل عقد المشاكل بهم ويستعين برأيهم على مهمات النوازل ولم يزل يعاني الامور بقل ثابت وسياسة تامة حتى تفرد بالامر كما سئل على عليم ولما صدر الامر بالبعوه لاجد باشا الوالى فلم ياتت اليه بل تحصن بالقلعة فقام اليه الخديوى محمد علي وحاصره بها وحفظ أبوابه ساكرا الارنود فلم يكن غنى يرقيل حتى جاهره بالعصيان لعدم صرف جوامكهم وتفرقوا عنه وانتشروا في القاهرة ينهبون ويسلبون فاتحد الباشا مع المشايخ ورتب من الاهالى بدلهم بالسلاح والمساوق والنبايت وفي أثناء ذلك حضر قايوجى من الدولة وبعه أوامر لاجد باشا بعزله فلم يمثل مرسومها واستقر على عزاده وبعد قليل حضر قبطان باشا أوامر تعضد ما سبق فلم يصغ لها ظنا ان ذلك كله شيك حيل تنصب له وراسل الامراء القبايلي وطلبهم لمساعدته فوقع بعض المكاتبات في يد الخديوى محمد علي فأخذ يحذرهم فبعد قليل حضروا الى الجيزة وعدى بعضهم الى البر الشرقى واحتاطوا بالبلد ودخلها الكثير منهم من باب الفتوح والحسينية وتوجه بعض كبارهم الى السيد عمر مكرم والشيخ الشرفاوى وغيرهما يدعونهم الى تجديدهم والقيام بنصرتهم فلم يقبلوا منهم فخرجوا خائبين

وكان الجناح الخديوي سنبلة خبرهم أرسل جنده الضبطهم فأدركوا بعضهم قد خرج من البلد فأولعوا بمن أدركوه منهم بالسكرية والدرب الاخر وهرب بعضهم الى جامع البرقوقية فاختفى به وبعضهم تسلق فوق السور من خلف الجامع فنجوا من اختفى بالمسجد دل عليه وكانوا نحو امان خمسين رجلا فلما أحضرهم بالازبكية الى داره وكان يريد الر كوب فرح بالظفر وأمر لمن أحضرهم بالعطايا وأحضر الجزارين وأمر بقتلهم وشاع ذكر هذه الواقعة في سائر الاطراف فهابه الاعداء وكان يظن ان هذه الحادثة قد سدد عليه ما دبره فكانت على خلاف ما ظن اذ أدخلت على أعدائه الرعب فخرج أحمد باشا وخرج عسكر الدلالة العصاة على وجوههم وانتشروا بالجهات البحرية ينهبون ويسلبون فوجهه خلقة هم حسن باشا الارنؤدي ومحمد بك المبدول وعريك الاشقر بمساكرهم فأجلوهم من البلاد واحتاطوا على جميع ما سلبوه وذهب أولئك الى الشام مدحورين وأما الأتاهالى فانهم في هذه المدة كانوا تملين على جرات البلايا غارقين في بحار الشدة اذ فالارنؤدي تهب البيوت وتخطف ما يرد من البضائع ويبيعونه بأعلى الاثمان حتى ان دم اللحم والسمن بعد شدة غلائهم ما وتعرض لنساء الامراء الغنيات بقصد تزوجهن والعسكر تقوم بسبب الجواهر فلا يجد بدا من توزيعها على الطوائف والتجار ثم توجه فذكره الى الالتزامات فتسكلم مع العلماء في ذلك فاتفق الرأي على أخذ ثلث الفاضل منها وكل ما يتحصل بصرف في شئون التجار يد وطلبات العسكر وليس بالكافي مع ما ضرب على النواحي وطلب من المديريات أموال سنة احدى وعشرين ومائتين وألف مقدما وتعين الكشاف للتصديق فكان الكشاف يعين من طرفه المأمورين ومعهم قوائم بالمطلوب من كل بلد مع ما يتبع ذلك كقوائم البشارات وأوراق تقييل اليد وحق الطريق ولبس القفطان مع طلب العرب العلائق والكلف * وفي محرم سنة احدى وعشرين ومائتين وألف حصل بين القبلى والعسكر مقتلة هائلة قتل فيها كثير من القرية عين وانهم زعم العسكر ووصل الامراء الى انبابة صحبة شاهين بك الا لقي ثم تحول بهم الى دمنهور ومنه اعدى الى المنوفية فتخربت تلك الجهات وتشتت أهلها وكان الحرب منتشرا بالجهات القبلية وانهم زعمت العساكر أيضا بالمنية وكان الجناح الخديوي مع ورود هذه الاخبار لا يتزعزع عن عزيمته ولا يترك تلافى الشدة بالجزم ويوجه ما أمكنه من العساكر ولا يصرف النظر عن اسئلة الاهالى بل لم يزل ساعيا في صراضهم لا يصدر الا عن رأى المشايخ فجعلوا يبذلون الجهد في مساعدته حتى بلغ ما أراد فانه لما حضر الامر برفقة قبطان باشا في هذه السنة بعزله عن مصر وتولية سلايك وجعل موسى باشا واليا بدله كتب العلماء والوجوه وأمره العسكر محضرا الى الدولة وأرسله صحبة ابراهيم بك بنجله الا كبر يترجون ان يبقى واليا لما وأمن حسن ادارته فبعد قليل حضر الامر ببقائه وتعيين ابنه ابراهيم بك دفتر دارا وكان الذى حسن للدولة عزله عن مصر هي الدولة الانكليزية ليقطع هذا الامر لاني ويتسنى لهم مساعدته وكان الا لقي قد سافروا الى بلاد الانكليز مصاحباهم حين خرجوا من مصر واتفق معهم على أن يساعده فلذلك حسنوا للدولة ما حسنوا وأرسلوا الى الا لقي بحوش عيسى فكاتب الامراء القبلى يخبرهم بما تم لهم من العفو بمساعدة الانكليز لهم وحضور الوالى الجديد ويحثهم على الاتحاد واعتناء القرصة ويعلمهم ان قبطان باشا ساعدهم أيضا على بعض مطالب عينها وان يحضروا حتى يتروى معهم فيما يلزم اتباعه فتشنتوا في رأيهم واعتنوا وامن اجابته وأبوا الحضور وكذا كاتب قبطان باشا الانكليز والامراء فوقع بعض مكاتباته في يد الباشا فوقف منها على ما يرام فراسل قبطان باشا واستماله فرأى ان الميسل الى الباشا أوفى مع تباطى الامراء عن اجابته فأخذ يدبر بنفسه لمحمد على باشا التدابير وأمره باعمال المحضر السابق وتصلح معه على مبلغ يدفعه للدولة فخطب الباشا العلماء فبادروا الى ما أمر وتم له ماتم ولما حضر الامر بر جوعه واليا نهض الى تجريد التجار يد وأخذ في حرب الامراء بجهة قبلى والا لقي بجهة بحرى لانه كان حاصر دمنهور والاهالى تمساعه عنهم وكان الباشا يخشاه لجسارته واقدامه ودهائه وذكائه ويذل الهمة في اسفاله الى ان اخترمته المنية عقب هذه الحادثة بغتة بجهة المحرقة ففرح الباشا بموته وأعقب ذلك موت عثمان بك البرديسي فتكامل السرور وقال الباشا في محفل من أجبائه لشدة فرحه الا ان ملكك مصر وكان كما قال فانه بعد موتهم ما انحلت عرا اتحاد الامراء المصريين وتشعبت آراؤهم وجعل كل واحد منهم يرى نفسه انه أحق بالامر فرأى الباشا ان اطفا نيران فتهم بجعله متفرغا للنظر في مصالح القطر وعلم تشعب كلمتهم فراسل البعض فحضر اليه فأعقد عليهم وزوجهم فأنحاز اليه الكثير وتمزق حزب القبلى ومن بقي لم يزل

مصر على العناد فطلب صلحهم لانه الاقرب الى السلام لتدبير القطار وتنظيم احواله وترتيب احكامه واحفظ
من تطرق الخلال اليه لان البلاد الاوروباوية حينئذ كانت مضطربة والحرب بمقائفة ونايليون بانواريت يحوس
بجيوشه خلاها ويدمرهم بجماته ممالكهم افتعلت على النمسا والموسكو وكذا دولة الروس أعلنت الحرب مع الدولة
العلية لانضمامها مع فرنسا وصدرت الاوامر من الدولة لمحمد علي باشا بالاحتياط وحفظ الثغور خوفا من أن تدهمه
دولة الانكليز على غزة فان مراكمهم أخذت تجول في البحر الايض ولا يعلم ماذا قصد ولما أبطأ عليه خبر الصلح قام
الى الجهات القبلية ووعدهم بما يرضيهم فتشاوروا بينهم فبعضهم لم يقبل كبراهيم بيك الكبير وقال أنا لا آمن غدره
وبعضهم مال الى الصلح فلم يرل مجتهدا في استمالهم حتى تم الصلح فترك القتال وكانوا يحضرون الى القاهرة وحضر جاهين
بيك وأقام بالجيزة وعمل لقدومه شئنا ولبلة حافلة وأعطاه الباشا اقليم الفيوم وثلاثين بلدا من اقليم البهنسا وعشرة
من الجيزة وأعطاه كسوفية هذه الاقاليم مع كسوفية البحيرة وثغر الاسكندرية واهتم بشانه زيادة عن غيره
وزوجه من جواريه ثم حضر بعده نعمان بيك فأكرمه أيضا وزوجه من جواريه وأعطاه بيت المهدي بدرب الدليل
وهكذا كل من حضر كعمر بيك ثم بعد ذلك حضر ابراهيم بيك الكبير فولد جرجا وفي أثناء ذلك في محرم سنة اثنتين
وعشرين ومائتين وألف ورد الخبر اليه بوصول الدوتمة الانكليزية وأخذها ثغري الاسكندرية ورشيد وان الانكليز
راسلوا القبلى لينضموا اليهم وأفهمهم وهم أنهم ما حضروا الانصرتهم فاخذ في الاستعداد وبنى الاستحكام الذي كان
بانباية وساعد على ذلك قنصل دولة فرنسا الما بين دولته ودولة الانكليز من العداوة اذ ذلك وأرسل بانو يارتو
الخازن داروحد بن باشا الارنودى واسم عيل كاشف التحصيل المال من البلاد ووزع مصروفات ما يصنع بالقاهرة
من طواحي وخنادق على أهاليها واهتم بجمع العساكر والنظر فيما يلزمهم فبينما هو كذلك اذ حضر البشير بهروب
الانكليز من رشيد وقتل الكثير منهم وان العسكر قد أسر منهم خلقا كثيرا فخرج الباشا والناس ودقت الطبول
وزينت البلدو بعد قليل حضر الاسارى فادخلوهم البلد وكلن لدخولهم يوم مشهودوا من الباشا بعاملتهم
بالحسنى ورتب لهم ما يكفيهم ثم توجه الى الرحمانية ثم قصد دمهور وكاتبه الانكليز في الصلح فلم يمانع فقاموا وتركوا
المدينة وكانوا قد قطعو اجسر أبي قير لقطع المواصلات بين ثغر الاسكندرية وداخل القطر فم المائت أغلب بلاد البحيرة
وأخرب بلادها وأتلف أرضها وكرومها وأعددم منها نحو من مائة وأربعين بلدا بقيت الى الآن وهى ماتراه حول
اتسكو وبحيرة الممعية الى المحودية وما جاور بحيرة مريوط ممتدا الى القرب من دمهور ولما انقضى أمر الانكليز التفت
الباشا الى إعادة ما اختل من نظام أمر العسكر فأنهم كانوا اقياما على قدم العصيان بخصوص منع جوامكهم واحتاطوا
بيته بالازبكية ورأى منهم عين الغدر فركب ليلا الى القلعة وتحصن بها وبعثت المدينة مضطربة أياما وجعل يرسل
أمرهم ويواسيهم ووزع ضربية على قبةته ورجله وأرباب التجارة والصناعة وصرفها في بعض الجوامك وتحقق
لديه ان الباشا لروح الفتن في العسكر هو رجب اغا فآراد نفيه فتعصب له جماعة من العسكر وعلموا متاريس بقنطرة
باب الخرق فأرسل الباشا اليه حسن اغا سر جشمه فعمل متاريسه جهة المدابغ وزحف الفريقان وخرقوا جدران
البيوت لينوصل كل فريق الى الآخر وليتمكن كل من عدوه وسعى في هدم ما يابو به فتخرب لذلك غالب بيوت تلك الخطة
وحصل لاهلها من الشقاء ما لا يوصف وتعدى الشقاء لباقي أهل البلد وغلقت الحوانيت وتعطلت الارزاق فلما طال
الحال ورأى الباشا ان هذه الفتنة ان دامت دمرت ما دبره وربما أفسدت ما لا يمكن اصلاحه وجهه صالح خووجه وعمر
بيك الكبير وجعل اليهما أمر الاصلاح فبعد محاورات تم الأمر على ان يعطوا الرجب اغا بما غا عينه وأن يخرج الى
بلادهم فكان وخرج الى بلاده من طريق دمياط ثم طرد جميع العسكر الدالة وألبس فرقة من الاتراك الطراطين بدلهم
ورأس عليهم من أقاربهم مصطفى بيك وكذا وجه عسكر الحاربة أولاد على من عرب البحيرة لما حصل منهم من كثرة
الفتك بالاهالى فاوقعوا بهم وقهرهم على الطاعة ثم وجههم الى قع ياسين بيك وحزبه فانه كان قد خرج من مصر
واجتمع عليه جماعة من الاوباش فسافروا بهم الى قبلى وانضم اليه بعض المفسدين من الامراء والعرب وأكثرت النهب
والسلب والاحراق فأرسل اليه الباشا جمعا التقي معه بالمنية وانتشب القتال بين الجمعين وبعد قتال شديد انهزم ياسين
بيك وتفرق وجهه وفارقه أكثر أصحابه ثم راسلوا في الصلح على أن يحضر الى القاهرة فاجاب وحضر ولما كان طبعه عيل

الى اثاره الفتن والاشاير يدحسها استقر الامر على ثقي ياسين بيك قطع الاسباب الشر فسفروا الى قبرس وهذا القطر
بجروجه ووجود القبالي بمصر بعض الهدى ولكن الباشا لم يزل متفكرا في امر الامراء لما يراه من تقلباتهم وعدم
رضاهم بما يصل اليهم من هباتهم ومرتباتهم واطهار كل منهم انه الاحق بالاكثر مما السواه وطلبه الزيادة على ما اعطاه
وجريانهم مع قبيح تصورهم وظموحهم في ميدان تهوؤهم ولما كان مضطرا الى مواساتهم الى ان يتخاصم متى سنحت
الفرصة من شرهم كان لا يمنعهم مطلوبوا ولا يكف عنهم مكروها له ولا محبوبا فاحتاج لذلك الى المال فوجه نجلة
ابراهيم بيك الى جهة بحري مع كشاف وكتاب ووزع على كل فدان يروي بالنيل اربعة مائة وخمسين فضة وبعد قليل
سافر بنفسه وقرر على قرار يربط البلاد كل قراط سبعة آلاف وسبعة مائة نصف فضة وسميت هذه كافة الذخيرة وبطل
مسموح مشايخ البلاد ولما دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف شرع في بناء سراي بجهة شبري على النيل في
متسع من الارض يمتد الى بركة الحاج وغرس بها البساتين والاشجار وأمر ببناء العيون وكانت متخربة منذ عشرين
سنة مهجورا استعملها فشد في عمارتها وحشرت لها الصنائع وجلبت اليها المهمات حتى تمت وفي سنة اربع
وعشرين ومائتين وألف احتاج الى اموال يصرف منها مرتبات العسكر لازاحة عنهم وقطع اسباب فتنتهم فطلب من
القبالي ثلث المطلوب من الغلال وقدره مائة ألف اردب وسبعة آلاف اردب وطلب على الاطيان زيادة عن عام الشراق
الثلث ومن الملتزمين نصف مال الالتزام وجعل المال على الرزق وأطيان الأوسية وحدثت النفقة على المنسوجات
من الاقشعة والخصر والمصوغات من الاواني والحلي وأمر الروزنامجي بتحرير قوائم البلاد فقال ان أكثر البلاد
خراب فامر به بقرض الحرب من العامر فخر القوائم وجعل في ضمن الحرب بادرة عامرة كانت له ولا حبابه فلما عرضها
على الباشا فرقها على الامراء بحسب درجاتهم وأخرج لهم بها التقاسيط وكان عددها مائة وستين بلدا وتسنى له بذلك
أن يدفع الى العسكر مرتبهم ويطفي لهب فتنتهم ولكنه مع ذلك كان ساعيا في ابعادهم ليكني الاهالي شرهم لانه مامن
يوم ير الا ويحصل فيه قتل وسلب في الحارات والضواحي ولا يستطيع أحد أن يخرج من بيته ولا الى أقرب منزل له
بعد العشاء ولا يمكن لانسان ان يذهب وحده أو مع جمع قليل الى شبري أو بولاقي وقبل ان يخرج يسأل عن أمن
الطريق فكان الباشا يبعد العسكر عن البلد ما أمكنه فيرسلهم خلف العرب ولحمار بقايا الامراء بالجهات الشمالية
ويتربص النرص لازاحتهم ثم لما رأى ان بعض المشايخ بما لا يلائم الحال خصوصا السيد عمر مكرم لمعارضته
له في جميع مشروعاته وتهيج الافكار عليه شكك منه الى المشايخ فهو ثوانه أمره وصاروا يعدون له معاييب وهنات
حتى نفروا الناس عن السيد عمر مكرم وتباعده عنه أصحابه وفي خلال تلك الاحوال طلبت الدولة مبلغ أربعة آلاف
كيس كانت باقية مما خصه قبطان باشا فعد لذلك مجلس كتب فيه محضد كرفيه خاوا الخزينة من الاموال مع كثرة
النفقات على الاعمال النافعة كسدترعة النرعونية وبناء العيون وترميم بعض القناطر وغير ذلك وختم عليه المشايخ
ولم يحضر السيد عمر مكرم كراهة فيما فعل فاغتاط الباشا وطلبه الى الحضور فلم يجب وترددت الرسل بينهم فقال السيد
عمر ان كان لابد من الحضور ففي بيت السادات فزاد غيظ الباشا ونزل بيت ولده ابراهيم بيك وأرسل خلف المشايخ
والامراء فحضروا عنده وأحضر القاضي وأمره ان يرسل الى السيد عمر مكرم فارسل اليه القاضي رسولا ليتذاكر
معه فانه منع من تلام المرض فقرر المجلس رفعه من نقابة الاشراف ونفيه الى دمياط ونزع ما به من النظارات وتولية
السادات وظيفة النقابة فالبس الفروقة في المجلس ولما وصل الامر الى السيد عمر أقام السيد المحروقي وكيلا على أولاده
وسافر الى دمياط فتجاروا على أخذ ما كان بيده وأكثروا التودد والرجاء فطلب الشيخ المهدي من الباشا أن يعطيه
نظارة وقف الامام الشافعي رضي الله عنه وسنان باشا فاعطاها اياه ثم طلب صرف ما هو متأخر لهما فصرف له وهو مبلغ
قدره ثلاثة وعشرون كيسا ثم غفوا محضرا ذكروا فيه أسباب عزله ونفيه وختم عليه المشايخ سوى مدني الحنفية
الشيخ الطحطاوي فنشروا منه وابتنى على ذلك انفصاله من منصب الافتاء وتعيين الشيخ منصور بدله ثم رأى الامراء
انهم ان داموا على حالهم بمصر ضعفت ساططهم فانفقوا على الخروج من مصر فخرجوا الى قبلي واتحدوا مع جاهين بيك
وغيره وجعلوا يغرون العرب والمفسدين حتى كبر حزبهم وخافهم الباشا فقام بنفسه وأخذ عساكره وخرج اليهم
في شعبان من تلك السنة وجعل نائبه في البلد ككتخدا بيك وهو محمد بيك لازوعلى فلما قرب منهم راسلهم في الصلح وكان

الكثير خرج على غير خاطره لما ذاق من حلاوة الراحة ورعاية المعيشة فمجرد غصص الكرب في ميدان الحرب فما صدق أن سمع بأمر الصلح فطار فؤاده فرحا وانضم إلى الباشا فأغدى عليهم وأطهر لهم البشاشة واللين وتدرع الصبر على مضض ما يقاسيه منهم لأنه كان على يقين من أنهم ماداموا في مصر لا يصفو عيش ولا يستريح بال لكنه كان يتربص سنوح الفرصة فيستريح وأول من جاء منهم محمد بك المنفوخ فأعطاه جرك بولاق ثم عوضه عنه ستين كيسا ثم تلاه جاهين بك ونعمان بك وأمين بك ويحيى بك فأنعم على كل منهم بعشرين كيسا وشرعوا في شراء بيوت وبناءها لهم الباشا على مصروفه وألحق تلك العطايا بسبعة آلاف ريال لكل منهم فاطمأنوا ثم خوطبهم واشتغلوا بتنعماتهم والباشا يلين لهم جانبه ويتلطف بهم حتى خضعوا له ولم يبق مخالفا لهم إلا إبراهيم بك الكبير فإنه لما حضر وقت الصلح إلى الجيزة ولم تضرب المدافع لقدومه تغير خاطره ونقر طبعه ونقض الصلح ورجع إلى قلى مع جماعة ممن كان على رأيه وانضم إليهم بعض قبائل العرب ولكن لم يجد نفعا فأنهم فروا عنه عند مارأوا عسكر الباشا تقفوا أثرهم وقد ملكت المنية وأيضا فان غالب رؤساء العصية انضم إلى الباشا ولم يزل صالح قوجه مصعدا خلف إبراهيم بك وجاعته إلى أن أجلاهم عن الاقليم فدخلوا بلاد النوبة وأقاموا بها وفي خلال ذلك كانت الفتنة قائمة في الاقطار الحجازية بسبب ما فعله الوهاشي بتلك الجهة لأنه عاث فيها كالذئب في الغنم وقتل وسلب وسبي ونهب وهتك حرمة الحرمين الشريفين ونال أهل البلدين من ضرره مالا يزيد عليه حتى هاجر كثير منهم إلى مصر والشام وماجاورهما من البلاد وتعتل الحج وخيف الطريق فكتب أهل الحجاز يستغيثون بالدولة فكتب محمد علي بإرسال العسكر لاختاد تلك الفتنة وحده على السرعة فأخذ يجهز العسكر واتخذ صناعة في بولاق لامل المراكب وأمر بقطع الأشجار بالغلة في أنحاء القطر وجلبها إليهم ففصلت منها عدة مراكب وأرسلت على الجبال إلى السويس فتركبت هنالك ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين وألف فتوجه الباشا بنفسه إلى السويس وأمر بضبط ما بها من المراكب وكذا ما بغيرها من سواحل البحر الأحمر وعاد إلى مصر وأخذ في تشييل الجردة وقلم دوله طوسون عسكرها فخرج الجيش وعسكر بقرية العزب وكان نحو ألفي مقاتل وحدث على احضار اللوازم فوقع ذلك لدى الدولة العلية موقع الاستحسان ورأى السلطان أن فعله ذلك من أجل الخدم الدينية وأرفع التقارير إلى الدولة العلية فأصدر أمره إلى خورشيد باشا ومن معه بالرجوع إلى الاستانة فكان كتقريه جديدا من الحضرة السلطانية للباشا بتولية الديار المصرية فأهدى ذلك الأمر السرور والقلب فرأى أنها موافقة لدولة الانكليز وأبلغت دولة فرنسا الباشا على يدقنص لها أنهم امنون بمكارتهم من اقتداره على نشر اعلام التمدن في البلاد الشرقية وكان الباشا قد غنى اليه ان جماعة من المماليك تواطؤا على الفتنة في عودته من السويس فقام على غير ميعاد وتسربل ظلام الليل حتى دخل مصر من ليلته ورأى أنه لا يأمن من فتنة المماليك خصوصا اذا خلت البلاد من العسكر فدبر في قطع دابرهم فأبدى اهتمامه بأمر يوسف باشا الذي كان واليا على الشام وعزله عنها وأجد باشا الجزار فحضر مستعينا بالباشا فذكره الباشا لاختياره ووعده المساعدة وان يكون أعز انصاره فأمر بتجهيز تجريدة لنصرة المذكور وعين جاهين بك الاتي رئيسا لها ثم أحضر النجدين وطالب منهم تعيين ساعة يكون الطالع فيها سعيدا حتى يلبس ابنه طوسون السيف والخلمة اللذين حضر ابراهيم من طرف السلطنة السنية حين تعين رئيسا للجيش المسافر للحجاز فاختروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة الخامس من صفر سنة ست وعشرين ومائتين وألف فلما كان يوم الخميس الرابع منه طاف الجاويشة في الاسواق يعلنون بالموكب على حسب عوائد تلك الايام وطافوا بيوت الامراء وكبار العسكر وزعماء المماليك على طبقاتهم بنشورات الحضور إلى القلعة متجهين ليسيروا في الموكب في اليوم المقرر فأخذ كل في الاستعداد وفي الوقت المعين وافوا القلعة ولم يتأخر منهم انسان وكان الباشا قد رفق نفسه الفتنة بالامراء ومحوا آثارهم فدبر تلك الحيلة لاجتماعهم كي يستريح من شرهم ولم يظهر ذلك لاحد حتى كانت ليلة الجمعة فأسر ما صدم عليه إلى حسن باشا الارنؤدي وصالح قوجه وكتفدا بك فاستصوبوا مارا وبات كل واحد يدبر أمره فلما كان صباح الجمعة أسروا ذلك إلى إبراهيم أغا أعاد الباب وانفقوا معه على ما يكون اجراؤه كي لا يمحيط عملهم فيتمه وافيمالا يقدرون على الخلاص منه فرتبوا على حافتي المضيق الذي بين باب العزب والباب الاعلى ما يلزم من اتباعهم فلما انتظم الموكب تقدم عسكر الدلاة ثم واهم الوالي والمحتسب ثم الاغا والوجاقية والالدشات ومن تزيار بهم

ثم الامراء المصريين ثم عسكر الرجالة والخيالة ثم أصحاب المناصب فلما سار الموكب وجازت الالاشات من باب العزب
وانحصر الامراء بين باب العزب والباب الاعلى في المضيق امر صالح قوجه بغلق الباب الاسفل وعرف طائفة من
جماعته بالمراد فارسا لوارصاص بنادقهم على الامراء وكذا أطلق عليهم من بحافى الطريق فدهشوا وأرادوا الهرب
فلم يتمكنوا والغلق الابواب والرجوع فلم يقدر والضيق المسكن وصعوبة المرتقى فسلموا أنفسهم للقضاء وبقوا متحيرين
الى أن مات أغلبهم في المضيق كجاهين بيك وسليمان بيك البواب وبعضهم تجرد من ثقله ورجع فذوا في الساحة
الوسطى أدركه بها حاميهم ونزل بعض العساكر فاحتز رأس جاهين بيك وغيره وأتى بها الى الباشا فأعطى عليها البقاشيش
ثم داروا على من اختفى بجهات القلعة فن عثروا عليه قتلوه وكذا قتلوا من كان جالسا مع كتخدائ بيك كجيجي بيك
الانلى وعلى كاشف الكبير واحد بيك السكلا رجي واستمر القتل من ضحوة النهار الى العشاء ولما حصل لمن كان بالقلعة
من الامراء ما حصل تتبع العسكر من كان منهم بالقاهرة والارياق فقتلواهم الامن فرالى السودان أو استترحتى مات
ونهب دورهم وامتلكت الارنو دأموالههم وفي يومها أرسل محزم بيك الى طاهر باشا وكان حاكم الجزيرة لجمع
مال المقتولين من كافة الجهات فجمعت وكانت شيئا فوق الحصر من خيل وحمير وجمال وبغال وأبقار وغير ذلك من
الغلال ونودي بالامان للنساء المقتولين وان يرجعن الى بيوتهم وكن قد تشستن وأنعم الباشا ببيوت الامراء بما فيها على
خواصه فسكنوها ووجدوا فرشها مما يحبوه والبسوا النساء الخواتم مما يحبوه ولما رأى العسكر قدراً كثرت من النهب
وتعدوا على بيوت الاهالى نزل وطاف بالبلد وأمسك بعض المتعدين وأمر بقتله وكذا أمر ابنه طوسون ان يطوف
بجارات القاهرة وان يقتل كل من وجدته على هذا الحال ففعل ولولا ذلك لنهبت البلدة عن آخرها وانتهت هذه الحادثة
على وفق مراده وأطلق تصرفه بعد التقييد ثم ان الباشا بعد ما أخذ الى الديار من انفسهم أخذ في النظر الى حال البلد
وما يلزم من الترتيبات والتنظيمات وشرع في تخليص القطر من الاحوال التي ورطه فيها سوء من تقدم من الحكام اذ
الباشا وان كان متوليا عليه لكن لم يكن قادرا على تعديلاته لما كان حاصل من معاساتهم مع انه كان غير غافل عن
النظر في كل حادثة معمول ففكر في حل كل مشكلة الى ان أطلق تصرفه وزال معاكسوه فشرع في الاصلاح على نهج
مستقيم وقوانين معتدلة وجلب لقطره تجارات السعادة وفعل ما أحيا ذكره وأوجب شكره وأسس بيت محجده
وجذب بزمام العدل رواحل سعده فرأى ان النظر للدولة العلية أول واجب لتتيم مراده لانها كانت تود عزله عن
مصر فنظر اليها بعين الاعتبار وسعى في تنفيذ اغراضها وبادر الى امتثال مرسوماتها فوجه العسكر الى الجاز صعبة
ابنه كما اشارت وجعل بصحبته بعض العلماء كالشيخ المهدي وكاف السيد المحروقي بتجهيز طلبات العسكر ونزل فرقة
منهم بالمرأى كسيرة الذهاب فسبقوا العساكر البرية فوصلوا الى ينبع البحر وتلاقى هنالك بجيش الوهاية فلم
يكن الا قليل وانهم زعم العرب شريفة واستحوذت العساكر المصرية على متاعهم ودخلوا البلد واستولوا عليه ما ورد
البشير بذلك الى القاهرة فزينت وأرسل الباشا بخبر النصر الى الدولة العلية فدب السرور في انحاءها وعملت الزينة
هنالك وأقامت العساكر ينابيع حتى أدركتها عساكر البرفسار جميعا الى الصفر والجلدية وكان العرب قد
تجمعوا هنالك فحصل بين الجيشين مقتلة عظيمة انفصلت بانهم زعم العساكر المذكورة فرجعوا الى بلوى بعضهم على
بعض الى أن وصلوا الى البحر ومنهم من أخذ على وجهه على طريق القصير راجعا الى مصر مثل صالح قوجه وغيره
فسبقهم الخبر من طوسون باشا بعدم ثباتهم وشرق كلمتهم وعدم امتثالهم فحق الباشا وأضرهم السوء حين ما وصلوا
الى القاهرة أرسل لهم بالخروج من بلاده ولم يقابلهم فتحولوا برجالهم الى بولاق مظهرين الامتثال ومتربصين بحضور
عساكر قنا فأنهم عند عودتهم حين ما مروا به التحدوا مع أحمد دأغا لاظ حاكمها على حضوره اليهم بعساكره ان رأوا
من الباشا عين الغدر فلما أمروا بالخروج اباعوه الخبر فإرسل أمين اسراره الى الباشا يعلمه انه يرغب في مفارقة مصر
مثل اخوانه فتبين للباشا ما ربه فإطله وأرسل بطبيب خاطره وأضره ما أضره وأخذ في تشهيل الآخرين وصرف ايامهم
جميعا مطالباتهم وأثمان بيوتهم حتى ما صرفه صالح قوجه على الجامع الذي بناه قرب بيته ببولاق على ساحل البحر
فقاموا وتوجهوا ثم عين الباشا ولده ابراهيم والبا على الصعيد وطلب أحمد دأغا لاظ الى الحضور فحضر فذوقت عين
الباشا عليه قته له واستحوذ على أملاكه ودوره وخلص القطر من شروره وهكذا هم الرجال في التخلص من أحوال

الانحوال ثم أخذ في تدبير أمر الجواز واتخاذ الطرق الموصلة لتتوجه فيه العساكر وعين لها الكشاف وأرسلها
 صحبة بانو بريت الحجاز في أسرع وقت ونعى اليه ان المساعدة للوفاية هوشية قبيلة حرب وانه اذا انفصل بعريه عنهم تم
 للباشا ما يريد فليس اليه من يحسن له الا انضمام الى عسكر الباشا وأصبح أمير الجردة النقود الوافرة والهدايا وأمره
 بالاعداق عليهم فأخذ الامير يرسلهم وأعطي شيخ القبيلة مائتي ألف ريال قرناوى وأعطي كل رئيس ما يناسبه من
 النقود وكل نسر خمس ريات وغرامة عدس ومثلها بقسمها طازيade عمأعطى المشايخ من الكشامير وما خصصهم
 به من المراتب فتحالفوا على نصرته وبهذا تسنى له الاستيلاء على المدينة ومكة وجدة بلا كثير مشقة وورد البشير بذلك
 ومعه مفاتيح المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فدخلت الطبول وزينت البلد ووجه الباشا لطيف بك
 بالمنافحة الى القسطنطينية فكان يوم مقبده اليها عيداً وعمل موكب حافل مشى فيه العلماء والامراء من أرباب
 الدولة وغمر بالانعامات وشاع بذلك ذكر الباشا في الآفاق وانتشر صيته في جميع الانحاء وهابه القريب والبعيد
 ووقع في نفس الدولة من علوه أشياء ففعل انما أسرت الى لطيف بك أمر او منته الاماني فلما رجع الى مصر وجد الباشا
 قد بارحها الى الاقطار الحجازية وخلفه محوياً بك بجوامعته وكذا الدالى حسين فاعتنقها فرصة على زعمه وجعل يغري
 الممالك ومن بقي من شيعتهم فشرع به الكتخدافا احتال حتى أوقع به ومن معه وأطفأ هذه النائرة بموتهم وأما سبب
 سفر الباشا الى الحجاز فانه لما تمت له الغلبة على تلك الجهة أخذ في تسوية أموره فأمر أن لا يتسنى له ذلك الا بعزل
 الشريف غالب وعزل المذكور محفوف بصعوبات لا يقوم بدفعها سواء لانه ان كاف غيره بجلها ربعاً أخطأ أو أفسى
 سره فضاغت غيرة نصرته فقام بنفسه في شوال سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف متوجه الى مكة فلما وصلها اجتمع
 بالشرىف ولاطفه فاطمة أن لذلك الشريف وصار يذهب الى الباشا ويرجع مطمئناً وكذا يذهب الى بيت ابنته الى أن
 تم للباشا ما يريد فأمر لابنته القبض عليه فقبض عليه وعلى عائلته وارسل الى مصر وجعل مكانه ابن اخيه الشريف
 يحيى بن سرور ومكث الباشا بالحجاز الى جمادى الثانية سنة ١٢٣٠ الى ان تم له أمره كما تم له أمر مصر فرجع اليها
 في رجب من عامه فكانت اقامته بالاراضي الحجازية اثنين وعشرين شهراً ودخل تحت سلطته غالب تلك البلاد
 كالطائف ومكة والمدينة وقنفذة وجدة وأطاعه أكثر القبائل وحصل هناك أمور لم يحس الغرض بتفصيلها وانما
 سردنا ما سردنا لارتباط الحوادث بعضها ببعض وتلك المساكن عليه هذا الشهم من الخزم والصبر للذين أوصلاه
 بقوتهم الى أقصى المراد مما لا يصل اليه غيره بجمع العساكر وحشد الاجناد فانه مع ما كان مشغولاً به من الحروب
 الخارجية لم يهمل أمر الداخلية خصوصاً أمر المصاريف الباهظة لاجل التجاريد فأخذ في تقرير الاحوال وترتيب
 الاموال كتحصيل الموازين والصنح فانه أنشأ ديواناً لذلك ورتب خدماً للتفتيش على الصنح فكل ما وجدوه تاماً مدغوه
 بمقرر وما وجدوه ناقصاً كسروه وعوضوه بغير مدغوه فاعلى الصنحة وزن نصف اوقية ثلاثة اناصاف فضة والاوقية
 ستة ونصف الرطل خمسون والرطل مائة وكضم الالتزامات الى بيت المال وتعويض أربابها دراهم من الخزينة وغير
 ذلك فبهذا تسنى له جمع المال الذي كان يصرفه في التجاريد وبناء الحصون بالاسكندرية ورشيد ودمياط وسد أبي قير
 وترعة القرونية مع اهتمامه بتأمين الطرق ومساعدة التجار من الافرنج وغيرهم حتى اطمأنوا بعد الخوف وسكنوا
 نغرا الاسكندرية وجلبوا الى مصر أنواع التجارات ولما صدر أمر الدولة بارسال الشريف غالب الى القسطنطينية
 ورد جميع ما أخذ منه صالحه الباشا على سبع مائة كيس فقبها وطيب خاطره وأرسله اليها مكرماً ثم ان الباشا أراد
 أن يجعل عسكر مصر نظاماً كهيئة عسكر الافرنج فلما أشيع ذلك شنع بكار العساكر وأمرهم على هذا المشروع
 وقبحوه وتحادثوا بينهم فيه فاتفقوا على المعارضة فيه متى استشيروا وتجمعوا على الهجوم على الباشا بمنزله وكان من
 جملتهم م عابدين بك فأخبر الباشا بما دار بينهم وبين له منهم م عابدين بك فغريه ليلاً وطلع الى القلعة مع من يلزمه
 وتحصن بها فلما بلغ ذلك العسكر قاموا واحتاطوا بالقلعة ولما رأوا ذلك غرهم فيدهم شيئاً تفرقوا في شوارع المدينة
 ينهبون ما وجدوه ويكسرون الابواب المغلقة حتى أتوا على جميعها ولم يدافعهم أحد الا أهل خان الخليلي من الاتراك
 والارنؤدو أهل الكهكيين والقمامين من المغاربة وأغلقت البيوت وتعطلت الاسواق وامتنع الوارد للمدينة واستمر
 ذلك ثلاثة أيام فاستدعى الباشا العلماء وبعض الامراء وأظهر أسفه على ما حصل وشنع على ذلك وأمر السيد

المحروق بتحرير قوائمه بمانب حتى يقوم بدفعه لا ريب له لما أن ذلك لم يقع الا بسببه وأمر بينا ما هدم على طرفه ورد
 ما كسر من الابواب ففرحت الالهة بذلك رمد حوه وأثنوا عليه الثناء الجميل ومولوا اليه بعد النذرة ولما أحضرت
 القوائم أمر لكل واحد جزء من ماله ووعد باعطاء الباقي عند ما تنصل لنعوذ وكان الذي ظهر لتجار الغورية مائة
 وثمانون كيسا ولاهل الجزاوى ثلاثة آلاف كيس ولاهل السكرية سبعون ولاهل مرجوش أربع مائة وخمسون
 كيسا كل ذلك في مقابله عروض التجارة وأما النعوذ فلم يسمع فيها دعوى وهذه الحادثة وان كانت أولا ليست على
 مراد الباشا لكنها آخرها كانت من أحسن ما قصدته فانهم باقوت حزبه وأوغرت صدور الناس على أعدائه وأنعم على
 البراءة من هذه الحادثة ومن برأ نفسه وأنعم على عابدين بك بألف كيس وجعل محو بيك كبير الدلالة وألبسه الخلعة
 بذلك وهو لاء الدلالة كان أكثرهم من الدروز والشوام والمتاوله يلبسون الطرايط الطويلة من الجلد طول الواحد
 ذراع وقلمه عبد الله صارى كولى اليكشارية وألبسه الطربوش الطويل المرخى وفي شوال من هذه السنة نزل الباشا
 من القلعة وكان لم يبارحها منذ طلعوا مستخفيا وتوجه الى الأثر ومنه عدى البحر الى الجزيرة وبات بقصر هناك فلما أصبح
 ذهب الى شبرى فبات بها ليلة أيضا ثم نزل الى قصره بالازبكية ثم طلع القلعة وأكثرت من الاجتماع بالمشايخ والأمراء
 وتكلم معهم في رد الالتزامات لاربابها وغرضه بذلك ان يشاع بين الناس قطع ثمن خواطر الامراء لان أغلب الالتزامات
 كانت بأيديهم وكانوا هم المحركين للعسكر فاراد بذلك تسكينهم وكان مع ما هو فيه به بيت عيون بالاسنة ثمانية قصب على اليه
 الاخبار ويؤى الى الدولة واعيانهم او ببادر لاظهار ما يحبونه فيه على الزينة متى بلغه أمر فيه سرورهم كنصرة أو ولادة
 فكانت القرمانات تتوالى اليه مقوية لسلطته مادحة ما يفعله فتشرف في الانحاء فازدادت مكانته وقويت شوكمته
 ولما حضر ابنه طوسون باشا من الحجاز على له موكب فاخر وزينت البلد وضواحيها أياما وهرعت نساء الامراء الى
 بيته مهئين والدته بعودته ثم توجه الى الاسكندرية ليتقابل مع أبيه بها فلما التقيا وتذاكرا في أمر العسكر وتجمعهم
 تم التدبير على تفريقهم عن القاهرة فجعل ابنه طوسون باشا الحاد وأبي مندور وحسين بيك وجو بيك سارى كولى
 ومحو بيك بالبصرة وغيرهم بمديناط ولما استقر طوسون باشا بعسكره أخذ يوافي قلوب العسكر اليه حتى استمال
 أغابهم خصوصا جماعة محو بيك فانه كان معانداهم وتوراف قصده قص ريشه ليتعشى به فلما رأى محو بيك نفسه في
 قلة وعسكره قد انحازوا الى طوسون باشا وعرف عين الغدر من أحواله وتحت ذلك اضطاب منه الحضور عنده
 توقع على اسمعيل باشا ومصطفى بيك كبير الدلالة فتوسطوا له عند الباشا ونشفعوا فيه فقبل شفاعتهم ومن وقتئذ
 انكسرت حدة محو بيك وأمسى في قبضة الباشا حيثما شاء وجهه فلما رأى ذلك باقى الامراء بسطوا الكف الذل
 وخضعوا فصفنا الوقت للباشا وأخذ يتصرف بالتؤدة في أمور القطر ولم يبق من ينتقد أفعاله الا أفراد قليلون منهم الشيخ
 الدواخلى فانه بعد ان ولأه نقابة الاشراف داخله الغرور وصار يندد على أفعال الباشا ويقدم في أموره وتجرا على
 ابراهيم باشا في مجلسه بما لا يليق في حق أبيه وكان يتم توريه على الاقباط فأكثروا الشكوى منه وتقدم من المشايخ فيه
 محضرا فأرسله الى الدولة وعزله من نقابة الاشراف وأشار بها على السيد المحروق فاستقاله منها فأقاله واختار أن يكون
 فيها البكرى لاستحقاقه اياها فولاه الباشا وألبسه العباءة كما كانت عاداتهم والتفت لضعاف كل من شتم فيه رائحة
 التمر دفشت الارنؤد في الحروب وقتل المتردة ودخل تحت طاعته من كان يرى نفسه أعلى منه كن بقى من أتباع
 الامراء المصريين بعد ان ذاقوا ألم الفاقة فرضوا أن يتوطنوا مصر راضين أن يفعل بهم ما أراد فقبلهم على أن
 يستخدم من يلىق ويرتب لمن لا قدر له على الخدمة ما يختارون لا يعطوا ارضا فرضوا وأجلى طوائف الدلالة وبالجملة
 عز تمام العز بعد انتصار ابنه المرحوم سرع كرك على الوهاية واحضاره عبد الله بن مسعود أميرهم سنة أربع وثلاثين
 ومائتين وألف وقد قتل المذكور بالاسنة ثمانية فكان افتتاح الحرمين الشريفين من أعظم البواعث على علق قدره ثم
 التفت الى تنظيم القطر فقتل الاشقياء وأمن السبل وسرا التجارة برا وبحرا وأمر بحذر ترعة الاشرافية وهى المجرودية
 لتسهيل التجارة وجلب المياه العذبة الى نجر الاسكندرية والاستراحة من طريق رشيد لكثرة الخطر بها وعين اعمالها
 مهندسين من فرنسا وبنو وهما كوستا ومامى وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف كانت الفرضة على المواشى
 وأخذ في تطهير الترع وإنشاء الجسور وترميم القناطر ولكن لما احتاجه من الاموال وعلمه بأن الحوادث قد أبحاث

حال القطار ولوطا ب. من الالهالى شيامع تعطيل زراعتهم لعدم الاعتناء بتطهير الترع أو غرض دورهم. ثم رأى أن يسبح
 أرض القطار ويربط على كل جهة بحسبها فعين لذلك ولده ابراهيم باشا فقمه فى سنة ست وثلاثين ومائتين وألف وقرر
 على كل فدان مبالغ معينة فعرف الناس ما عليهم بعد ان كان غير معلوم فاستراح الفلاحون نوعا وجعل المشايخ البلاد
 على كل مائة فدان خمسة أفدنة وسماها سموح المشايخ وأبطل عمل الشع الزفر بالبيوت وجعل له معملا وأبطل
 الذبح بالبيوت أيضا وجعل المذبح ميريا ورب على كل رأس تذبح مبلغا وجعل السقط والجلد للديوان ودخل فى سلك
 النظامات والروابط أنوال الحياكة والحصر والصابون والخيش والقصب والتلى ووكالة الجلابية وعسل النحل وأعطى
 الملاحة التزاما وجعل لهم هذا الامور ديوانا وكتابا وكذا جعل لما يتحصل للديوان من محصول المزروعات أشوانا بالبلاد
 تورد اليها الفلاحون ما يحصل عندهم بثمن مدة فيخصم منه ما عليهم من الاموال ويصرف لهم ما يبقى أو يعطى لهم
 به ربحهم طلب ثم يباع منها التجار الا فرج وغيرهم وجعل للارزدواثروا من بحفرا باربارض الوادى وأن يزرع حولها
 فحجر التوت فها كان غدير قليل حتى نما الشجر وعظم فأحضر من الشام وغيرها أهل الخبرة بتربية دود القز وصنع
 معامل الخريز ففتح وصار من بخله محمولات مصر ثم رأى للبasha أن يبعده عسكر الارنؤد عن القطار لما يعرف فيهم من
 شراسة الاخلاق ورأى ان أهل بلاد السودان يحصل منهم التعدي على من جاورهم فى كثير من الاحيان فكان يريد
 اخضاعهم فمدس الى الارنؤد من أدخل فى ذهنهم أن بلاد السودان هى معدن الذهب ليرغبوا فيها فيستريح منهم
 خاطره من جهة ويؤذب السودانيين من الجهة الاخرى ويحفظ حدود القطار من الجهة القبالية مع توسيعها بقدر ما
 يلزم وقد كان ذلك قائمه بمجرد ان تدبهم اليها البوادع وتنهى بممثلين فجعل ابنه اسمعيل باشا قائد تلك الجيوش وارفق معه محمد
 بك الدفتر دار فتوجه بالجيوش الى بلاد السودان واهتم بجمع تجريدة اخرى تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا لتحق
 بالاولى ولم يرض غير قليل حتى استولى اسمعيل باشا على بلاد سنار التى هى بلاد الزنج واستحصل على تبرع عبيد ولكن
 وقع الهوى فى العسكر المصرى حتى أفنى بخله فاستأذن أباه فى العودة الى مصر فاطله فتوجه الى شندى وطلب من
 أميرها الفربعض المطايب وأخذ بعض العسكر فى العسف بتلك الجهة على عادتهم فى تلك الاوقات فضجرت الالهالى
 ودبر الخرو وقومه عليهم مكيده لثلاثهم وذلك أنه أنسى الى اسمعيل باشا أن أهل البادية يرغبون فى اعمال زينة للامير
 فرحما بجملته بلدهم ودعاه الى الدخول اليها فرضى ودخلها وأترلوه منزلا كان قد أعد له وجعلوا حوالى المنزل تبنا كثيرا
 وقالوا انه للزوم المواشى والحيوانات فلما أخذ الناس مضاجعهم أوقدوا النار بالمنزل وما حوله فأحترق بمن فيه الباشا
 ومن معه ونجا منه محمد بك الدفتر دار وكان الاذن وصل الى اسمعيل باشا بالعود وهو بشندى فسبقه الاجل فتجرد الدفتر دار
 لاخذ ثأره فقتل منهم نحو من عشرة آلاف نفس ولم يزل الباشا يبعدهم من مصر بالقوادى والعساكر حتى دخل كافة
 السودان فى حوزته وجعل مدينة الخرطوم محل كرسى حكومته تلك البلاد وعرفت من ذلك الوقت بحكمه مديونية
 السودان ورأى الباشا أولا أن يرتب من العبيد عسكرا منتظما لأنه عدل عن ذلك فيما بعد وواجهت فى تنظيم عسكر
 بعضهم من الماليك وبعضهم من شبان الالهالى والبعض من العبيد بجمعهم وأمر عليهم ولده ابراهيم باشا وارسلهم الى
 اسوان ليبيعدوا عن عين الناس وعين لهم اثنين من مهرة المعلمين الفرنسيين ليعلموهم التعليمات والحركات العسكرية
 الاوروباية أخذهم باسمى حريت واثمانى يسمى سيف ترقى بعد ذلك ودخل فى الاسلام وعرف بسليمان باشا الفرنسي
 فأخذ فى تحرير العسكر وتعليمهم حتى فجع مراد الباشا وكان الناس وخصوصا الارنؤد يظنون أن هذا المشروع لا
 ينجح لاسيما اذا أخذ الباشا من شبان مصر نخوفوه على ملسكة الحديد وهو لم يكثر بالومهم ولم ينزعج بتخويفهم واستقر
 على عزيمته حتى تم له ما أراد ودخلت العساكر مصر بعد سنتين على هيئة لم تكن تتصور بقدرة منهم التريعات وهم فى غاية
 الانتظام فكمدت نفوس عسكر الارنؤد للحقيقة هم أن القطار صار فى غنى عنهم وكانوا يظنون أن وجودهم فيه من
 ضرورياته ثم توجهت هممة الباشا الى عمل الاساطيل البحرية فصنع منها عدة واستعان بجماعة من الاوروبايين
 جعلهم من جملة خدمتها وأنشأ مدرسة لتعليم علوم البحر وأدخل فيها جلة من الشبان المصريين وجلب اليها مهرة
 المعلمين ثم أنشأ مدرسة الطب بجهة أبي زعبل وعين لها الماهر كوت بك فاشتهر صيته وعلا اسمه فى كافة الانحاء لاسيما
 فى بلاد الافرنج فلحظوه بعين الاعتبار وكذا الدولة قائم اوجدت مساعد او معينها اعند ما رفع اليونانيون لواء

العصيان وأرسلت لهم الدولة عساكر فكسروهم بمورة فراسلت محمد علي باشا في ان يساعدها على أن كل ما أدخله تحت طاعته كانت له ولايته فانتصب للمعاونة وارسل الاسطول المصري تحت امرته ابنه ابراهيم باشا فتقابل بالاسطول السلطاني بجياده اليونان وتباغت العساكر وحصل العساكر مصر عند تلاقها بالعدو وعدة نصرات بجريد ومورة وطال أمدا الحرب بين الفريقين فرأت كل من دولة انكلترا وفرنسا والروسيا ان هذه الحرب مضرّة بالمصالح العمومية فتعاقدوا سنة ٢٧ ميلادية على التكفل بنهوض هذه الحرب اما صلحا واما قهرا وقد موالدوان السلطان بواسطة سفرائهم أن يسمح السلطان بحضور أساطيلهم الى مياه اليونان وعرضوا الصلح فامتنع من قبوله فاجتمع اساطيل التحالفين وحاصروا أساطيل الدولة بمرسى نوارين فلم يكن لهم من طاقة فالتفوها وكذا ألتفوها أساطيل مصر ومع ذلك لم يذعن السلطان للصلح فاتفق الدول على انهاء هذه المسئلة بالقوة وتجهزوا لذلك فتكفل الاسطول الانكليزي بالبحر وعينت فرنسا جيشا للبر بحر كما من أربعة وعشرين ألفا ووجهته الى مورة فحين رأى ذلك الباشا أمر ابنه بالرجوع وانحلت الحرب بذلك وأخذ الباشا في تجميع ما كان شارعا فيه من بناء القناطر والترع والجسور وزراعة القطن وكان أشار عليه به أحد الفرنسيين المسمى جوميل فخابه الى مصر وبعد قليل بيع من محصوله للفرنسيين ما ثمنه ألف قنطار وكذا جلب النيله والافقيون وقصب السكر وصنع له المهامل وجدد دورشا الغزل القطن ونجح الشوارع وغرس الاشجار حول القاهرة وبينما هم مشغولون بذلك نشأت الحرب المهولة الشامية وسببها أن الباشا التمس من السلطان ضم ولاية الشام الى ولاية مصر بدلا مما استرد بحكم الحوادث من ولاية مورة حسب سابقة الاتفاق فلم تسمح الدولة بغير جزيرة كريد فرأى الباشا ان لا تكفي الا أنه سكت ولم يعرض غير قليل حتى عن له ان يطالب عبد الله باشا والى الشام بماله في ذمته من المبالغ التي كان اقترضه اياها من قبل عشرين سنين وذلك أن عبد الله باشا المذکور كان في تلك المدة قد أظهر العصيان للدولة فمزنته عن تلك الولاية حتى توسط محمد علي باشا في العنوف قبلت الدولة على أن يدفع ستين ألف كيس ورأى أن هذا المبلغ صعب تحمله ولكن حيث كان متحتم الاداء التزم بالتسليم واستعان بمحمد علي باشا فاعانه بخمسة المبالغ ومضى على ذلك ماضى ولم يطالبه الباشا بالمبلغ تكريما ولم يخطر بباله هو أن يدفع ما اقترضه حتى كاتبه الباشا في طلب المبلغ فأجاب بجواب واه حجتة فتغير خاطر الباشا ثم عقب ذلك بلغ الباشا ان عبد الله باشا يساعدا القارين من مصر ويهرب بضائعهم الى الجمارك ويحسن لهم استيطان الشام فكاتبه الباشا في ذلك ولمالم تأت المكاتبه بنائدة جهز جيوشه المصرية لقمته بعد أن كاتب الدولة وأمر على الجيوش ابنه ابراهيم باشا فسار بلك الجيوش العظيمة الى الشام وتباغت العساكر برا وبحرا فاستولى بلاممانع على يافا وحينئذ سار الى قلعة عكا وبها عبد الله باشا والى وكانت حصينة فحاصرها وضيق عليها الحصار ستة أشهر ثم والى عليها الهجمات حتى افتتحها عنوة وأخذ والى أسيرا وصبره الى الاسكندرية فقباله بها محمد علي باشا بالاحلال وعامله بالاحسان ولما بلغ الخبر رجال الدولة أخذهم العجب لمعرفتهم ان هذه القلعة من أمنع القلاع ولما تمكن ابراهيم باشا من عكا قام الى غيرها فكلما ورد بلد أو نزل قيسله أذعن له أهلها ولما رأت الدولة العلية توغله في بلادها بعساكره أرادت صده بعساكر أخرى فخصت بين الشريطين وقعات شديدة احداها بقرب حص وأخرى بمضيق بيلان بالقرب من بعلبك فلما بلغ ذلك مسمع السلطان محمود خان عليه مناجائب الرضوان مال الى المسالمة فراسل محمد علي باشا في ذلك فرضى على شرط انما يستولى عليه يكون تحت امرته فتوقف السلطان في قبوله هذا الشرط واستعان بدولة أوروبا بعد امتناعه من قبول وساطتهم وبدأ بمكاتبة الروسيا فبادرت اليه برسالة فرقتين وأمرت قنصلها بجبا حجة مصر وكانت غاية ما تتمناه التداخل في مصالح الشرق فتعرضت دولة فرنسا لما كسرتها فحصل الخلف فرجع السلطان لحل مشكلته بنفسه وجهاز جيشا جارا تحت قيادة الصدر الاعظم محمد رشيد باشا فقام لمقاتلة جيوش مصر وكانوا وصلوا الى قونيا وتحصنوا هناك فلما انتفى الجمع انهم زعم جيش محمد رشيد باشا وأسره واستولى ابراهيم باشا على عشرين مدفعا وكثير من المهمات العسكرية والازواد وشاع خبر هذه الواقعة في الاقطار ففتحت البلاد الشامية أبوابها فرجع السلطان الى وساطة الدول فسمعت دولة فرنسا بينهم ما قصم الباشا على ما طلبه أولا وأن يكون الملك في عقبه وان ماصرفه في الحرب يحسب له مما هو مقرر عليه دفعه للسلطنة سنويا وصم السلطان

على عدم القبول فأصدر الباشا أمره لولده بأن يسير إلى كوتاهية فسار إليها وأرسلت دولة روسيا أسطولها إلى البحر الأسود وعشرين ألف مقاتل تكون تحت تصرف السلطان فبلغ سفير فرنسا بالاستانة وهو الاميرال روسيان الذي كان حاضرا اليها قريبا بلا عن السفير الاول محي الأسطول المسقوب ويرأى ان ذلك مضر بالمصالح العمومية انتهى إلى السلطان ان الأسطول الروسي ان يارح مكانه الذي هو فيدو كان قد وصل إلى جنياق قلعة سافر هو في الحال وكان ذلك قطعاً لللائق بين دولته ودولة السلطان فأصدر أمره إلى الأسطول أن يكون مكانه وكان ذلك جل مرغوب السلطان لانه كان لا يحب تداخل الروسي او حينئذ سعت الدول في الصلح وكثرت المراسلات حتى تم في رابع عشر شهر مارث سنة ١٣٣٠ ميلادية وكتبت المعاهدة المعروفة بمعاهدة كوتاهية متضمنة أن ولايتي مصر والشام تكون لمحمد علي وعدن والحرمين لابنه ابراهيم باشا فاجتمع لمحمد علي باشا في هذه السنة ولاية مصر والشام والسودان والحجاز وجزيرة كريد فتوجه بنفسه اليها ونظر في أحوالها ورتب فيها ما رتب بمصر وأخذ يكتب العسكرية على الطريقة المستجدة فلم يرض بذلك أهل تلك الجزيرة ورفعوا الواء العصيان فأرسل اليهم عثمان باشا رئيس العساكر المصرية البحرية بفرقة من الالايات ودبر في اخراج نار الفتنة حتى أطفأها وتعه - لرؤسائهم بعدم اساعتهم فلم يسمع محمد علي باشا بذلك ورأى أن لابد من قتل بعضهم فاستعفى عثمان باشا وتوجه إلى الاستانة ومات بها فعدت الفتنة بكر يدولم يثن الباشا عن عزيمته ما حصل في كريد من الهيجان بسبب التريعات فأخبر برب الشام كصر فوضع القوانين وأمر بإدخال الشبان في العسكرية فنشأ عن ذلك فتنة امتدت أغصانها في أنحاء هذه الاقطار واضطربت أيرانها وأخذ الباشا - دولده بالعساكر والاموال وتوجه هو بنفسه إلى الامير شبل العريان أمير جبل لبنان واتحد معه على المساعدة فقدر بذلك على اخراج الفتنة والقبض على رؤسائها وجرى الاها إلى من الأسلحة وهدأت الحال فظن الباشا انه قد تمكن فها هو الا أن قام شبل العريان رئيس الدروز ونصب شبان الحيل لتصيد عساكر مصر وتجهن هو بجباله وصار يقاتلهم ويحنا تلهم حتى أفنى الكثير وأعيته الحيلة معه وتشعبت فتنة فاضطر ابراهيم باشا لاسمالة طائفة المادونية كي تكون معه على الدروز فأجابه وقاموا بنصرته حتى تمكن بهم من قتل كثير من الدروز واطفاء نار حذرهم وإزالة الارتباك وعود الطمأنينة وكان الباشا دائماً يكررا الطلب من الدولة بأن تجعل له ولاية مصر والشام والحجاز وراثته في عقبه فقال السلطان لان يجيبه في الاولين ويجعل له الشام مدة حياته فلما تم للباشا ما تتم من اطفاء الفتنة الشامية تناقت نفسه لارفع مما كان يطلبه فخاطب الدول رسمياً بواسطة القناصل المقيمين بمصر طالباً بالاستعانة لاراعيا تحديدي بلاده فعارضه القناصل في ذلك بطريقة ودادية فقبل على ان ينقذ ما كان طلبه أولاً من أمر التوارث وفي الحين قام إلى البلاد السودانية يشاهده معدن الذهب الذي لهج الأفرنج بخبره وليترك الدول وحالهم في شأن ما بينه وبين الدولة وكان السلطان من بعد ابرام الصلح المتقدم مجتهد في الاستعداد مهمتها بتنظيم العساكر فنظم جيشاً تحت قيادة حافظ باشا رئيس العساكر السلطانية توجهه إلى الشام فأخذ في بناء الاستحكامات تجاه معسكر الجنود المصرية فكتب ابراهيم باشا إلى والده يعلمه بذلك ويستشير فيه فيصنع وكان الباشا قد رجع من السودان فكتب اليه أن لا يبارزهم بالحرب الا على الاراضي المصرية كي لا تكون المسؤولية عليه فامتثل ما رسم ولم يطال الامر على العساكر الشاهانية - تعبدوا إلى نصيبين فقابلهم ابراهيم باشا بجنوده والتحمت الحرب بين الفريقين واشتد القتال وانجحت عن نصرته وفي عقب ذلك انتقل السلطان محمود خان عن دار الفناء إلى دار البقاء فجلس على تخت المملكة السلطان عبد المجيد والامور في غاية الارتباك والعساكر المصرية تحت قيادة ابراهيم باشا متجمعة للوثوب ولكن الباشا رأى ان حل هذه المشكلة بطريقة ودادية أولى فطلب من الدولة عزل محمد باشا خسرو من الصدارة لان هذه الفتنة هو أسوأها لكونه العدو الا لا فعزل وجرت المراسلات بين الدول في هذه المسئلة حتى تم الاتفاق على ان دولة روسيا وبروسيا وانكلترا وفرنسا والنمسا يعنون النظر في - لها وأخبر والباب العالي انه لا يجري شيئاً الا باطلاعهم وتصديقهم وكانت فرنسا مساعداً لمحمد علي باشا والانسكلترا معاً كسلة له لحقدها عليه بعض أمور منها انها كانت اشترت جزيرة عدن من بعض مشايخ العرب مع قطعة أرض متصلة بها يبلغ ستة آلاف ليرة وأنشأت بها قلعة لعلمها بما يكون لها من الأهمية في مستقبل الزمان فلما امتدت شوكة الباشا إلى الخليج الفارسي خفت دولة الانكلترا على مستعمراتها

المتسطة على مدخل البحر الأحمر فترجت الباشا ان يأمر جنود بحارجه تلك الجهة بناء على ما كتب اليها عاملها بتلك
القاعة لان وجود العساكر المصرية رعبا هيج قبائل العرب فرأى الباشا ان تركه موقعا استولى عليه بالقوة مجرد طلب
دولة أجنبية محل بشرفه ورأى أنه ان مكث هناك تكلف مصر وفاقا لدمته فتنازل عن تلك الجهات للدولة وكذا
عن مكة والمدينة وكافة أرض الحجاز فهذا كان من الاسباب التي حقدت لها دولة انكلمته على الباشا وحيث كان لها
رياسة المؤتمرسعت في معاكسته ولم يلبث ان وردت بعت بيك أحد رجال الدولة جاءه الا لفرمان الى الباشا بان له ولاية
مصر ووراثتها وولاية عكامة حياته فقط كما اتفق عليه المؤتمرون فغضب الباشا وجعل السفراء مكاتبه للخدمة العلية
باقس فيها الانعام بجعل الشام كلها فعارضت دولة الانكليز في ذلك بدعوى ان أهالي الشام غير راضين عنه وانه ان
بقي واليا عليهم لا يخلصوا الشام من العتقان ووافقها الدول على ذلك وأوعز والى الباشا بواسطة قناصلهم ان يخلص
أرض الشام من جنوده فامتنع من ذلك فأرسلوا الى بيروت اسطولا غساويا وآخر انكليزيا وطلعت بعض عساكر الى
السواحل فلكوا عكا وغيرها من المدن الاصلية وتقهقرت امامهم عساكر مصر وأرسلوا اسطولا آخر انكليزيا تحت
امرة الاميران نابيه الى الاسكندرية فأرسل الى الباشا بأنه ان لم يرسل بتخليه عساكره لبلاد الشامية والاخر بيت
الاسكندرية فأخذ الباشا يتفكر في هذا الامر ويستشير رجاله فرأى ان امتناعه ينشأ عنه متاعب كثيرة فيسلم
للاميرال الانكليزي على أن تكون مصر له ميراثا قبل منه وتوقف الاميرال النمساوي وكذا عندما أخبروا الدولة
توقفت المرات من اعانة الدول لها فلم يجد الباشا بدا من التسليم بلا شرط ووكل أمره لسفراء الدول بالاستمانة في
تسوية هذه القضية على وجه مقبول فبعت دولة الانكليز على أنه لا يكون له الوراثة على مصر وعارضها باقي الدول
بعدم سواحل النيل في أيامه والاصلاحات الكثيرة ولم يزل الكلام دائرا حتى أمضى السلطان العقد المؤرخ
باليوم الثاني عشر من يناير سنة ٤١ ميلادية ومن ثم انه أن يكون واليا على مصر مدة حياته ثم تكون ولايتها
من بعده لا كبرأ ولاده وحفده وأسباطه وان يورد الى الخزينة الساطانية في كل سنة ثمانين ألف كيس وان لا يزيد عدد
عساكر مصر على ثمانية عشر ألفا بشرط أن تكون ملابسهم كلابس عساكر السلطان وتم الامر على ذلك واستراح
خاطر الباشا واستتب الراحة وأخذت البلد في الرفاهية والعران واتسع بها نطاق الثروة الى أن حصل للمرحوم محمد
علي باشا المرض الشديد الذي اعتراه في آخر عمره حتى منعه من القيام بشؤون القطر والنظر في أحواله فجلس بعده على
تحت الحكومة المصرية أكبرا أولاده المرحوم ابراهيم باشا وعسكر فصار خديو يابعد وجاء الفرمان السلطاني
بذلك فنظر في أحوال القطر النظر المحكم وعزم على فعل أشياء متينة يعود نفعها على القطر فاخترته المنية ٥ وولى
بعده ابن أخيه المرحوم الحاج عباس باشا حلمي بن طوسون باشا ابن محمد علي بعد أن تنقل في ولايات الحكومة المصرية
وولى كثيرا من فروعها حتى تميز وتخرج وترشح للخديوية فسار في شأن مصر بما فيه صلاح أهلها وانتظام أحوالها
ثم توفي المرحوم محمد علي باشا الى رحمة الله تعالى في مدة حفيده المرحوم عباس باشا ودفن بجوارحه الذي أنشأه بقاعة
الجبل وسار المرحوم عباس باشا في أكل مصر بسيرة حسنة وكان يسير بالليل مستخفيا في أزقة مصر يتعهد أحوال
أهلها وكان يحب الاولياء خصوصا أهل البيت ويعمل لهم الابل الى الخيرية في مساجدهم الى أن توفي شهيدا في قصره
الذي أنشأه بينهار حبه الله ٥ ثم تولى بعده عمه محمد سعيد باشا ابن المرحوم محمد علي وقد تولى قبل ذلك رياسة البحرية
بعد تعلمه فيها وكان محبا للجهادية مولعا بجمع العساكر المصرية مغدفا عليهم لا يقر له قرارا لامعهم وفي وسطهم وكان
ملازما لعساكره وورقي منهم الكثير في الرتب وكانت تعرض عليه القضايا والمهمات وهو بينهم لا يتارقونه أين حل
وأرتحل وكان كثير التنقل بهم من مصر الى الاسكندرية ثم الى مريوط والى قصر النيل بالقشلاق الذي أعده هناك
لعسكره ومن مهمات الاعمال التي حدثت في عهده اتصال البحرين الاحمر والابيض بالترعة الملاحية المارة في برزخ
السويس وأمرها من أهم المسائل السياسية الشاغلة لافكار جميع الدول وسار في شأن مصر سيرا منتظما الى
أن توفي بالاسكندرية ودفن في مسجد نبي الله دانيال على نيلنا وعليه أفضل الصلاة والسلام ٥ ثم تولى بعده
الخديوي اسمعيل بن ابراهيم بن محمد علي وكان قبل ذلك متقلبا في مهمات ولايات الحكومة المصرية خبيرا بأحوالها
شاربا من جميع مناهلها حنكته تجاربها فسار في أمر الحكومة المصرية سالكا سبل المدن والحضارة ناهجا منها

الترف والرفوة والبهجة والنضارة فشرع في أمور جمة داخل القطر ومدة توجب له زيادة التمدن حتى انتظمت
القاهرة والاسكندرية في أسلوب جديد أزال عنها هيئتها الأولى فصارت تضاهي مدن أوروبا وتواردت عليها وعلى
جميع القطر الأعراب من كل جهة واتسع نطاق التجارة والاخذ والاعطاء غير أنه نشأ من اتساع دائرة الأعمال
والإشغال والمصاريف على الحكومة أن ثقل كاهلها من الديون والمطالب فحصل من ذلك شغب في آخر مدته وشي من
نظام الفتنة عكر جوها وجب بعض أسفار بديها حتى انفصل عنها عام ست وتسعين بعد المائتين والالف هـ وخلفه
في ذلك العام مجلس على تخت الحكومة المصرية على عهد شبه الليث الهمام والبدر المنير التمام الخديو المعظم
والداوري المفخم ذو المقام الرفيع والحصن المنيع والفخر الجلي أفندينا محمد توفيق ابن اسمعيل بن إبراهيم بن
محمد على لازالت أندية السرور عامرة بالثناء عليه ولا برحت مجامع الخير قائمة بمجميل ذكره واسداء صالح الدعوات
إليه فقد تحت مصر بولايته واستقام أمرها بعدائه وانفسح مجال الثروة في أيامه وقلب الناس في مرحته
واكرامه وصارت مصر في أرفع درجات الانتظام وأخصبت أرجاؤها وجللها النفع العام وسار في أمور القطر في
سنتين جديد مراعيام صالح البلاد والمعاهدات المتفق عليها بين مصر والدول الأجنبية غير مستقلة برأيه بل مشارك في ذلك
مجلس نظاره فاستقامت أحوال القطر وسارت الأعمال على نهج يناسب أحوال البلاد وأهلها الكثر هذا السير لم يوافق
أغراض المفسدين فوسوس لهم شيطانهم ونشأ عن تلك الوسوسة تحزب العسكرية وكفروا بالنعمة ورفضوا ما عليهم
من الحقوق لولي أمرهم ولوطنهم وفعلا أفعالاً عظيمة نشأ عنها اختلال حال القطر وأهلها ومع ما حصل منهم من
الكبائر والامور العظيمة لم ينحرف الخديو عن سيرة المعتدل وثبت عنده هذه الشدائد حتى زالت تلك الفتنة المشؤمة
على ما هو معلوم مسطور في هذا الشأن فاستقامت له الأحوال وانتظمت الأمور نسأل الله تعالى أن يصلح به أحوال
عباده ويكثر به خير بلاده آمين بحمد سيدنا محمد سيد الأقرين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه كلما
ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون * وحيث وصلنا إلى هذا الحد من سرد الحوادث التي ألت بالقاهرة
من منذ أسسها الفاطميون إلى هذا الزمان أعني سنة خمس وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية وبيان التقلبات
العجيبة في المدد المتتابعة على وجه الإيجاز أردنا أن نبين ما كانت عليه القاهرة من هيئة المباني أولاً لئتمكن المطالع
لكتابنا هذا من المقارنة بينها وبين ما حدث في القطر المصري في أيام العائلة المحمدية العلوية إلى زمن الخديو المعظم
محمد توفيق أيده الله تعالى من الأبنية والعمارات والأعمال التي بينها في مواضعها من هذا الكتاب ويعلم أن السعادة
كالسقاوة تلحق الامكنة والبلاد كما تلحق الإزمنة والعباد

(بيان ما كانت عليه القاهرة عند تولي العائلة المحمدية)

من أمعن النظر فيما كتبناه وتأمل فيما سطرناه علم أن الفاطميين ما قصدوا بوضع القاهرة إلا جعلها معقلاً لعساكرهم
وقرأ الخلفاء منهم فلذا أسوروها بالأسور وجعلوا لها الأبواب المنيعه واشترطوا الأمر ورهبها شروطاً ولم يبيحوا سكنها لكل
أحد كما هو شأن الحصون ولم يحصل التهاون في ذلك إلا آخر مدتهم فسكنها بعض الناس وبنوا في رحابها وكانت عاصمة
الحكومة مدينة الفسطاط ولما زالت دولة الفاطميين بالبلاد أراد الأيوبيون أن يوسعوا سكنها لكل أحد وأخذ رجال
الدولة يفرسون حوالها البساتين ويبشون بها القصور للترهة وتغيير الهواء كما هو الآن في مباني جهة شبرى وغيرها ثم
بتقادم الزمان وازدياد الثروة بنى الناس في الفضاء وفي أرض تلك البساتين وعلى ما تحاق من النيل في الأراضي وحول
البرك المتخلفة عنه وتجددت الأسواق والدروب فانتسعت المدينة باتصال تلك المباني بها حتى كان زمن الناصر محمد بن
قلاوون فأخذت فيه العمارة غايتها وبلغت البلد في السعة نهايتها لكونه كان مشغولاً بالبنية فخذا الناس حذوه
وجددوا المباني العظيمة لاسيما عند ما حفر الخليف الناصر فان الناس أكثر وأمن المباني على حافته كما نوهنا بذلك فيما
تقدم وفيه في محله فكانت المدينة في زمانه يحدها من الشرق الجبل ذاهباً إلى المطرية بمصر وإلى الأثرمة قبلاً وكثرت
البساتين حوالها وعمت الميادين بعمية الشبرج وشبرى كما أسلفنا ولم تزد المدينة من بعده وانما كانت تنتقل هيئتها فتعمر
هذه الجهة أكثر من غيرها مرة وبالعكس أخرى على حكم مقتضيات الحوادث ثم ألت بها الكوارث في زمن الغز

حتى تخربت أبنيتها وانكسرت عمارتها كما ينالها وقسمت القاهرة كالفسطاط الى أثمان وأخطاط وكل خط
يحتوى على شوارع والشوارع بهادر وبو حارات وعطف وأغلب الحارات والعطف غير نافذ الا الى الدرب فكان
المتأمل يراها كعدة قري متلاصقة وكانت البلد الى زمن الفرنساوية عليها البوابات موضوعة على الدروب
والحارات والعطف منها العمومية ومنها الخصوصية وكل بوابة تغلق عند العشاء ويتم خلفها بواب بأجرة من أهلها أى
من أهل تلك الحارة ولا يتأخر أحد بعد العشاء خارج الحارة الا اضرو رة مع تنبيهه على البواب حتى يفتح له اذا حضر
وكان أهل البلد ككثرة الحوادث وانتشار اللصوص يبالغون في متانة الابواب والمحافظة على البيوت والحارات
فيصنعون الابواب بصنائع الحديد ويسمونها بالمسامير الكبيرة ويفرطعون رؤسها ويجعلون بكاف الباب السلاسل
المتينة ويجعلون للباب الضبة والضمتين في الخارج والداخل ويريدون من الداخل الترياس وهو خشبة طويلة يثقبون
لها بالخطاط نقرات بيت فيه فاذا جاء الليل أو خيف أمر سحبوها من مقرها بواسطة حلقة في طرفها فتأخذ في عرض
الباب أو آخره وربما يبيتون في نقر من جهة عقب الباب وكانوا يتفنون في الحيل لمنع الضبة من الفتح بعمل
الدواسيس وشق المفاتيح ووضع السواقي مما أدركنا كثره وبعضه موجود الآن ولم يكن اظهر البيوت رونق بل
كانت الهمة مصروفة لرؤية الداخل منها خصوصا بيوت الحرم والحيشان والاصطبلات وكل انسان له في ذلك اعتناء
على قدر حاله وكانت العادة أن يكون البيت ذاتيقتين السفلى تحتوى على الحواصل والاصطبلات والبئر أو
الساقية والطاحون غالباً والمنظرة والعلية تحتوى على المتعدون وتابعه من التهاوم محل القهوة وتحتوى على القاعات
والفسحات والحمامات والمطابخ ورعاة كان المطبخ بالطبقة السفلى وله سلم يوصل اليها من الطبقة العليا غير المعتاد
أو هو المعتاد وكانوا يعتنون بتوسعة الفسحات والقاعات ويفرشونها بالرخام الملون على هياآت جميلة ويجعلون من
القطع الصغيرة من الرخام أشكالاً باهرة ويجعلون على الحوائط قطع القيشاني الباهرة على أشكال فائقة ويجعلون لها
المشربيات البديعة المصنوعة بصناعة الخراط على رسوم وكأبة وأشكال حيوانات بدون تسمير بالمسامير وفوق تلك
المشربيات الشبائيك المصنوعة من الجبس المفرغ على أشكال عجيبه موضوع في التناريف الزجاج الملون فينشأ
من ذلك صور بديعة تأخذ بالابصار وتشرح الخواطر وبالتأمل في أوضاع البناء يرى ان همة الواضع لم تكن متجهة
نحو التناسب أو تصرف الهواء بل كانت الهمة في البناء حيثما اتفق فيجعل مكاناً أرفع ومكاناً أسفل وآخر منيراً
وآخر مظلماً والبعض واسع جداً والبعض ضيق جداً وترى القاعة التي يعجز الواصف عن حصر رونقها منزوية داخل
دهاليز مظلمة فيتبين ان البنائين في الازمنة المتأخرة لم يكن لهم علم في الاوضاع بل يقلدون من تقدمهم صادفوا الصواب
أو خالفوا ومع تأخر صناعة البناء بنى الامراء المنازل الواسعة والمساجد العجيبة والبيوت وكان كل أمير يبلغ في السعة
على قدر حشمه وأتباعه ويجعل في دائرة البيت الدكاكين والحياض وغالب لوازم المنزل مثل بيت الشرقاوى فانه كان
يبلغ أربعة أفدنة نحو من سبعة عشر ألف متر مربع وكثيراً ما تجد مثله وأوسع بجهة سوق السلاح وسويقة العزة
وجهة عابدين مما صار الآن حيشاناً تسكنهم ارباع الناس وغالب الحيشان أصلها بيوت فاخرة دمرتها الحوادث وأما
الحارات فكانت كثيرة الانعطافات ضيقة المسالك ليست على هيئة انتظامية بل بعض البيوت بارز في الطريق
والبعض داخل عنه وهذا من أسفل وأما الأعلى فكانت بعض المشرى بلت متلاصقة من جوانبها وتتلاقى مع
ما واجهها حتى تحدث سباباً مراً على جميع الطريق فضلاً عن الاسيطة الحقيقية ومن حدثت عنده عمارة ورأى
أمام منزله فضاء أدخل منه في المنزل ما أحب بلا ممانع وكذا الشوارع لا تزيد عن الحارات في السعة الا قليلاً فكان
اذا تلاقى جلال تعسر المرور وسد الطريق اللهم الا في بعض أماكن قليلة وكان للبلد بوابات تقفل بالليل ويقف عليها
الحرس ولم يكن للحكومة اعتناء بامر النظافة أو الصحة فكانت القاذورات تلتقي بجوانب الحارات وعلى أبواب الأزقة
وتحت الاسيطة وما نشأ من الهدم من الازمنة ان عتني به ألقى على باب المدينة فيصير تلاً فاذا نسفتها الرياح تكون
منها فوق البلدة عابرة تراب كرهه الرائحة متعفن الشم فتتسع دائرة الامراض فأين توجهت في البلد ترى مجذوماً أو
أبرصاً أو مجذراً أو أعرجاً أو من اجتمع فيه كل هذه الامراض أو أغلبها وذلك لان البلدة كانت محاطة بالتلال ضيقة
المسالك مرتفعة البناء على غير انتظام قدرة الحارات فلا تمكن الشمس من تحليل الرطوبات ولا الريح من نسفها

فتصاعد على من بالمساكن فتحدث الامراض كالخكة والجرب وسائر الامراض الجلدية ولم يكن بالمدينة اطباء
يعانون المرضى بل كانوا يعولون في ذلك على ما تنصه العجائز وعلى اقوال الدجالين والمشعبذين فاذا مرض انسان
ذهب أهله فطرقوا له الودع والفول وحسبوا له النجم وقاسوا اثره فاسأ خبرهم به الدجال اعتدوه وكتبوا له الاجابة
أو بخروه اللبن والجلد وعلقوا عليه الخرز وكانت لهم خزرات كل واحدة يزعمون انها تبرى داء فللعين خرزة حمراء
يسمون بها البذلة وللرقبة خرزة بيضاء مصفرة تسمى خرزة الرقبة ولهم أحجار يحكون بها الخضة أي الفرعة وللحمى ويسمون بها
حجر الشفاء ومن اسع حكوها الخرتيت أو وضعوا على السعة فصا يسمى فص العقرب وغير ذلك ومن الاهمال في أمر
الصحة اتخذ الناس مقابر وسط المدينة كقبرة السيدة زينب رضي الله عنها والقاصد بل دفن كثير من الناس موتاهم
في منازلهم وفي المساجد والمدارس وكذا كان الاهمال في أمور الضبط فلا نفوذ للمكلفين به الا اذا كان على وفق الامر
أو الكبير فكل له غرض لا يتقدسوا به واحكام الخط أو الدرب تحت سلطة من يسكنه من الامراء ولا يد للحاكم البتة
واذا تعرض الحاكم أو الباشا لنقض ما أبرمه قام سوق الحرب وطمأ بجر الفتن فكان للرعاع نفوذ بواسطة الانتفاء
الى بعض الامراء والناس تقاسى الاحوال والمحتسب يسومهم سوء العذاب وكل تاجر له محام من الامراء ليمسح بانه
لانه ان لم يتخذ له محاميا ضاع رأس المال نهبا فكان أرباب الوحات متقاسمين التجار والتجارة لانهم أصحاب الوظائف
ولا بد للتاجر من وضع اشارة في خانوته تدل على انه من طائفة كذا وهذا عام في كل متجرو بكل جهة وبهذه الوساطة
كان التاجر يشتط في الثمن كما يحب كي يتسقى له دفع مقرر وكذا كانت حالة المراكب في البحر فكل مراكب عليها راية
تدل على محاميهما حتى لا يتعرض لها انسان وبسبب اتساع دائرة الخوف ضاقت حلقة التجارة واقتصر فيها على
ما يتحصل من القطر ولم تجسر تجار الاجانب على الدخول في مضائق تلك الاحوال الا ما كان يرد من نحو جهات الشام
والبحار ملتزما بأربابه الاحتماء بزياد عمر وكعادة أهل البلد فكان التجار من أهل القطر خاصة الاقلية من نصاري
الشوام وبعض الحضارمة والنادر ان ترى افرنجيا او كان لكل جهة صنف من التجار فالجالية أكثر ما يبيع به ووارد
الشام والبخار وخرموت والجزاوى يبيع فيه الجوخ والحرير وما يرد من الهند وبلاد الاقربج وخان الخليلي يبيع
فيه ما يرد من البلاد التركية وأما الماكولات وأنواع العطاراة فليست مختصة بجهة وكان لأهل البلد أسواق وقتية فمنها
ما يكون في يوم معين كسوق الجمعة والاثنين والخميس ومنها ما يكون كل يوم بعد العصر كسوق العصر وكانت تنقل من
مكان الى آخر حسب ما يراه الحاكم وكذا كانت لهم أماكن لتجمع الحرف والمشعبذين كالخوافة والقرادين وأكبر
مجمع لهم هو الرملة وكذا كانت مقر مسايرة الخيل والحجر ونحوها ومقر الحشاشين والمصارعين فلذا انغرت مبانيها
الفاخرة الى عيش وحيشان واخصاص واستحوذ كل انسان على ما قدر عليه من أرض تلك الجهة حتى المساجد
 والمدارس وبنوا حول المساجد التي بها البنية قدرة شهوت محاسنها وكذا ضيقة واوسع أرض الميدان وسوق السلاح
 فكان المار بتلك الجهات يخطو على القاذورات ويمر في خليط من الاراذل الى أرذل منه حتى يتخلص بعد الجهد
الجهد وانعدمت الصنائع من القطر الا الدني وانحصرت صنائعه بعد السعة في قزاة الكتان والصوف وعمل الضرب
بعد ان كانت القزاة بمصر من أشهر الاعمال في الاقطار وكذا التجارة والسباكة فلم تزل تتقهقر ويرحل الصانع
للسلطان الفقرو كثرة الهرج وموت البارع جوعا حتى انمحت آثارها وعتت الاحوال هذه جميع انحاء القطر وانحطت
اثمان الاماكن وأجرها فكان البيت الذي تبلغ مساحته ألف ذراع يباع بخمسين ريبالا وتؤجر أكبر كان أو قهوة
بستين فضة وأعظم بيت بألف فضة وما ذلك الا لانحلال الروابط وكساد الوسائط وتخميم الفقريين أظهرهم ومقاساة
الشذائد وكثرة الفتن وما من رادع في شوارع القاهرة لا يرى الا فقيرا مرقعا أو قتيلا لمصر وعاء أو جنديا
ينهب أو محتسبا يضرب واذا تأمل في المباني لا يرى الا خرابا واسوارا أو أبوابا واذا انتهى الى اطراف البلد كالخسيفية التي
كانت مخيما للنزهة ومقر الفرجة لا يرى الا التسلل والكيما واطلالا تبكي على من كان وما بقي من آثار بيوت
الامراء والوزراء ومساجدهم ومدارسهم التي ذكرها المقرري صارت مساكن للرعاع ومعاطن للدباع ومرعى
للاوساخ وما بقى للسباخ وكذا جهة باب النصر وباب الحديد والعدوى والازبكية وباب البحر وكان يقام بالازبكية أيام
النيل بعض قهاو يجلس عليها الناس لاستنشاق الهواء لوجود الماء وقتئذ في هذه الجهة وان الخراب اتصل منها الى

غابدين بل قد امتد الى الداودية والقربية والخليفة وبالجملة تقدم كافة البلدة بل جميع القطر وأما جهة المداينغ
وباب اللوق فلا تسلي عما احتوت عليه من التعففات والروائح الكريهة وأحاطت التلال بالمدنية حاطة الدائرة
بالمقطة عوضا عما كان بالقرافة من مساجد وقصور وبالقسطاط من مدارس وديورا أصبحت حاوية على عروشها
فلا ترى الا اعتد ابلا سور وجدار ابلا قائم وخرابا ممتد في جميع النواحي الا انه كان يوجد على حافة النيل الشرقية
بعض مبان كقصر العمى وبيت محمد كاشف قلبه وبيت محمد بك بحريه محل القصر العالي وغيرها بنية قليلة تمتد
الى جزيرة العبيط محل الاسماعيلية الآن وكان يتوصل اليها من بوابة زالت الآن تجاور غيط قاسم بك المعروف
الآن بجبينة وهبي باشا وكانت تلك الجبينة تنهى الى تل مرتفع قد زال وبقي أثره من روعاقر بيامن ديوان المطالية الى
عهد قريب ثم قسم للبناء فيه وكان بوسط تلك السكيمان مسالك للمارة الى ترب القاصد وبولاق ومصر العتيقة وكان
ساحل النيل كما هو اليوم ولكن النيل كان منقسم الى قسمين قسم موضعه الآن والاخر يمر غربى الجزيرة لبولاق
التكرور وهو الاكبر ويجمع مع فرع بولاق بحرى الجزيرة عند انبابة وفي زمن فيضان النيل تغطى جزيرة بولاق التي
بها الآن السراى الحديثه ويكون عرض النيل نحو امان ألف وأربعمائة متر وفي زمن التجارى ينحرف فرع بولاق
ولا تمر المراكب الا من جهة الجزيرة الى بولاق التكرور ويتعسر جلب الماء الى المدينة لبعده فيشرب الناس من
الصهاريج ومن البرك الراكدة ومن الغدير الذى كان بجهة بولاق مقابل الترسانة الى شبرى وبالجملة فقد كان الخراب
عم والدمار طم وكثير من التلال داخل وسط الاماكن سوى ما فى الخارج من التلال الشاهقة فى الهواء الممتدة
الى أم دبعية فاذا هبت الريح فهى القيامة ولا ترى الا غبارا منبثا على البيوت متلفا للصحة وللعيون حتى قبض الله
تعالى لها المرحوم محمد على باشا فاحذف مداواة أمراضها شيئا فشيئا وحذا حذوه من تولى الملك من عائلته حتى
اكتست حلال البها والنضارة المشاهدة الآن * وسأمر دعليك عما ترها وحاراتها وشوارعها كما وعدت وأقدم
بين يدي ذلك فائدة جلية نافعة ان شاء الله تعالى تشتمل على مجمل ماسة فصله فى الاجزاء الاربعة التى بعده هذا المتعلقة
بالقاهرة وهو وان كان فى الحقيقة فذاك لما يتعلق بالقاهرة (أى اجمال الما بسط من القول فيما يتعلق بها) **اب** كنا
أحببنا أن نقدمه على بسط الكلام عليها ليكون ذلك من باب اجمال القول قبل تفصيله فان اجمال قبل التفصيل
أوقع فى نفس السامع كما هو مشهور فأقول وعلى الله توكلت واعتمدت انهولى التوفيق والهادى الى أقوم طريق

(فائدة)

* (فى اجمال ماسة فصله فى خطط القاهرة وما يتعلق بها) *

اعلم أيديك الله أن القاهرة وهى تحت الاقاليم المصرية واقعة بين الاقاليم البحرية والاقاليم القبلية فى عرض ثلاثين
درجة ودقيقتين وحدى وعشرين ثانية شمال وفى طول ثمانية وعشرين درجة وثمانية وخمسين دقيقة وثلاثين
ثانية شرقى مدينة باريس تحت ملكة فرانسوا وبعدها عن القناطر الخيرية خمسة فراسخ وارتفاع أرضها بشرب النيل
بالنسبة لسطح مياه المالح تسعة عشر مترا ونصف وفى غربها على النيل ثغر بولاق وفى قلبها على النيل أيضا مصر
العتيقة ومدينة القاهرة مبنية فى سفح جبل المقطم وأرضها آخذة فى الارتفاع الى قلعة الجبل ولوفرص ان مستوى
مياه النيل لا عظم فيضان حصل لوقت هذا وهو عشرين مترا ونصف فوق سطح مياه المالح امتد الى الجبل والى شبرى
الواقعة بحرى القاهرة لنتج ان جزء المدينة المحصور بين الشاطئ الغربى للخارج من ابتداء قنطرة السد عند فم الخليج الى
ترعة الاسماعيلية وبولاق جميعها وما جاورها من الارض كل ذلك يكون تحت هذا المستوى ما عدا عن امان كبرى
قصر النيل فانه يكون جميعه فوق المستوى بقدر ثلث متر فى أوله وثلاثة أمتار فى آخره عند القنطرة وتكون قنطرة فم
الاسماعيلية عند قصر النيل فوق المستوى المذكور بقدر مترين وثلث وأما القنطرة الثانية الواقعة على طريق
بولاق بقرب قصر النيل فيكون ارتفاعها فوق هذا المستوى بقدر متر وثلث ويكون ارتفاع القنطرة الواقعة على
جسر أبى العلاء فوقه بقدر متر وثمانية أعشار مترو جسر أبى العلاء من ابتداء القنطرة الى البحرية تقابل مع المستوى
المذكور بسبب انحداره عند جامع سيدى أبى العلاء فيكون جزؤه الواقع بين الاصطبلات والنيل تحت المستوى وأما
جزؤه الواقع بين القنطرة والاصطبلات فيكون فوقه جميع شوارع خطة الاسماعيلية وحاراتها وبعضها مع المستوى

وبعضها فوقه بمقدار يختلف من عشرة متر الى نصف متر وبعضها تحته بمقدار يسير يختلف كذلك من عشرة متر الى نصف متر وأغلب حارات الاسماعيلية من عند النالية تكون تحت المستوى بقدر متر ونصف متر بمعنى انه لو حصل قطع في جسر النيل كان الماء فوق تلك الحارات بقدر متر ونصف وأما شارع باب الخرق المنحدر وأعلامه في عابدين فيقطعه المستوى ويكون ارتفاعه فوق المستوى المذكور بقدر ثمانية أعشار متر عند ميدان منصور باشا وبقدر متر ونصف في أوله بميدان عابدين وغطى العدة تحت المستوى بقدر متر ونصف وميدان عابدين المذكور بعضه تحت المستوى بقدر متر وبعضه بقدر ثلاثة أرباع متر وخط الخنق بعضه منقطع بقدر مترين وبعضه بقدر متر وربع وشارع درب الجاميز منقطع بقدر متر وربع بقرب قنطرة الذي كفر ومن القنطرة المذكورة ترتفع أرض الشارع الى أن تقابل بشارع محمد علي وجميع شارع محمد علي المعروف بشارع السلطان حسن يكون فوق المستوى بقدر عشر متر في أوله عند العتبة الخضراء وبقدر مترين وربع في تقاطعه بشارع قوصون ثم يرتفع بعد ذلك الى المنشأة (يعني الرميلة) وشارع الموسكى والسكة الحديدية جميعه فوق المستوى بقدر ستة أعشار متر في ميدان العتبة الخضراء ثم يزيد أو يقل في الارتفاع فوق المستوى الى شارع النحاسين فيبلغ هذا الارتفاع مترا وثمانية أعشار متر في تقاطعه بشارع النحاسين و يبلغ الارتفاع فوق المستوى اثني عشر مترا في آخر هذا الشارع قبل الوصول الى تلول البرقية وجزء المدينة الواقع بحرى هذا الشارع وغربى الخليج الى الفجالة كل حارته وشوارعه منقطعة بمقدار يختلف من عشرة متر الى ثلاثة أمتار في الارض الخارجة عن السور والمرتفع في هذا الجزء قليل بعضه نصف متر وبعضه أقل وانما هي مواضع ربما كانت تلولا أو ما أشبه ذلك وأما جزء المدينة المنحصر بين شاطئ الخليج الشرقى والجبل من ابتداء العيون فينقسم الى أقسام الاول محدود بالعيون وسور القلعة الى المطاية الى الدرب الاجراى الى باب زويلة الى قصبة رضوان والخيمية الى قوصون الى السيوفية الى الصليبية الى قلعة الكباش الى السيدة زينب الى الخليج كل ذلك مرتفع وجميعه فوق مستوى أعلى فيضان النيل ما عدا خط السيدة زينب رضى الله عنها المنحصر بين قلعة الكباش وتلال بركة البغالة والشارع الموصل من السيدة زينب والخليج فانه منقطع بمقدار يختلف من متر الى متر وثلث وارتفاع قلعة الكباش وجبل يشكر فوق أعلى فيضان النيل ستة عشر مترا ونصف وفوق أرض شارع الصليبية ستة عشر مترا والجزء الثانى من أول باب زويلة بالسير في شارع المتولى والغورية الى باب الفتوح من جهة الجبل جميعه مرتفع ويختلف ارتفاعه من متر الى أربعة أمتار وربع في الشارع وأما في حارات الجزء المجاور للسور فيختلف ويزيد الى سبعة عشر مترا من جهة تلول البرقية وأرض الاماكن الواقعة في جزء المدينة المحدود بشارع السيوفية والخليج وشارع الصليبية وشارع تحت الربع بعضها تحت المستوى تارة بقدر مترين وتارة بقدر مترين ونصف والمرتفع منها منقطع تحت المستوى بقدر متر وربع وميدان الخيمية مرتفع فوق المستوى بقدر متر ونصف وحوش الشرقاوى المنخفض منه بعضه مع المستوى وبعضه مرتفع فوقه بقدر نصف متر وجزء المرتفع فوق المستوى ارتفاعه تارة نصف متر وتارة ثلاثة أمتار وأرض جزء البلد المنحصر بين شارع تحت الربع والخليج والسور وشارع النحاسين جميعه مع المستوى والمقارب لشارع النحاسين مرتفع فوق المستوى تارة بقدر متر وتارة بقدر مترين بل يزيد عن ذلك كلما قرب من السور والارض التي حول جامع الظاهر منقطعة عن المستوى بقدر متر وثلثة أرباع متر وشارع الحسينية بعضه تحت المستوى بمترين وبعضه بمتر واحد والقلعة والمنشأة (الرميلة) والسيدة نفيسة جميع ذلك فوق المستوى ويختلف ارتفاعه من اثني عشر مترا الى اثنين وسبعين مترا وارتفاع أعلى نقطة من قلعة الجبل ثلاثة وسبعون مترا فوق مستوى أعلى فيضان النيل وثلثة وتسعون مترا وستة أعشار متر فوق مستوى البحر المالح وارتفاعها فوق أرض قراميدان اثنان وخمسون مترا وعشر متر وستة وخمسون مترا وأربعة أعشار متر فوق الارض التي تجاه قراول المنشأة (الرميلة) واثنان وسبعون مترا وأربعة أعشار متر فوق أرض شارع السيوفية عند المضفر  وشكل مدينة القاهرة في زمن القائد جوهر كان مرتفعة بارتفاعها ألف ومائتا مترا ومساحة الارض المحصورة فيه ثلثمائة وأربعون فدانا منها نحو سبعين فدانا بنى فيها القصر الكبير وخمسة وثلاثون فدانا للبلدان الكافورى ومثله الاميادين فيكون الباقي مائتي فدان وهو الذى توزع على الفرق العسكرية

في نحو عشرين حارة تمت بجانبى قصبة القاهرة وكان سور المدينة الغربى بعيداً عن الخليج بنحو ثلاثين متراً وفي سنة ست وثمانين وأربعمائة في زمن وزارة بدر الجمالى وخلافة المستنصر بالله عدم هذا السور وبنيت الابواب من حجر على ما هي عليه الآن وجعل عرض السور الجديد عشرة أذرع وبلغت مساحة البلد أربع مائة فدان فكان ما زاده بدر الجمالى بنحو ستين فداناً وفي سنة ست وستين وخمس مائة في زمن صلاح الدين الأيوبي شرع في عمل سور واحد يحيط بالقاهرة ومصر والقلعة وبنام من التجارة ومات قبل أن يكمل وجعل خلفه خندقاً وطول ما بناه تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وذراعان بالذراع الهاشمى وهو قريب من اثنين وعشرين ألف متروبقى الامر على ذلك الى سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة هجرة عند استيلاء الفرنسيين على الديار المصرية فقاموا بسور المدينة فوجدوه أربعة وعشرين ألف متروبقا واحد وسبعون باباً منها ما هو داخل البلد في السور القديم ومنها ما هو في السور المحيط بها ولم تتغير مساحة البلد عما كانت عليه في القرن التاسع من الهجرة وكان شكل السور غير منتظم وهو عبارة عن شكل كثير الاضلاع والآن زال أكثر الابواب والباقي منهم لم يستعمل وتغير شكل المدينة ومع ذلك فإن أطول شوارعها باقى على أصله وهو الموصل من بوابة الحسينية الى بوابة السيدة نيسة وطوله أربعة آلاف وستمائة وأربعة عشر متراً ومساحة المدينة القديمة بما في ذلك من ميادين وحارات وشوارع ومبان ألف وتسعمائة وثمانية وأربعون فداناً من ذلك ألف وسبعمائة وستة عشر فداناً مشغول بالمنازل والعمارة ومنها مائتان واثنان وثلاثون فداناً مشغولة بالشوارع والحارات والميادين بمعنى ان المشغول بالحارات والشوارع أكثر من الثمن وأقل من التسع ^١ وعدد الحارات والعطف والدروب والشوارع ألف ومائتان وتسعون منها الشوارع الكبيرة مائة وثلاثة وثلاثون شارعاً والحارات النافذة وغير النافذة مائة واثنان وستون والعطف النافذة وغير النافذة سبعمائة وتسعة عشر والدروب النافذة وغير النافذة مائتان وثمانية والسكن أربعة وعشرون وفروع السكن ستة عشر والطرق تسعة عشر وطول ذلك جميعه أربعة وخمسون ألفاً وخمس مائة وتسعة وخمسون متراً وبالنظر لما حدث من الشوارع المستجدة بخطة الاسماعيلية والقجالة وغيرها بما في ذلك من جسر شبرى وجسر أبى العلاء وطريق مصر العتيقة يبلغ طول الشوارع والحارات مائتين وثمانية آلاف متراً وثلاثمائة وتسعة أمتار ومساحتها ثلثمائة واثنان وثلاثون فداناً تقريباً بمعنى ان مساحة ما استجد من الشوارع والحارات تبلغ مائة فدان وهو يقرب من نصف مساحة الحارات القديمة وصارت شوارع القاهرة وحاراتها كما يأتى

متر	متر
٣٤٩ شوارع وطولها ٨٢١٧٦	٣٥٧ حارات وطولها ٤٣٦١٩
٨٧٢ عطف وطولها ٤٤٢١١	٢١٩ دروب وطولها ٢٨٣٣٦
١٦ ميادين وطولها ١٨٩١	ومساحتها أربع وثلاثون فداناً

ومساحة الاسماعيلية الجديدة ثلثمائة وتسعة وخمسون فداناً وبالنظر لذلك ولما استجد من المباني في أطراف القاهرة تبلغ مساحة المدينة الآن نحو ألفين وتسعمائة فدان بمعنى انها زادت في مدة العائلة المحمدية نحو ألف فدان وجميع ذلك الا القليل منه حدث في زمن الخديوى اسماعيل والامر الذى كمل به نظام القاهرة وضواحيها هو امر توزيع المياه والغاز فقاموا بمرحوم محمد على قصداً أن يحفر ترعة فقام من شرق اطفح ونصب في الخليج المصرى ليحضر صيفاً وشتاء داخل القاهرة فلم يتم له ذلك ^٢ وفي سنة خمس وستين ومائتين وألف قصداً المرحوم عباس باشا أن امر بتوزيع المياه في القاهرة باستعمال ابورات رافعة للمياه وتوزيعها بمواسير داخل البلد وشرع المهندسون في الاعمال الهندسية اللازمة لذلك ثم عرض عليه مبالغ التكاليف وهو مائة وثلاثون ألف جنيه فاستكثر دواً عرض عن ذلك فلما آل الامر الى الخديوى اسماعيل كلف به شركة مساهمين على شروط صار الاتفاق معهم عليها فآخذوا في اجراء العمل وأتموه بمعرفة شركتى الماء والغاز وحصل توزيع الماء والغاز في المدينة وضواحيها والآن كمية المياه التى تصرف في مدينة القاهرة في السنة الواحدة عشرة ملايين وسبعمائة وأربعة وستون ألفاً وخمس مائة وثمانون متراً مكعباً فيخص اليوم الواحد تسعة وعشرون ألفاً وأربعمائة واثنان وتسعون متراً مكعباً من الماء والمتر المكعب

خمس عشرة قرية حارّى وطول المواصلات الموضوعة في الشوارع والحارات داخل البلد وخارجها وهي من الحديد
 الزهر مائة وخمسون ألف متروعة مدافق وانيس الموزعة في داخل البلد وخارجها ألفان وثمانمائة فانوس وفانوس
 واحد منها بالاسماعيلية والازبكية والفجالة وعابدين ثلثا ذلك والثلث داخل البلد وفي الزمن السابق على
 العائلة المحمدية لم يكن بالقاهرة سوى ميدانين أحدهما ميدان الازبكية في غربي القاهرة والثاني ميدان
 قراميدان في قبليها تحت القلعة وكانت قد انعدمت جميع الميادين والرجاب التي تكلم عليها المقرر في خططه
 وكان عددها تسعة وأربعين ففي زمن الفاطميين كان القصر الكبير والقصر الصغير من نصيب عيادين كبيرة
 وفي مواضع من القاهرة كانت رحاب واسعة تتجاء منازل الامراء ولما زالت الدولة الفاطمية كان عدد الميادين
 داخل القاهرة عشرة وبقي ذلك في الدولة الايوبية الى زمن السلاطين الجرا كسة فكثرت البناء داخل القاهرة وخارجها
 ومع ذلك فكان كل أمير يجعل أمام بيته رجة متسعة حتى بلغت هذه الرحاب العدد المذكور ولما حصل البناء خارج
 البلد فيما كان من السابقين كان خارج القاهرة من جهاتها الثلاث القبليّة والغربية والبحرية عبارة عن قصور
 وبساتين يتخللها ميادين كبيرة في الجهة القبليّة ميدان ابن طولون وميدان الملك العادل أمام الكباش على بركة الفيل
 وميدان الناصر محمد بن قلاوون الماروف أحدهما ميدان المهارة والآخر بالميدان الناصري وكانا في الارض الواقعة
 تتجاء القصر العيني والقصر العالي وفي الجهة الغربية كان ميدان الصالح والميدان الظاهري في الارض الواقعة تتجاء
 قصر النيل وميدان العزيز تتجاء منظرة اللؤلؤة من أرض بركة الازبكية وفي الجهة البحرية كان ميدان قراقوش
 الذي في بعض مساحته جامع الظاهر وكان جميع السلاطين يتألق فيما بينهم من القصور في تلك الميادين وكانت أيام
 خروجهم اليها أيام فرح وسرور فكانت الناس تجدهم فراغهم من الاعمال وفي المواسم والاعيان المحلات العديدة
 للترفة والرياضة ثم لما صارت مصر ولاية تابعة لدولة آل عثمان كثرت الناس أرض البساتين والميادين
 والرحاب وبنوا فيها ثلثا كثرت الفتن وتوالت المحن تكرر الهدم والبناء حتى صارت المدينة على الحالة التي وصفناها
 فيما سبق وانحصرت بين التلول من جهاتها الاربع ولما جلس العزيز محمد على باشا على تخت الديار المصرية وفرغ
 من الحروب التي عاناها الشغل باصلاح الامور وحذا حذو خلفائه بتنظيم الحارات والشوارع القديمة وفقت
 شوارع وحارات جديدة وعملت عدة ميادين فصار في داخل القاهرة وخارجها ستة عشر ميادانا وقد تكلمنا على
 جميع ذلك في هذا الكتاب وكان الخديوي اسمعيل يود تنظيم ما بقي من القاهرة على اسلوب تنظيم الاسماعيلية
 وصدرت أوامره لاديار الاشغال بذلك وعملت رسومات طبق رغبته فكان من أغراضه جعل سراي عابدين مركزا
 يتفرع منه عدة شوارع منها ما تم وامتد الى الاسماعيلية والى الازبكية ومنها ما لم يتم كشارع يمتد من عابدين ويمر
 تتجاء جامع الشيخ صالح ويمتد مستقيما الى ميدان السيدة زينب رضى الله عنها وآخر من قبلي عابدين خلف سراي
 المرحوم راجب باشا ويمتد مستقيما الى أن يلتقي مع شارع محمد علي ثم يرغب في انشاء شوارع مركزها جامع السيدة
 زينب ويمتد في جهاتها او تقطع حارات البلد القديمة مع عطفها وأزقتها التجديد الهواء وازالة العفونة وأحدها يكون
 من ميدان السيدة الى بركة الفيل الى شارع محمد علي وكذلك كان يرغب في جعل سراية العتبة الخضراء مركز العدة
 شوارع منها ما تم ومنها ما كان يرام امتداده من العتبة الخضراء الى باب الفتوح الى الخلاء وغير ذلك كثير وكان من
 مشروعاته احداث ميادين متسعة أحدها عند باب الفتوح والثاني عند السلطان حسن والثالث عند بركة
 الفيل وغير ذلك خارج البلد وكان من مشروعاته أيضا ازالة تلؤل البرقية وباب النصر ١٠ وأول من أدخل المباني
 الرومية في الديار المصرية هو العزيز محمد علي فاحضر معلمين من الروم فبنوا السراية القلعة وسراية شبري وعمل
 بينها وبين مصر طريقا مستقيما غرسه من جانبيه بالجيز واللج وعمل مثلها بين القاهرة وبولاق وأنشأ بستان
 الازبكية وأزال التلول التي كانت خارج باب الحديد وفي غربي القاهرة وبنوا البنته زينب هانم سراية الازبكية
 ولبنته نازلي هانم سراية على ساحل النيل هدمها المرحوم سعيد باشا وبنى محلها قسلا لقصر النيل لاقامة
 العساكر به وحذا حذوه في انشاء العمائر على هذا الاسلوب بنوه وأمره فبنى المرحوم سرعسكر ابراهيم باشا قصر
 القبة بعد العباسية في طريق الخانقاه حيث قبة الغوري المشهورة قد بناه في جزيرة الروضة والمقياس قصر

عرف بقصر المغارة لانه عمل فيه مغارة ورصع حيطانها بأنواع الودع الملون على أشكال بدعية وبني القصر العالي
وبني المرحوم عباس باشا سراية بجهة الخرشف وبني أحمد باشا بجن دارا عظيمة في عطفة عبد الله بك وجعلها
قصرين قصر الرجال وقصر اللعريم وبني ابراهيم باشا بجن دارا في سويقة اللالامل دار أخيه وبني أحمد باشا
طاهر في الاز بكية سرايته المشهورة باسم ثلاثة وبنو خورشيد باشا السناري داره في عابدين وكذا محوي بك بني دارا
بجوار دار عثمان بك ابن المرحوم ابراهيم بك وبني المرحوم شريف باشا الكبير سرايته على بركة أبي الشوارب وبني
سامي باشا المرهلي سراية بدرب الجامع التي فيها المدارس الميرية الآن وهذا الاصل في حذو الامراء فكثرت المباني
الرومية في داخل القاهرة وضواحيها وفي زمن المرحوم عباس باشا بنيت له سراية الخلية وسراية العباسية وبولغ
في تشييدهما وسعتهم ما وتحسينهما والمدارس والقشلاقات العسكرية وتنظمت الطرق التي بينها وبين القاهرة وبني له
أيضا قصر بنها وبركة السبع والدار البيضاء في الجبل بطريق السويس والعتبة الخضراء بالاز بكية وزادت الرغبة
في البناء خارج البلاد وكثرت هذه الرغبة في مدة سعيد باشا بعد استكمال السكة الحديد بين الاسكندرية والسويس
والقاهرة وظهرت عدة قصور في جاني طريق شبري وفي جهة المهمشا وفي زمن الخديوي اسمعيل تنظمت خطة
الاسماعيلية والفجالة وفتح شارع محمد علي وعمل كبرى قصر النيل وتنظمت جهة الجزيرة والجزيرة بعد بناء
سرايتهما وهما من أعظم المباني الفخيمة التي لم يكن مثاها ويحتاج لوصف ما اشتملت عليه كالتاهما من المحلات والزينة
والزخرفة والمنشآت وما في بساطتهما من الاشجار والازهار والرياحين والانهار والبرك والقناطر والجبلات
الى مجلد كبير ولكن يكفي في هذا المختص أن نقول ان أرض سراية الجزيرة ستون فدانا وتحتوي على سراية للرحيم
وأخرى برسم سلامك كبير خلاف سلامك صغير في غربي السلامك الكبير والسلامك من رسم فرانس باشا
النمساوي اجتمعت في تشييدهما بالمباني العربية القديمة في شكلهما وزينتهما ومنشآت ما وجعل في خارج السلامك
الكبير برسم الزينة بلكونات وبواكي من الحديد جلبت من البلاد الافرنجية وأحاط البستان بسور وجعل فيه
محلات للحيوانات المتنوعة كالنيلة والسباع والفور والقردة والنسائس ونحوها وأنواع الطيور الخلوقة من بقاع
الأرض وفرش بمشابه الرمل والزلاط ووزع فيه فوانيس الغاز فكان من أبدع ما يرى خصوصا في الليل بعد أن توقد
فوانيسه وما صرف على هذه السراية من النقود كثير لكنه بالنسبة لما صرف على سراية الجزيرة قليل وفي الاصل كانت
سراية الجزيرة قصر صغيرا وحاميا بناهما المرحوم سعيد باشا وبعد موته اشتراها الخديوي اسمعيل باشا وما يتبعهما
من الأرض وهو نحو ثلاثين فدانا من ابنه المرحوم طوسون باشا وهدمهما وبناهما وفرشهما وبعد قليل أخذ في توسيع
السراية من جهة البحر وزاد في المباني وأحضر من الاستانة أحد القلائد المعروفة في عمل الرسوم اقتضت الحو
والاثبات فيما تم وأحضر من الاستانة أيضا اسطوانات فنظمها وبساتينها وفرشها بمشابه وطرقه بالزلاط الملون المجلوب
من جزيرة رودس على رسوم أشكال مختلفة وجعلوا فيه جماليات وبرصا كامتسعة وأنهر او غدرانها على القناطر
وكشكات للجلوس وأقناصا واسعة للطيور وأوصل له مياه النيل المرفوعة بوابر مخصوص ووزع فيه فوانيس الغاز
ثم عن له أن يعمل سلامك كائنيته جميعه من الحجر النحيت وكلف برسم ذلك وعلمه مهندسين وعمالا من الافرنج ووسع
البستان الأصلي ونقض ما عمل في المماشي من الزلاط والرغام وأعاده ثانيا وأنشأ بستانا ثالثا عرف بالارمان جلبت
أشجاره من جزائر الروم بعد ما ردمت أرضه بطمي النيل الى قريب من مترين وكذا ردم الأرض المجاورة لهذه السراية
وسراية الجزيرة الى ارتفاع مترين وبلغ ما ردم في الجهتين نحو ثلثمائة فدان بمعرفة مقاولين من الافرنج اشترط معهم
على أن تكاليف المتر المكعب افرنك ونصف خلاف السكك الحديد التي جعلت لهذه العملية فكانت على الحكومة
وكلف برسم البساتين المهندس ياريل بي المشهور في تنظيم البساتين وهو الذي نظم بستان الاز بكية فنوع في رسومات
أرمان الجزيرة وجعل به مناظر مختلفة وجبالا على القناطر عتر فوق وديان ونوع مستوى أرضه فجعل بعضه مستويا
وبعضه منحدرا وجعل به أبحرا وغدرانا وفي مواضع منه ضم الاشجار الى بعضها وفي غيرها فرقها واجتمعت في تشييدها
الأرض بأراضي الروم وغيرها واستعمل مبلغا جسيما من الصنعت في عمل الصخور ووزع الغاز به في فوانيس من البلور
على أعلا من الحديد ورتب من الخدمة لثلاث البساتين نحو خمسة عشر نفرا تحت إدارة اسطوانات من الافرنج لخدمة
الاشجار وسقيها بالخرطوم وكس الطرق والمماشي ونحوها فصارت بساتين الجزيرة فريدة في نوعها وبلغت

مساحة الارض المشغولة بتلك الاعمال أربع مائة وخمسة وستين فدانا وكان الحديد يوصى اسمعيل باشا مشغولاً فاجب البناء فبنى غيره هذه السرايات سرايات أخرى مثل سراية عابدين وسراية الاسماعيلية الصغيرة سميت بذلك لانه كان قد شرع في بناء سراية الاسماعيلية الكبيرة محل جزيرة العجيط بعد شرائها ما كان بها من المنازل والقصور ولكنه أوقف العمل فيها بعد أن صرف على جدرانها فقط ثمانية وثلاثين ألفاً وثمانمائة وعشرين جنيه مصرى أو صرف على مشتري أما كن الجزيرة وهى مائة بيت وواحد تسعة آلاف وثمانمائة واثنين وثمانين كيسه وهى عبارة عن ثمانية وأربعين ألفاً وأربعمائة جنيه وعشرة واستقر العمل في سراية الجزيرة وسراية بولاق التمسك وروسراى فاطمة هانم والقصر العالى وسراية الزعفران بالعباسية للوالدة وسرايات أخرى بالاسكندرية والمنصورة والمنيا والروضة وغير ذلك من بيوت الاشتراقات وغيرها وسراية كبيرة بالعباسية وهى التى احترقت وبها الآن عمل استتالي للمجازيب وكان جميع حيطان محلاتها من الداخل وسقوفها مكسوة بالاقشة المتنوعة الاجناس والقيم ووجدت قائمة فيها ما صرف على السرايات من أجرة صناعات ومفروشات ونقوش ونحوها من ضمن ذلك ما صرف على الجزيرة ألف ألف وثمانمائة وثلاثة وتسعون ألفاً وثمانمائة وأربعة وسبعون جنيه مصرى على سراى عابدين ستمائة وخمسة وستون ألفاً وخمسة مائة وسبعون جنيه وسراى الجزيرة ثمانمائة وثمانية وتسعون ألفاً وثمانمائة واحد وتسعون جنيه وسراى الاسماعيلية الصغيرة مائتا ألف وواحد مائتان وستة وثمانون جنيه وبقى العمارات ألفاً ألفاً وثمانمائة واحد وثلاثون وثمانمائة وتسعة وسبعون جنيه منها على سراى الرمل أربع مائة واثنان وسبعون ألفاً وثمانمائة وتسعة وتسعون جنيه وفى مدته كثرت الرغبة فى المباني الرومية الفخيمة فبنى الاهراء وغيرها من أصحاب الاموال فى خطة الاسماعيلية والفعالة وشبى القصور والسرايات المكلفة منها ما تبلغ نفقته ثلاثين ألف جنيه وكثرت حتى صارت عدة مئتين وللا تأن فى مدة الحضرة الحديدية التوفيقية لم تنقطع الرغبة فى تلك المباني وفى كل يوم تظهر مبان مشيدة بأشكال ظريفة حتى امتدت العمارات الى طريق السبئية الواصل بين محطة السكة الحديدية وبولاق ونجى من تلك الاعمال زوال القل والبركة العفنة التى كانت بأرض الاسماعيلية وبجانبى طريق بولاق وطريق السبئية والفعالة وصارت هذه المحلات من أحسن محلات المدينة وقبل العائلة المحمدية كانت حارات القاهرة وأزقتها كثيرة الانعطافات والاسبطة وأرضها غير مستوية فلما كثرت بها السكان والمتاجر صارت لا تناسب هذه الحالة فكان يحصل الازدحام وتعطيل الماشى والراكب فلما أخذ العزيز محمد على بزمام الاحكام واستتب الراحة صدرت أوامره لأقلام الهندسة بعمل لأشحة التنظيم فعملت وصار العمل بمقتضاها ونشأ عن ذلك اتساع الحارات وسهولة المرور والمتاجر وغيرها واستمر ذلك فى زمن خلفائه واتبع الناس فى بنائهم الاشكال الرومية وهجر الاسلوب القديم لما رأوا فى الاسلوب الجديد من بهجة المنظر وحسن الوضع وقلة المصاريف عن الاسلوب القديم فان المحلات فى الاسلوب الجديد شكلها اما مربع أو مستطيل ولا تختلف الا بالكبر والصغر بخلاف القديم فان القاعة الواحدة كانت تشغل أكثر أرض الدار ولوازمها يعسر معها الانتظام وكانت الطرقات والفتحات تأخذ مبلغاً عظيماً من احيائها قريبة من محلات النوم والجلوس وأكثر محلات الدار قليل النور والهواء الذين هم من أساس الصحة وقل أن تخلو من الرطوبات التى تولد عنها الامراض وفى الاسلوب الجديد استعوضت المشربيات التى كانت تصنع من الخراط بشبابيك مستطيلة وعليها زخارف الزجاج واستعمل فى الدور الارضى عوضاً عن الخراط شبابيك من الحديد بأشكال مختلفة واستعوضت خردة الرخام التى كانت تجعل فى درقات القيعان والحمامات وفى أسفل الحيطان بترايبع الرخام الابيض والاسود وهى أبهى منظر وأقل مصراً وتركت خردة الرخام وكانت عبارة عن قطع صغيرة مختلفة الألوان توضع بمبانيات مختلفة فى بعض منافذ القيعان بالجلوس وهى مع كثرة مصاريفها لا فائدة فيها وتركت السقوف البلدية الملبسة ذوات الكرادى والمقرنصات التى كانت تجعل تحت الازار فى دوائر بعض المحلات وفى الزوايا الاربع وكانت الصنائع تقيم فى صناعة ذلك الاشهر العديدة بل السنين حتى كان السقف يتكافئ مثل ما يتكافئ باقى المنزل فعمل بدل ذلك السقوف الرومية المستوية أو المفرغة ويكون السقف فى الغالب منتهى بازار من بين بعض الاعمال وفى وسطه صرة مفرغة تنار يغ متنوعة فاذا تم طلى بطلاء الزيت الملون بالاصماغ ونقش بنقوش متنوعة وكثيراً ما ينتهى

السقف ببراويزو كرايش يتقن الصانع في اتقانها بقدر استعداده ورغبة صاحب الشغل وثروته وتارة تعمل
السقوف بالبغدادى وتسكى بالجبس وتدهن بأنواع الاصباغ وتنقش هي والحيطان باللون الذى يرغبه صاحب
المنزل أو تسكى بالورق المنقوش وقد تكون النقوش فى الورق أو غيره محلاة بماء الذهب وتغزرت وجهات البيوت
التي كانت تعمل فى الأزمان القديمة بحسب ما يتفق على غير قانون هندسى بحيث تكون لافرق بينها وبين وجهات
حيثان الاموات فجعلت على قانون هندسى منتظم وهيئات مألوفة حسنة وقسمت الوجهة فى اتساعها وارتفاعها
بـ **كرايش** بارزة يحدث عنها بعض الظلال فى عرضها وارتفاعها وتزيد فى رونق البناء وبهائه وفى السابق كانوا
يجعلون أرض محلات المنازل غير مستوية بل بعضها مرتفع وبعضها منخفض فترى أهل المنزل فى ثقلهم فى المحلات
يصعدون ويهبطون وذلك فضلا عن مضراته مذهب للرونق فجعلت فى الجديد محلات كل دور من المنزل فى مستو
واحد بهيئة يشرح لها الصدر وكذلك السلام جعلت مناسبة لتوزيع المحلات باتساع مناسب للمنزل كبر أو صغرا
وارتفاعا وجعلت درجاتها بهيئة لا تعب الصاعد وأعطيت النور الكافى على خلاف ما كانت عليه قديما وتركت
الابواب المفرغة الدقيقة التي كانت تعمل من قطع الخشب المتعشقة فى بعضها على أشكال مختلفة وتارة كانت تلبس
بالضدف وغيره ويجعل لها ضب من الخشب ويتقن فى جنس خشبها وهيئتها وارتفاعها بالعمق والابواب والابواب
معدنية على هيئات كثيرة فاستعوضت بالابواب الخشبية واستعوضت الضب بالكواكين وبطلت الرفوف والدواليب
التي كانت تعمل فى سمك الحائط ويتقن فى عملها وارتفاعها وعمارتها بالخرقة ونحوها ويضعون عليها أنواع الصنعة للزينة
والمباهاة ولما كثر دخول الأفرنج فى هذه الديار بعد أحداث السكك الحديدية فيها أخذت صور المباني تتغير فبنى كل
منهم ما يشبه ببناء بلده فتشوقت صور المباني وزينتها وزخرفت أو كذا تغيرت المقروشات الثمينة والسجادات الهندية
والهجومية والتركية بالمقروشات الافرنجية والتركية وتغيرت كذلك الملابس وأواني الأكل والشرب وغيرها
ولرغبة الناس فى البضائع الافرنجية لخصها فى ورود الهندية والهجومية وكثير البضائع الافرنجية واستبدلت أواني
النحاس بالصينى ومسارج الصفيح والشمع الكريه الرائحة بشمع المن الأبيض وبالفوانيس الزجاج وشمع دانات البلور
والمعدن الحسنة الشكل البهيجة المنظر وبالجملة فمن يدخل القاهرة الآن وكان قد دخلها من قبل أو قرأ وصفها
فى كتب من وصفوها فى الأزمان السابقة فلا يرى أثر المائت فى علمه ويرى أن التغير كما حصل فى الأوضاع والمباني
وهيأتهم حصل فى أصناف المتاجر وفى المعاملات والعوائد وغيرها من أحوال الناس **❦** ولسهولة الضبط والربط
انقسمت القاهرة الى ثمانية أثمان وكل ثمن ينقسم الى شياخات ثم تقبل بالنسبة لكبرى الثمن وصغره ولكل ثمن شيخ
يعرف بشيخ الثمن مرتبه شهر يامن المحافظة مائة فرس صاغ ولكل شياخة شيخ يعرف بشيخ الحارة ليس له مرتبة من
المحافظة وأثمانه تسببه يكون من النقود انى يأخذها برسم الخوان من سكان الاملاك التي فى شياخته لان العادة ان
من أراد أن يؤجر بيتا فى حارة من الحارات يكون ذلك بمعرفة شيخ الحارة وبعد تأجيله للبيت يدفع له أجرة شهر برسم
الخوان والحكومة تستعين بهم فى توزيع الفردة والطلبات ويظهر مما كتبه الجبرتي ان هذا الترتيب لم يحصل الا فى
زمن الفرنسيين ففهم الذين وضعوه وبقي مستعملا من بعدهم الى الآن ولم أر ذلك فى خطط المقرري فانه لم يتكلم
على تقسيم القاهرة ولا الفسطاط الى أثمان والآن أثمان مدينة القاهرة هي ثمن الموسيقى وثمان الازبكية وثمان باب
الشعرية وثمان الجالية وثمان الدرب الأحمر وثمان الخليفة وثمان عابدين وثمان السيدة زينب وثمان مصر العتيقة وثمان
بولاق وثمان أودان أبين حدود كل ثمن لكن الكثرة التغيرات اكتفت بذكر أسمائها وهي مبنية فى المحافظة فمن
أراد الوقوف عليها فلينظرها هناك **❦** وكان فى الأثمان المذكورة ثمانية وأربعون قره قولا موزعة داخل البلد
وخارجها لاقامة العسكر المحافظين بها والآن بطل **❦** أكثرها ولم يبق منها الا القليل وفى كل ثمن بيت للصحة به
حكيم وحكيمة وكاتب وقمري للكشف على من يموت وتطعم الجسد ومعالجة بعض المرضى واعطاهم بعض
الادوية وقيد من يولد ومن يموت فى دفاتر مخصوصة ترسل لديوان الصحة واخبار بيت المال عن يموت وهو تابع لمجلس
الصحة العمومية يتلقى منه المخاطبات ويخبره عن جميع الحوادث الصحية وفى كل ثمن أيضا معاون وكاتب وبعض
عساكر وهم تابعون لديوان المحافظة ووظيفته النظر فى المناسبات والخصومات فلا يمكنه صرفه ولا إرساله الى

جهة الاختصاص والعمارات المشتملة عليها مدينة القاهرة هي أولا محلات العبادة وتشمل الجوامع والمدارس
 والزوايا والمساجد والرباطات والخوانق ولندكر هنا بطريق الاجمال عدد كل منها مع تقلباته فنقول أما الجوامع
 الآن فهي مائتان وأربعة وستون جامعاً ودخل في ضمن الجوامع المدارس التي تكلم عليها المقرري وهي سبعون
 مدرسة سوى ما ذكره من الجوامع وهي ثمانية وثمانون جامعاً مجموعها مع المدارس مائة وثمانية وخمسون فيكون
 ما استجد في القاهرة من بعد المقرري الى وقتنا هذا مائة جامع وستة ويظهر مما ورد في الخطط ان الجوامع والمدارس
 لم تكن الا في زمن السلاطين من الجراكسة والى سنة ستين وخمس مائة من الهجرة كانت لا تقام الجمعة في القاهرة
 ومصر الا في ثمانية جوامع وهي جامع عمرو وجامع العسكر وجامع ابن طولون بالقطائع والجامع الازهر بالقاهرة
 والجامع الحساكي بالقاهرة وجامع المقس بالقاهرة أيضاً وجامع القرافة وجامع راشدة ثم في زمن السلاطين من
 الجراكسة كثرت الرغبة في بناء الجوامع حتى بلغت في آخر مدتهم مائة وثلاثين جامعاً تقام فيها الجمعة كان منها بمصر
 العتيقة عشرة وبالقرافة احدى عشر وبجزيرة الروضة خمسة وبالحسينية اثنا عشر وعلى النيل خارج القاهرة أربعة
 وبين القاهرة ومصر ثلاثة وعشرون وبالقلعة أربعة وخارج القاهرة بالتربسبعة ودخل القاهرة سبعة عشر
 وكان كل من بنى جامعاً وقفه لله ووقف عليه الاوقاف الدارة ورتب له الخدمة والمؤذنين والائمة وغير ذلك والآن
 قد اندثر جميع المدارس وصارت جوامع ولم يبق مالا يختص بالتدريس وللمدرسين فيه رواتب من جهة الحكومة
 والاوقاف الا الجامع الازهر فقط وتقام الجمعة فيه وفي جميع الجوامع المذكورة بل وفي بعض الزوايا وفي المقرري
 ان المدارس مما حدث في الاسلام لم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدثت بعد سنة أربع مائة من
 الهجرة وأول مدرسة بنيت ببغداد سنة سبع وخمسين وأربع مائة ومصر كانت حينئذ في يد الانساطميين وهم شيعة
 اسماعيلية وأول ما علم إقامة درس من قبل السلطان بعلوم جارية لثقة من الناس كان في خلافة العزيز بالله نزار بن
 المعز لدين الله في الجامع الازهر والوزير يعقوب بن كلس كان يقرأ درساً في داره كان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم
 وعمل مجلساً بجامع عمرو أيضاً ولما صارت مصر الى الايوبيين وجلس على تختها يوسف صلاح الدين أبطل مذهب
 الشيعة من جميع الديار المصرية وأقام بها مذهبي الامام مالك والامام الشافعي وأول مدرسة حدثت بديار مصر
 كانت بجوار الجامع العتيق بناها صلاح الدين سنة ست وستين وخمس مائة وعرفت بالمدرسة الناصرية وكانت
 للشافعية وبنى في السنة المذكورة المدرسة القمعية بقرب الناصرية للمالكية وبنى أيضاً المدرسة السيوفية
 للشافعية وحذا حذو صلاح الدين خلفاؤه من الايوبيين حتى كانت عدة المدارس بعد زوال ملكهم خمساً وعشرين
 مدرسة منها الخاصة للشافعية سبعة وللمالكية ستة وأربعة للحنفية واحدة للحنابلة وتارة كان يدرس بالمدرسة
 مذهباً فمكان للشافعية والمالكية معاً أربعة مدارس ومشاها للشافعية والحنفية ولما تولى الملك من بعدهم
 مما يليكهم ساروا سير ساداتهم وحذا حذوهم أمرائهم وأصحاب الاموال من الرجال والنساء حتى كمل عدد المدارس
 الى آخر حياة المقرري خمساً وأربعين مدرسة في نحو مائة وثمانين سنة وصار في القاهرة سبعون مدرسة يدرس بها
 المذاهب الاربعة وبعضها كان مختصاً بالصوفية وكان يتألف في بناء تلك المدارس وزينتها وزخرفتها وترخيمها وتعمل
 لها الشبايل من النحاس المكفت بالذهب والفضة وتصفح أبوابها بالنحاس البديع الصنعة المكفت ويجعل
 فيها خزائن كتبها عدة من المصاحف والكتب في الحديث والفقه وغيرهما من أنواع العلوم وكان يتألف في عظم
 المصاحف وكتابتها ما كان طوله أربعة أشبار الى خمسة وعرضه قريب من ذلك ولها جلود في غاية الحسن معمول في
 أكياس الحرير الاطلس وكانت العادة عند انتهاء عمارة المدرسة أن يدعو صاحبها القضاة والاعيان وغيرهم من الامراء
 وعداهم بمسماط جليلات وعتلات البركة التي توسط المدرسة ماء قد أذيب فيه سكر من جعاء اللهمون ويسقى منه الحاضرون
 وفي الجلسة يقرر المدرسين في المذهب أو المذاهب وفي الحديث والتفسير ويخلع عليهم الملابس الفاخرة ويقرر لكل
 من المدرسين طائفة من الطابة ويجري عليهم الرواتب من الخبز في كل يوم ومن الدراهم في كل شهر ويرتب الامام
 والقومة والمؤذنين والقراشين والمباشرين ويوقف عليهم الاوقاف الدارة وقد بينا أوقاف بعض تلك المدارس وما
 لحقها من التغيرات والاسوال في هذا الكتاب ومن ابتداء القرن التاسع الى القرن الثاني عشر يعني مدة ثلاثة قرون

قد أهمل أمر المدارس وامتدت أيدي الاطماع الى أوقافها وتصرف فيها النظر على خلاف شروط وقفها وامتنع
 الصرف على المدرسين والطلبة والخدمة فاخذوا في منارقتها وصار ذلك يزيد في كل سنة عما قبلها الكثرة الاضطرابات
 الحاصلة بالبلد حتى انقطع التدريس فيها بالكلية ويبحث كتبها وانتهت ثم أخذت تتشعث وتخرّب من عدم
 الالتفات الى عمارتها ومرمتها فامتدت أيدي الناس والظلمة الى بيع رخامها وأبوابها وشبابيكها حتى آل به ضلالت
 المدارس الفخيمة والمباني الجليلة الى زاوية صغيرة تراها مغلقة في أغلب الايام وبعضها زال بالكلية وصار زريبة أو
 حوشاً أو غير ذلك كما ينه في هذا الكتاب ولله عاقبة الامور ❦ ومن ابتداء جلوس العزيز محمد علي على تخت الديار
 المصرية أخذت الحكومة في التشديد على حفظ ما بقى من تلك المباني ومن فيض مراحها أنشأت عدة مساجد في
 القاهرة وغربها وعمرت اقدم واعادته للعبادة وحذا حذو خلفائه في هذا الامر الجليل ورتب ديوان الاوقاف
 لحفظ تلك المباني وأوقافها والصرف عليها ووجهت جل عنايتها الى أمر التربية فساعدت طلبة الأزهر والمدرسين به
 فانتظم سير التعليم فيه وكثرت طلبة العلم في المذاهب الاربعية في مدته ومدة خلفائه حتى بلغ عددهم في سنة تسعين
 ومائتين وألف سبعة آلاف وأربعمائة واحد وأربعين طالباً منهم شافعية أربعة آلاف وخمسمائة
 وسبعون ومالكية ثلاثة آلاف وسبعمائة وعشرة وحنبلية ألف ومائة واحد وثلاثون وحنابلة ثلاثون طالباً
 وأما عدد المدرسين في المذاهب الاربعية فبلغ ثلثمائة وأربعمائة وعشر والجاري صرفه الآن من ديوان الاوقاف على
 الجامع الأزهر ومن به من العلماء والطلبة ألفان وخمسمائة وتسعة عشر جنهما واثنان وستون قرشاً ونصف نقدية
 وخمسون ذلك خـلاف الجاري صرفه للمدرسين من الروزنامة والجاري صرفه من الاوقاف لباقي الجوامع والزوايا
 والاضرحة في مرتبات وزيت وشموع وحصر واحياء لئلا ثلاثون ألفاً وأربعمائة وتسعة وأربعون جنهما وثمانية
 وثلاثون قرشاً والجاري صرفه على المكاتب التابعة للديوان المذكور أربعة عشر ألفاً وستة وستة وعشرون جنهما
 واحد وأربعون قرشاً يعني ان مجموع الجاري صرفه في السنة الواحدة على اقامة الشعائر الدينية وعمارات محلاتها
 سبعة وأربعون ألفاً وخمسمائة وخمسة وتسعون جنهما واثنان وأربعون قرشاً ❦ ثم ان الحكومة وجهت أنظارها
 الى انشاء مدارس لتربية الشبان ونشر العلوم والفنون والصنائع ففي زمن المرحوم محمد علي أنشئت مدرسة الطب في
 سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف وجلب لها مائة تلميذ من طلبة الأزهر ورتب لهم معلمين جلبهم لها من بلاد الافرنج
 ثم رتب المهنة سخانة لتعليم العلوم الرياضية ومدرسة البحرية ومدرسة الزراعة وأخرى لتعليم اللسان الاجنبية
 ومدرسة لتعليم الصنائع والحرف ومدرسة للموسيقى هذا فضلا عن المدارس العسكرية وهي مدرسة للطوبجية
 ومدرسة للخيالة ومدرسة للبيادة هذا فضلا عن المكاتب التي انظمها بالقاهرة والاسكندرية ومدن الاقاليم المصرية
 وقد بلغ عدد الشبان الذين كانوا يتلقون العلوم والصنائع في وقته تسعة آلاف ولم يكتف بذلك بل جعل يرسل الى
 البلاد الاجنبية الارسلات المتوالية من أذكى الشبان للتبحر في المعارف وجعل لكل فن من العلوم طائفة منهم
 وبلغ عدد المرسلين الى فرنسا أربعة وأربعين تلميذاً لحقهم غيرهم وفي سنة ثمانية وأربعين بلغ عددهم ستين تلميذاً والى
 سنة ألف ومائتين وثمان وخسين كانت جملة المرسلين مائة وأربعة عشر تلميذاً وقد نجح منهم الكثير وحصل النفع
 بهم في مصالح البلاد وفي سنة ستين ومائتين وألف أرسل أنجاله ضمن ارسالية كبيرة قدرها سبعون تلميذاً وفتح لها
 مدرسة مسجلة في مدينة باريس لتعليم الفنون العسكرية ولم تزل الارسلات تتعاقب وتحضر الى مصر ويوظفون
 في المصالح كتعليم الفنون الحربية والتعليمات العسكرية وأشغال الهندسة كعمل المباني والترع والقنطرة وعمل
 الآلات وادارة الورش والمعامل واستخراج الزيوت وعمل الصابون والشمع والعطريات وتكرير السكر وعمل
 الاسلحة النارية والسيوف والسكاكين والمطاوي والساعات وطقومة الخيل وسبك المعادن وتركيب الاجار
 الثمينة والحياكة والتجليد وصناعة الورق وعمل الاستحكامات وغير ذلك مما يطول شرحه وقد ظهرت ثمراته في البلاد
 المصرية واستمرت الى الآن وكان كلما علم عزية في جهة أرسل اليها من يعهد فيه الاستعداد للحصول عليها فأرسل الى
 بلاد الانجليز وبلاد ايطاليا وبلاد النمسا والمانييا فانتشرت المعارف المعاشية في البلاد المصرية بعد خضائها وقد
 حذا حذو خلفائه وساروا على منهجه وان كان في زمن المرحوم سعيد باشا حصل فتور في سير التعليم لكن لما آل

الامر الى الخديوى اسمعيل باشا اخذ التعليم في سيرة القديم ومن اهتم به بأمر التربية زاد في النفقة عليه فانتسح
 نطاق التربية وزادت رغبة الناس في تربية اولادهم ولم يكتف الخديوى المذكور بالمدارس السانف ذكرها بل أنشأ
 مدرسة للقوانين والشرائع وهى المعروفة بمدرسة الادارة ومدرسة لتربية الخوجات عرفت بدار العلوم أخذت
 تلامذتها من طلبة الجامع الازهر وهو أول من فتح مدرسة للبنات وأخرى للغرس والعميان من الذكور والاناث
 وأنشأ مدارس في مدن الاقاليم جعل فيها التعليم على النسق الجارى في المدارس الميرية وأنشأ مجلة مكاتب أهلية في
 القاهرة والاسكندرية جرى التعليم فيها على هذا النسق وجعل للنفقة عليها ايراد شغل الوادى وما يتحصل من
 الاوقاف الخيرية بناء على لأئحة عملت لذلك وما يدفع من أهالى الاولاد على حسب اقتدارهم ومن رغبة الناس في
 تربية اولادهم ظهرت مكاتب متعددة قبل فيها الراغبون للتعليم من كافة طوائف الخلق وتسابق المسلمون والمصري
 في هذا الامر فكثرت المدارس الاسلامية والافرنجية وزادت تلك الرغبة بعمار أو من اعطاء الاعانات من طرف
 الحكومة للمساعدة على التعليم والتعلم والى سنة تسعين ومائتين وألف بلغ عدد المدارس الميرية احدى عشرة مدرسة
 وعدد تلامذتها ألفا وتسعمائة وثمانية عشر تلميذا منها أربع مائة وخمسة وأربعون بمدرسة البنات وفيها من الخوجات
 مائة وتسعة وستون خوجة وفي مدارس المديريات ثمانمائة وأربعة وستون تلميذا وفيها من الخوجات خمسة
 وأربعون وفي المكاتب الاهلية المنتظمة ألف وتسعمائة واحد وسبعون تلميذا وفيها من الخوجات اثنان وتسعون
 فيكون مجموع الجارى النفقة عليه من طرف الحكومة ووقف الوادى أربعة آلاف وسبعمائة وثلاثة وخمسين
 تلميذا وثلثمائة خوجة وستة خوجات وهذا خلاف المدارس العسكرية وكان المخصص لديوان المدارس الملكية من
 المالية في كل سنة نحو ثمانية وأربعين ألفا وخمسة عشر جنينا وكانت المدارس تحصل على نحو عشرين ألف جنيه
 من ايراد الوادى خلاف سبعة آلاف جنيه من ديوان الاوقاف فيكون المجموع نحو خمسة وسبعين ألف جنيه وفي
 القاهرة وضواحيها سبع وثلاثون مدرسة للاقباط واليهود والارمن والافرنج بها من التلامذة ثلاثة آلاف وستمائة
 وثمانون تلميذا منها اثنا ألف ومائة وأربعة وسبعون وفيها من الخوجات مائتان واحد وعشرون وأعطى لاكثر
 هذه المدارس اعانات بعضها نقدية وبعضها أراض أحسن بها عليها الاصراف من ريعها ولم تغير الحوادث التى طرأت
 على القطار وغيرت محاسنه رغبة الناس في التعلم واكتساب اولادهم حسن التربية ومن ذلك وعدم امكان قبول كل
 الراغبين في المدارس الميرية على سننها القديم قد جعلت في قانونها الجديد التلامذة داخلية وخارجية وفرضت عليهم
 مبالغ في مقابل التعليم فوق طاقة الفقراء منهم وان قدر عليهم أهل الثروة فالرغبة في دخول المدارس الميرية قليلة
 لانقطاع الامل من الانتفاع بثمرات التعليم فعدم رجاء اجتناء الثرى بعد المرء عن غرس الشجر ❦ والموجود
 الآن بالقاهرة من الاضرحة مائتان وأربعة وتسعون ضريحاً بعضها داخل مزارات وله خدمة والبعض داخل بيوت
 وفي زوايا الحارات والعطف وهى اما قبور أمراء أو صالحين وقد ترجمنا بعض من وقفنا على ترجمته منهم ويوجد
 بالقاهرة أيضا غير هذه الاضرحة مائتان وخمس وعشرون زاوية والمقريرى لم يترجم سوى ست وعشرين زاوية
 وترجم اثنين وخمسين مسجدا منها بالقرافة الكبرى التى كان بها جامع الاوليا مؤذ كرنأ أن محله الآن الحوش
 المعروف بحوش أبى على ثلاثة وثلاثون مسجدا والباقي داخل البلد وترجم خمسة عشر مسجدا بالقرافة الصغرى
 التى بها قبر الامام الشافعى رضى الله عنه فيكون مجموع المساجد والزوايا ثلاثة وتسعين (أقول) ولا يبعد أنه مع
 تقلب الازمان اندثر اسم المساجد واستبدل باسم الزوايا أو صار من بعض الزوايا الموجودة الآن ومن ابتداء
 القرن التاسع الى وقتنا هذا كثير بناء الزوايا حتى بلغت العدد السابق ولا أدري ان كانت السبعة عشر باطا التى
 تكلم عليها المقريرى هى من ضمن ذلك أم لا منها خمسة بالقرافة والباقي في البلد وضواحيها وفي الازمان السابقة
 كانت الزوايا لاقامة بعض الصالحين للتعبء فيها ولم تكن تقام فيها الجمعة والا أن تغير الحال ومارت تقام الجمعة
 في أكثرها وأما الرباطات فكانت من المحلات الخيرية وبعضها كان لاقامة الصوفية وبعضها كان للنساء المنقطعات
 أو المهجورات أو المطلقات أو العجائز الارامل العابدات وكان لها الجرايات والمقامات المشهورة من مجالس الوعظ
 وقد انقطع ذلك من زمن مديد ❦ وبالقاهرة الآن ثمان عشرة تكية موزعة في أخطاطها وهى محلات تقيم فيها

الدرأويش وجميعهم أعاجم وفي القديم كان يطلق على هذه الدور اسم خانقاه وقال المقرئ في انما حدثت في الاسلام في حدود الاربع مائة من سني الهجرة وجعلت اتخلى الصوفية فيها العبادة لله تعالى ونقل عن الشيخ شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد السمروردي رحمه الله أن الصوفي من يضع الاشياء في مواضعها ويدير الاوقات والاحوال كلها بالعلم لم يقيم الخلق مقامهم و يقيم أمر الحق مقامه ويستمر ما ينبغي أن يسترو ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأتي بالامور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص اه أقول فن كانت هذه صفاته يستحق أن يقتدى بقوله وفعله ونحن جميعاً نود أن تكون هذه الصفات صفات للصوفية عصرنا المنغمسين في نعم خير بلادنا نسأل الله الهداية والتوفيق وهو الهادي الى الصواب واليه المرجع والمآب ﴿١﴾ وأول خانقاه بديار مصر حدثت في زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة تسع وخمسين وستمائة برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم ووقف عدة املاك يصرف من ريعها عليهم اورتب للصوفية كل يوم طعاما لخمسة وخمسة واربعة اشهر جامعا بجوارها ثم لما انقرضت دولة الايوبية هذا أخذوهم السلاطين الجراكسة وبعض الامراء فصار في مصر الى أول القرن التاسع اثنيتين وعشرين خانقاه ثم انزال ملك السلاطين الجراكسة حصل ما حصل لامدارس من الاهمال وعدم الصرف وضياع الاوقاف التي عليهم فاندرأ أغلبها وتخرب كثير منها وبقي الامر على ذلك الى أيامنا هذه فاستبدلت بالتكايا كما تقدم وتنويع اسم الخانقاه بالكلية وهي كلمة فارسية معناها بيت العبادة ﴿٢﴾ وفي بعض تلك الزوايا والجوامع أُنشِرت لبعض الصالحين ترجمانهم ما أمكن الوقوف على ترجمته في هذا الكتاب ول بعضهم في كل سنة في أشهر ربيع - خمسة موالد لبعضها يقيم الاسبوع وبعضها أكثر وبعضها أقل ولتمام الفائدة نورد ما هنا بأسماء أصحابها فنقول ان الموالد التي تعمل في السنة في مدينة القاهرة وضواحيها ثمانون مولدا موزعة على أشهر السنة هكذا * سبعة موالد في شهر شوال وهي مولد سيدى عبدالوهاب العفيفي ومعه مولد سيدى عبد الله المنوفي بقرافة الجوارين من ابتداء شوال لغاية ٣ منه ولكل منهم محضرة في كل ليلة جمعة مولد سيدى أبي سلايم الجباجي في بولاق بخط الواجهة من ابتداء شوال لغاية ١٦ منه مولد سيدى عمر البلقيني بحارة بين السيارج من ابتداء ١٤ شوال لغاية الشهر مولد سيدى غمرا الاشقر بخط الواجهة من بولاق من ابتداء ٢٤ شوال لغايته مولد الشيخ علي الجبل بالقبالة من ٢٠ شوال لغاية ٢٥ منه مولد الشيخ داود أبي سيف بوكالة المقشات من بولاق من ١٠ شوال لغاية ١٨ منه مولد سيدى نصر ببولاق من ٨ شوال لغاية ١٥ منه * وخمسة موالد في شهر القعدة وهي مولد سيدى علي البيومي بخط الحسينية من ١٤ القعدة لغاية ١٢ وله حضرة في كل يوم جمعة ومرة في ليلة الاربعاء مولد الشيخ محمد العراقي بخط الواجهة من بولاق من ابتداء ٢ الشهر لغاية ١٠ منه مولد الشيخ القاسي بطنطرة الدكة بالازبكية من ٢٢ الشهر لغاية ٢٧ منه مولد الشيخ محمد الاخرس بالسبتية من بولاق من ابتداء ٢٥ الشهر لغايته مولد الشيخ أبي الفضل بخط الواجهة من بولاق من ١٨ الشهر لغاية ٢٥ منه وعشرة موالد في شهر ربيع الاول وهي مولد النبي صلى الله عليه وسلم بجهة العباسية من غرة ربيع لغاية ١٢ منه مولد السيدة فاطمة النبوية بشارع زرع النوى بالدرب الاحمر من ابتداء ١٤ الشهر لغاية ٢٥ منه ولها حضرة في كل ليلة ثلاثاء مولد السلطان أبي العلاء الحسيني ببولاق بشارع السمكة الجديدة من ١٣ الشهر لغايته وله حضرة في ليلة السبت وايلة الاربعاء مولد سيدى سعد الله الحسيني بالدرب الاحمر من ٢٢ الشهر لغايته مولد سيدى عبدالعزيز الديري في جزيرة المنيل من ١٨ الشهر لغاية ٢٦ منه مولد الشيخ سلامة أبي سرحان بكوم الشيخ سلامة بخط الموسكى من ١٨ الشهر لغاية ٢٦ منه وله حضرة في ليلة السبت مولد الشيخ محمد أبي الدلائل بحارة المذبح من بولاق من ابتداء ٢٨ الشهر لغايته مولد الشيخ هلال بحارة زعتر بجوار السلطان أبي العلاء من ابتداء ٢٨ الشهر لغايته مولد الشيخ سلايم الغنام ببولاق من ابتداء ٤ الشهر لغاية ٩ منه مولد الشيخ درويش العشماوى بخط العشماوى من ابتداء الشهر لغاية ١١ منه * ومولد واحد في شهر ربيع الثاني وهو مولد سيدنا ومولانا الامام الحسين بن علي رضى الله عنهما سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتداء ١١ الشهر لغايته وله حضرة في ليلة الثلاثاء وأخرى في يوم السبت * واحد عشر مولدا في شهر جادى الاولى وهي مولد السيدة سكينه ومولد الشيخ ابراهيم النازر بخط الخليفة من ابتداء ٦ الشهر لغاية ١٣ منه وحضرتها ليلة

الخميس مولد السيدة رقية بنت الخليفة من ابتداء ١٨ الشهر لغاية وحضرته في كل ليلة سبت مولد سيدي
 محمد الأنور بخط الخليفة من ابتداء ٦ الشهر لغاية ١٣ منه مولد سيدي ابراهيم المناوي بخط الخليفة بدرب
 الحصر من ابتداء ٦ الشهر لغاية ١٣ منه وحضرته في كل ليلة أربعاء مولد سيدي ابراهيم المتبولي بجوار كبرى
 بوابة الحديد من ابتداء ٦ الشهر لغاية ١٣ منه وحضرته في يوم الثلاثاء مع ليلة الاربعاء مولد سيدي علي
 الخواص بخط الحسينية من ابتداء ٦ الشهر لغاية ١٦ وحضرته في كل ليلة سبت مولد الشيخ يونس السعدي
 بباب النصر من ابتداء ١٤ الشهر لغاية ٢٢ منه وحضرته في كل ليلة جمعة مولد سيدي علي الكعكي بشارع وكالة
 الفسيخ من بولاق من ابتداء الشهر لغاية ٢٢ منه مولد سيدي علي زين العابدين خارج بوابة السيدة زينب من
 ١٧ الشهر لغاية ٢٣ منه وحضرته يوم السبت مع ليلة الاحد مولد سيدي حسن الأنور بضم الخليج من ابتداء
 ٢٥ الشهر لغاية مولد سيدي محمد شمس الدين الرملي بميدان القطن من ابتداء ٢٨ لغاية وحضرته في كل ليلة
 جمعة وسبعة موالد في جادى الثانية وهى مولد سيدي علي الرفاعي بجهة العباسية من ابتداء ٥ الشهر لغاية ١٣
 منه وحضرته في كل ليلة جمعة مولد سيدي اسمعيل الانبائي بقرية ابابيه من ابتداء ٨ الشهر لغاية ١٦ منه
 وحضرته في كل ليلة سبت مولد سيدي محمد الطيبي بقم الخليج من ١٢ الشهر لغاية ٢٠ منه مولد السيدة نفيسة
 رضى الله عنها بخط الخليفة ببوابة الخلا من ٥ الشهر لغاية ٢٦ منه وحضرته في يوم الاحد مع ليلة الاثنين مولد
 الشيخ المنظر بشارع الخلية من ١٣ الشهر لغاية ٢٦ منه مولد السيدة زينب رضى الله عنها من ٢٥ الشهر
 لغاية ١٧ رجب ولها حضرتان الاولى في يوم الاحد والثانية ليلة الاربعاء مولد الاجدين بخط الشبراوي من
 بولاق من ٢ الشهر لغاية ٨ منه وعشرة موالد في رجب وهى مولد الشيخ الدشوطي بخط العدوى من ٢٠
 الشهر لغاية ٢٧ منه وحضرته في كل يوم جمعة مولد سيدي عبد الوهاب الشعراوي بشارع الشعراوي من ١٧
 الشهر لغاية وحضرته في كل يوم سبت مولد سيدي عيسى العدوى بخط العدوى من ٢٧ الشهر لغاية ٢ شعبان
 مولد الشيخ عبد الله بالاسماء ليلة بشارع الشيخ زبحان من ابتداء ٦ الشهر لغاية ١٣ منه مولد أولاد عنان
 ببوابة الحديد من ٢ الشهر لغاية ١٠ منه وحضرته في كل يوم سبت مولد القلى ببوابة الحديد من ٧ الشهر
 لغاية ١٥ منه مولد الشيخ سعيد بن مالك بالسبتية من بولاق من ٣ الشهر لغاية ١٠ منه مولد سيدي محمد
 شمس الدين الواسطي بسوق العصر من بولاق من ١٨ الشهر لغاية ٢٣ منه مولد سيدي علي المحجوب بدرب
 محجوب بخط الجلادين من بولاق من ٢٠ الشهر لغاية ٢٣ منه مولد سيدي محمد العلمي والشيخ سام ببولاق بقرب
 السلطان أبي العلاء من غرة الشهر لغاية ٨ منه وعشرون مولد في شهر شعبان وشي مولد الامام
 الشافعي رضى الله عنه بالقرافة الصغرى يوم الثلاثاء من غرة الشهر أو قبله لغاية ٩ منه أو قبله وحضرته في كل يوم
 جمعة مع ليلة السبت مولد الامام الليث بن سعد رضى الله عنه بالقرافة الصغرى من ١٠ الشهر لغاية ١٥ منه
 وحضرته في كل ليلة سبت مولد السيدة عائشة النبوية ببوابة حجاج من غرة الشهر لغاية ٨ منه وحضرته في كل
 ليلة أربعاء مع الشيخ محمد السمان بالقرافة الصغرى من ٢ الشهر لغاية ١٠ منه مولد الشيخ اسمعيل ضيف بالقرافة
 الصغرى من ٢ الشهر لغاية ١٠ منه مولد الشيخ علي القادري بالقرافة الصغرى من ٢ الشهر لغاية ١٠ منه
 مولد الشيخ أحمد الدنف بالقرافة الصغرى من ٣ الشهر لغاية ١٠ منه مولد السادات البكرية بالقرافة الصغرى
 من ١٠ الشهر لغاية ١٥ منه مولد سيدي عقبه بالقرافة الصغرى من ١٠ الشهر لغاية ١٨ منه مولد
 السادات الوفائية بزواية الوفائية بسفح الجبل من القرافة الصغرى من ١٨ الشهر لغاية ٢٣ منه مولد سيدي
 عمر بن الفارض بسفح الجبل من القرافة الصغرى من ٢٠ الشهر لغاية ٢٣ منه مولد سيدي محمد الحيوشي بالجبل
 من ٢٠ الشهر لغاية ٢٣ منه مولد سيدي يحيى بن عقب بالكعكيين من ٨ الشهر لغاية ١٥ منه وحضرته في
 كل ليلة خميس مولد سيدي محمد الجري باب البحر من ٨ الشهر لغاية ١٥ منه وحضرته في كل ليلة خميس مولد
 سيدي أبي عبد الرحيم الدمرداش بالعباسية من ٨ الشهر لغاية ١٥ منه وحضرته كل ليلة جمعة مولد سيدي
 محمد الصوابي بالحسينية من ١٤ الشهر لغاية ٢٢ منه وحضرته في كل يوم جمعة وتحضرها النساء المرضى مولد

الشيخ على البنهاوي بدرب محجور من خط الحسينية من ابتداء ١٦ الشهر لغاية ٢٢ منه مولد الشيخ معاذ بالدراسة بخط الازهر من ١٢ لغاية ٢٠ منه مولد الشيخ الخضير بمحدرة الحناء من شارع الصليبية من ٥ الشهر لغاية ٢٠ وحضرته في كل ليلة اثنين مولد الاستاذ العدوي بباب الشعرية من ٢١ الشهر لغاية ٢٥ منه وحضرته في كل ليلة سبت مولد الشيخ عبد الله الزهار بقنطرة الليون بالا زبكية من ٧ الشهر لغاية ٩ منه مولد الشيخ خليل الكردي بخط الجلادين من بولاق من ١٨ الشهر لغاية ٢١ منه مولد الشيخ علي الفصيح بالطابة من بولاق من ٣ الشهر لغاية ١٠ منه مولد الشيخ الغري بطولون من ٢٢ الشهر لغايته مولد الشيخ عبد الكريم بالجالبية من ١٩ الشهر لغايته مولد السلطان الحنفي والشيخ صالح أبي حديد بخط الحنفي من غرة الشهر لغاية ٢٧ منه وحضره السلطان الحنفي في كل يوم سبت وليلة تجيس مولد الشيخ محمد العتريس بجوار السيدة زينب من ٢٧ الشهر لغايته ثم ان بعض هذه الموالد يلزم زمنه وشهره العربي الذي يعمل فيه ولا يتحول عنه شتاء ولا صيفا فتارة تراه في الصيف وتارة في الشتاء على حسب دوران الزمان كمولد النبي صلى الله عليه وسلم وسيدنا الحسين والامام الشافعي والسيدة زينب والسيدات الطاهرات أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين وبعضها يتحول من شهر إلى شهر وهو الملازم للشهر القبطية كمولد سيدي علي البيومي وغيره من الاولياء رضي الله عنهم جميعا (أقول) وفي زمن الموالد المذكورة تكثر حركة الناس خصوصا أهل الخط الذي به المولد وتزوج البضائع سيما الحلوى والحصى والفول والترمس والنسحق وأصناف المأكولات وينتفع بعض الفقراء وطوائف الشعوذة كالخواوة وخيال الظل والمراجمية ونحو ذلك وتنال خدمة الاضرحة في تلك الايام من النذور والصدقات أضعاف ما تنال في غيرها ويكثر ذلك ويقل تبعا لانتساع شهرة المولد وكثرة الواردين وقلته من الزوار من أهالي المدينة وضواحيها والعادة في تلك الايام أن أكثر السكان المجاورين لمحل المولد يعملون وقفات وخفقات وأذكارا ولا يذهبون في دعواتهم وأصحابهم وأحبابهم وفي الموالد الكبيرة مثل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد سيدنا الحسين والسيدات والامام الشافعي تكثر الحركة في جميع البلد وتنسع دائرة كتناسب الخدمة وغيرهم مما ذكرناه من الباعة ونحوهم وتكثر الولائم والوقفات أمام البيوت والدكاكين ولربما عم ذلك بعض الشوارع الكبيرة حتى يتخيل الناظر أن المدينة مبنية من ينشأ عن ذلك التفريخ العام والسرور التام والاعجام القاطنون بالقاهرة ينضلون السكك بقرب المشهد الحسيني عن غيرها ويتظاهرون في موالد مبالغة الفاخرة والولائم العظيمة ويحزنون عليه حزنهم المشهور وهو من ابتداء المحرم من كل سنة يجتمعون في منزل يتخذونه لذلك ويسكنون من الداخل بالكشامير والاقمشة المفخرة ويفرشون بالبطش والسجاد الجيد ويوقدون وقفات فائقة ويدعون من أرادوا من أصحابهم وأحبابهم وبعد الكل يقوم منهم خطيب يصعد فوق منبر صغير ويخطب خطبة بالفارسية تتضمن رثاء أهل البيت ويطرح فيها بالنوح والتعديد واطهارا لحزن والاسف والكتابة ويبكي ويبكي الحاضرين وبعد فراغهم يشربون الشاي وينصرفون وهكذا يفعل في الليلة الثانية والثالثة إلى ليلة عاشوراء فيتمسعون في الوليمة ويكثر من دعوة الامراء والاعيان ثم بعد الساعة الثانية من الليل يتهيئون في صورة موكب يحضره كبيرهم وصغيرهم ويصطفون صفوفًا بأيديهم السبوف وبين صفوفهم شاب على حصان ملبسه كلبسهم البياض فتنتظم واما مشوا نحو المشهد الحسيني وهم يصيحون ويقولون - حسين - ويناديون بحزن ويضربون جباههم وصدورهم بما في أيديهم من السلاح والدم يسيل على ملابسهم ومتى كانوا عند المشهد وقفوا برهة ثم يعودون إلى المنزل من طريق أخرى على الصورة التي ذكرناها وعند الشيعة في بلاد افرس يعتنى ليلة عاشوراء ويعمل فيها مثل ذلك بل أكثر والمقرين تكلم بالاطناب على ما كان يعمل في يوم عاشوراء قبل وجود المشهد الحسيني بالقاهرة فما قاله ان خلقا كثيرا من الشيعة وأشياءهم كانوا انصرفوا إلى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام وكسروا أواني السقائين في الاسواق وشققوا الرواياوسبوا من يتفق في هذا اليوم وتغلق الناس الدكاكين وأبواب الدور وتتعطل الاسواق وقال ان مصر كانت لا تخلو منهم في أيام الاخشيديين والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة وكان السودان وكافورية تعصبون على الشيعة وفي كل سنة في هذا اليوم تتعطل

الاسواق وتخرج المنشدون الى جامع القاهرة وينزلون مجتمعين بالنوح والنشيد وكانوا يلقون على الحوائط لاخذ
شيء من أربابها حتى ان قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان جمع المنشدين وأمرهم أن لا يتكسبوا بالنوح والنشيد
ومن أراد ذلك فعليه بالعصاة ثم لما استجد المنشد الحسين بالقاهرة زاد الاعتناء بيوم عاشوراء وقد وصف المقرري
السماط المختص بيوم عاشوراء في أيام الفضل فقال وفي أيام الفضل ابن أمير الجيوش عبي السماط المختص بعاشوراء
وهو سفرة كبيرة من ادم والسماط بعلمها وجميع الزبادي اجبان وسلاط ومخللات وجميع الخبز من شعير وخرج
الافضل وجلس على بساط من صوف من غير مشورة واستفتح المقرؤون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السماط
اليهم وقد عمل في الصحن الاول الذي بين يدي الفضل الى آخر السماط عدس اسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السماط
ثم رفع وقدمت صحون جميعها غسل فحل ثم قال في جلوس الخليفة الامر بأحكام الله انه يجلس على كرسي جريد بغير
مخدة ملثما هو وجميع حاشيته فبسم عليه الوزير والامراء والقاضي والداعي والاشراف وهم بغير مناديل ملتون
حفاة وعبي السماط وجميع ما عليه خبز الشعير وقد اطنب المقرري في ذلك فليراجع البيوت التي يتعبد فيها فرق
النصارى واليهود يطلق عليها في زمانها هذا اسم كنيسة فيقال كنيسة النصارى وكنيسة اليهود وكنيسة الارمن ونحو
ذلك وأطلق أهل العلم والمفسرون اسم الصوامع على بيوت عبادة الصابئين والبيع للنصارى والصلوات كنائس اليهود
والمساجد للمسلمين والكنيسة كلمة عبرانية معناها بالعربية الموضع الذي يجتمع فيه للصلاة قال الزجاج والصلوات هي
بالعبرانية صلواتنا والموجود الآن بالقاهرة وضواحيها ثلاثون كنيسة منها لليهود احدى عشرة كنيسة واحدة منها
بذي الشمع وهي أقدمها وعشرة بحارة اليهود بالقاهرة وجميعها حداث والسنة عشرة فرق النصارى من أقباط وأروام
وشوام وأرسن وافرنج وقد تكلمنا على جميع ذلك في حارات القاهرة من هذا الكتاب والمقرري أطال القول فيما
يتعلق باليهود وتاريخهم وكنائسهم وأعيادهم وفرقهم الاربع وهم الربانيون قيل لهم ذلك لانهم يعتبرون أمر البيت
الذي بنى ثانيا بعد عودهم من الجلاية والقراء هو بذلك لانهم بنو مقرا ومعنى مقرا الدعوة وهم لا يعولون على البيت
الثاني جملة ودعوتهم انما هي لما كان عليه العمل مدة البيت الاول والعانية ينسبون الى عانان رأس الجالوت من
أكبر أخبار اليهود والسامرة يقال انهم من بنى سامرك وهو شعب من شعوب الفرس ويقال لهم السامرة وكانوا
بمدينة شمرن أو شمرن بالسین المهملة وهي مدينة نابلس وذكر لهم خمسة أعياد عيد الفطير وهو الخامس عشر
من نيس يقيمون سبعة أيام لا يأكلون سوى الفطير وهي الايام التي تخلصوا فيها من فرعون وأغرقه الله وعيد الاسابيع
بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع وهو اليوم الذي كام الله تعالى فيه بنى اسرائيل من طور سيناء وعيد رأس الشهر وهو
أول تشرى وهو اليوم الذي فدى فيه اسحق عليه السلام من الذبح وعيد صوماريا يعني الصوم العظيم وعيد المظلة
يستظلون سبعة أيام بتضبان الآس والخلاف وتسكك المقرري أيضا على معتقداتهم وصلواتهم وتزوجهم وغير ذلك
فليراجع من شاء وكذا تكلم على قبض مصر فقال ان النصارى فرق كثيرة وهي الملاكية والنسطورية واليعاقبية
والبوزعانية والمرقولية وهم الرهاويون الذين كانوا بنواحي حران وقال لما دخل المسلمون مصر كانت مشحونة
بالنصارى وكانوا قسمن متباينين في أجناسهم وعقائدهم احدثهم أهل الدولة وكلهم روم من جنس صاحب
القسطنطينية ملك الروم ورأيهم وديانهم الملكية وكانت عدتهم تزيد على ثلثمائة ألف رومي والقسم الثاني عامة أهل
مصر ويقال لهم القبط وأنسابهم مختلطة لا يكاد يتميز منهم القبطي من الحبشي من النوبي من الاسرائيلي الاصل من
غيرهم وكلهم يعاقبة فمنهم كتاب المملكة ومنهم التجار والباعة ومنهم الاساقفة والقسوس ونحوهم ومنهم أهل الفلاحة
والزرع ومنهم أهل الخدمة والمهنة وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العدوان ما يمنع من اكلهم ويوجب قتل بعضهم
بعضا فلما قدم عمرو بن العاص قاتله الروم وغلبهم وطالب منه القبط المصالحة فصالحهم على الجزية وأقرهم على ما
بأيديهم من الارض وغيرها وصاروا عوناً للمسلمين على الروم وكتب عمرو لابن مينا بطرق اليعاقبة أما في سنة عشرين
من الهجرة فسرهم ذلك وقدم على عمرو وجلس على كرسي البطركية بعد ما غاب عنها ثلاث عشرة سنة فغلبت اليعاقبة
على كنائس مصر ودياراتها وانفردوا بها دون الملكية وبقي الامر على ذلك الى سنة مائة وسبعة هجرية أقام ملك الروم
لاون اقسما بطرق الملكية في الاسكندرية فغضى به دية الى الخليفة هشام بن عبد الملك فكتب له برد كنائس الملكية

اليوم وكان الملكية أقاموا أسبوعين سنة بغير بطرق وفي أثناء ذلك طلب بلاد النوبة أساقفة فعيّنوا لهم من أساقفة اليعاقبة فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة وأطال المقريري القول في ذلك فقال ان النصراري سبع صلوات وصيامهم خمسون يوما الثاني ربيعون منه عيد الشعانين وهو اليوم الذي نزل فيه المسيح من الجبل ودخل بيت المقدس وبعده باربعة أيام عيد الفصح وهو اليوم الذي خرج فيه موسى وقومه من مصر وبعده بثلاثة أيام عيد القيامة وهو اليوم الذي خرج فيه المسيح من القبر بزمعهم وبعده بثمانية أيام عيد الجدي وهو اليوم الذي ظهر فيه المسيح لتلاميذه بعد خروجه من القبر وبعده بثمانية وثلاثين يوما عيد السلاقي وهو اليوم الذي صعد فيه المسيح الى السماء ولهم عيد الصليب وهو اليوم الذي وجدت فيه خشبة الصليب ولهم أيضا عيد الميلاد وعيد الذبح ودرجات رجال ديارهم أدناها شمس وفوقه قيس وفوقه أسقف وفوقه مطران وفوقه بطريرق وقد تكلم المقريري على ديارهم القديمة وكنائسهم ودياراتهم وما تقابلوا فيه من الحوادث قبل الاسلام وبعدهم من يريد الوقوف على ذلك فليراجع الخطط ومجلات السكر والتجارة بالقاهرة ومصر وضواحيها وبولاقي على حسب الوارد بدفاتر الدائرة البلدية سنة أربع وتسعين ومائتين وألف هلالية هي كالآتي أشخاص

٢٦٥٦٣	منازل مملوكة لاربابها	٢١٣٦١	وكانل موزعة في أخطاط البلد في ملك ٢٥٥	٢٩٣
١٢٣٩٠	دكاكين مملوكة لاربابها	٣٤٧٨	قيعان لنسج الحرير في ملك ٤٨	٨٣
٥٢٨	رباع مملوكة لاربابها	٣٣٠	قيعان أرضي ١٣٩	٣٢٩
٤٤١	مصايف نيلة وبلونات مملوكة	٢٨٩	عشيش ٣٨٧٨	٣٨٧٨
٩٥٥	حواصل مملوكة لاربابها	٥٠٧	زريبة بها تم حلالية في ملك ٨٤	١٠٠
٣٨٤	طواحين خيالي مملوكة لاربابها	٤٥٨	مغالق خشب ١٠٤	١٠٤
٦٦٣	حيطان سكن شغالة مملوكة لاربابها	٥١٧	لوكانات لاقامة الفرنج المسافرين ١٦	١٦
١٥٩	أفران خبز في ملك أربابها	١٥٥	وابورات طحين في ملك ٤٣	٤٤

وغيره هذه المباني يوجد دميان أخرى واردة دفتر الجرد لم تذكرها خوف الإطالة وهي معامل فول وتجاشيب حطب ومقالى حص وجارات وورش عربات ومسالك زهر ومناحات جمال ومدقات بن ومدقات قماش وحوانيت أموات واصطبلات خيول ومجموع المربوط عليه العوائد من منازل ودكاكين وغير ذلك هو ٥٠٤٥٣ ومبلغ العوائد المتحصلة في سنة ألف ومائتين وتسع وثمانين هو ١٨٩٩٠٦٣ غرش وهو قريب من تسعة عشر ألف جنيه مصري والمتحصل من كل عن هو كالآتي

١٥	٦٧٢٩٢٧	تمن الازبكية	٣	٠٩٠٣٣٩	تمن الدرب الآخر
٢١	٣٥٢٦٩١	تمن باب الشعرية	٦	٠٧٠٥٣٦	تمن الخليفة
١٧	٢٥٥٣٩٩	تمن الجمالية	٧	٠٦٤٤٣٠	تمن قوصون
٣٢	١٠٦٠٢٧	تمن عابدين	٥	١٨٨٤٦٤	تمن بولاقي ٣
٢٤	١٠٠٢٤٧	تمن درب الجمالين			

فلوفرض ان تمن الازبكية وهو أعظم الاثمان اراد اربعة وعشرون قيراطا ونسبت اليه الاثمان الاخر بحسب ارادها فيكون

٢٤	قيراطا تمن الازبكية	٤	قيراطا وربع قيراطا تمن درب الجمالين
٢٣	قيراطا تمن باب الشعرية	٣	قيراطا وثلث قيراطا تمن الدرب الآخر
٩	قيراطا تمن الجمالية		قيراطا ونصف تمن الخليفة
٧	قيراطا تمن بولاقي		قيراطا وثلث تمن قوصون
٤	قيراطا وثلث قيراطا تمن عابدين		قيراطا ونصف تمن مصر القديمة

ولوزنتب الاثمان بالنسبة المدة المباني والمخلات الموجودة به المكان الاخر هكذا

عدد	عدد
٨٣٧٨ ثمن الازبكية	٤٥٧٢ ثمن مصر العتيقة
٧٧٧٣ ثمن بولاق	٣٩٥٧ ثمن عابدين
٦٦٥٥ ثمن الجمالية	٣٣٩٩ ثمن الدرب الاحمر
٥٨٩٠ ثمن باب الشعريه	٢٦٧٨ ثمن درب الحماميز
٥٠١٧ ثمن الخليفة	٢١٣٤ ثمن قوصون

وهالك جدول يشتمل على بيان القهاوى والنجارات والبوزود كاسين العطاره والعلافين
ومحلات القزازين والقماشين والزياتين في كل ثمن

بيان الاثمان	قهاوى	نجارات	بوز	عطارين	قزازين	زياتين	قاشين	علافين	اجالى
ثمن الازبكية	٢٥٢	٢٢٨	١٥	٩٥	٨٣	٩٥	١٧	٤٨	٨٣٣
ثمن بولاق	١٦٠	٥٠	١٦	٨٦	٢١	٨٠	٣٨	٣٤	٤٨٥
ثمن عابدين	١٠٢	٣٧	١	٦٤	٧	٤٥	١٤	٢٥	٢٩٥
ثمن السيدة زينب	٧١	٣١	٢	٥٨	٢٨	٤٢	١٦	٢٦	٢٧٤
ثمن الخليفة	٧٥	١٩	١	٤٥	١٨	٤٣	٢٣	٢٣	٢٥٧
ثمن مصر العتيقة	٥٤	١٩	١	٢٨	٥	٣٧	٢٩	١٣	١٨٦
ثمن باب الشعريه	٦٦	٥٦	٣	١١٢	١٣٨	٧٨	٢٤	٤٤	٥٢١
ثمن قوصون	٨٥	٢٢	٥	٣٨	١٠	٢٧	٧	١٦	٢١٠
ثمن الجمالية	١٤٢	١٣	٢	٧٦	٣٤	٧٢	١٨٨	٣٦	٥٦٣
ثمن الدرب الاحمر	٦٠	١١	٠	١٥٦	٨	٣٦	٣٦	٢٦	٣٣٣
الجملة	١٠٦٧	٤٨٦	٤٦	٧٥٨	٣٥٢	٥٥٥	٣٩٢	٣٠١	٣٩٥٧

ويظهر مما كتبته الفرنسارية في خططهم ان عدد الحمامات التي تكلموا عليها وكانت موجودة لوقتهم تزيد على
المائة والآلاف لم يكن بالقاهرة سوى خمسة وخمسين حماما فيكون ما نقص منها نحو ستة وأربعين حماما وبالنسبة لما
بالقاهرة المدينة من الاتساع وازيادة السكان فهو قليل جدا والصحة العمومية تطلب زيادتها فانا لو حسبنا عدد الحمامات
الى جملة السكان لسكان كل حمام يخص اثنين وستمائة نفس في مبدأ القرن الثاني عشر وفي وقتنا هذا ما يخص كل حمام
سبعة آلاف نفس من تعداد البلد وهذا كثير جدا عما كان في مبدأ هذا القرن واذا اعتبرت النسبة التي كانت حين
ذلك بين عدد الحمامات والاهالى يكون الاثر من نحو مائة وخمسين حماما وقد ذكر المسيحي في تاريخه ان العزيز بالله
نزار المملايين الله هو أول من بنى الحمامات بالقاهرة وقال الشريف أسعد تقي القاضى القضاى انه كان في مصر
يعنى القسطنطينية ألف ومائة وسبعون حماما (أقول) ولا يخفى ذلك من المبالغة وذكر ابن عبد الظاهر ان عدد الحمامات
الى آخر سنة خمسين وسبعين وستمائة يقرب من ثمانين حماما وفي كتاب قطف الازهار ان عدد الحمامات كان في سنة أربع
وثلاثين ومائة وألف من الهجرة دون ذلك والحمامات التي تكلم عليها المقرئ من خمسة وأربعين حماما منها اثنا
عشر حدثت في زمن الفاطميين وستة انشئت في زمن الايوبيين وفي زمن السلاطين الجراكسة اثني اثنان وعشرون
حماما فيكون مجموع ذلك أربعين حماما وينتج انه من ابتداء القرن التاسع الى مبدأ القرن الثاني عشر استجد بمصر نحو
ستين حماما وأغلب هذه الحمامات موقوف وباهتمامها تخربت وتصرف فيها الملاحة واستعوضت ببيان آخر حتى آلت الى

العدد الذي قدمنا ذكره ❦ ويوجد الآن بالقاهرة لمعالجة المرضى خمس استشفيات اثنتان للأوروبايين إحداهما بالعباسية وتعرف بالاستباليا الأوروباية والأخرى بالاسماعيلية وتعرف بالاستباليا البرنسائية واثنتان للحكومة المصرية الأولى استبالية قصر العيني الملحقة بمدرسة الطب أحدثها العزيز محمد علي وهي قسمان قسم للمرضى من الرجال وقسم للمرضى من النساء وبهما من الأسيرة نحو ألف ومائة وخمسين سريرا ومرتب بها الحكماء والأجراخانة والمأكل والمشرب والملبس وفي المدد السابقة كانت معالجة المرضى من فيض المراحم الخديوية والآن ترتب على المرضى ما عهد المثبت فقره منهم مبلغ يدفعه عن كل يوم أقامه بالاستباليا حتى يشفي والثانية استبالية المجاذيب بالعباسية وهي مستجدة حدثت من فيض مراحم الحضرة الخديوية التوفيقية وهي قسمان أيضا قسم للرجال وقسم للنساء وبهما من الأسيرة نحو ثلثمائة سريرو وبها الحكماء والأجراخانة والخدمة اللازمة وقبل ذلك كانت المجاذيب في جزء من ورشة الجوخ بيولاقي ولم يكن بهذا المحل الاستعداد اللازم وكان غير معتمى بامر المجاذيب فانشئت هذه الاستبالية في بعض السراية الحمراء التي انشأها الخديوي اسمعيل ثم أحرقت وعرفت باستبالية المجاذيب والخامسة استبالية اليهود وهي بحارة اليهود وكان يطلق في الأزمان السابقة على هذه المحلات الخيرية اسم المارستان وقد تكلم المقرري على ذلك في خططه فقال إن أول من بنى المارستان بمصر أحمد بن طولون سنة مائتين وأحدى وستين وجعله في القطائع وصرف عليه ستين ألف دينار وحبس عليه عدة دوريقوم ريعها بنفقة وعمل له حمامين واحد للرجال وآخر للنساء وشرط أنه إذا جى بالعليل ينزع ثيابه ونفقته وتحفظ عنه أمين المارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له ويغدى عليه ويراح بالادوية والاغذية والأطباء حتى يبرأ فإذا كل فروجا ورغيفا أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه وكان يركب بنفسه كل يوم جمعة ويتفقده خزائن المارستان وما فيها والأطباء وينظر إلى المرضى وسائر الأهل والمحبوسين من المجانين فلما كانت الدولة الاخشيديية بنى كافور الاخشيدي في مدينة مصر سنة ست وأربعين وثلثمائة مارستانا ولما استولى الفاطميون بنوا بالقاهرة مارستانا وفي سنة سبع وسبعين وخمسائة في زمن صلاح الدين يوسف ابن أيوب أمر بفتح مارستان المرضى والاضعفاء وأفردهم من أجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار واستخدم له أطباء وطبائعين وجراحين ومشارقا وعاملا وخداما وأمر بفتح المارستان القديم الذي كان به أورتب له من ديوان الاحباش عشرين دينارا واستخدم له طبائيا وعاملا ومشارفا وفي سنة ثمانين وستمائة في زمن السلاطين الجراكسة بنى المارستان المنصوري وأوقف عليه من الاملاك بديار مصر وغيرها ما يقارب ريعه في كل سنة ألف ألف درهم والدراهم في هذا التاريخ بخمسة عشر ألفا وثمانمائة وستين سنتيا وهذا القدر يعدل أربعة وعشرين ألف بنتوذهما وجعله وقفاً على كافة طبقات الناس ورتب فيه العاقير والأطباء وسائر ما يحتاج اليه من به مرض من الأمراض وجعل فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى وقرر لهم المأكل والملبس ونصب الأسيرة للمرضى وفرشها بجميع الفرش المحتاج اليها في المرض وأفراد كل طائفة من المرضى موضعاً جعل مواضع للمرضى بالحليات ونحوها وأفردها لمرمى وقاعة للجرحى وقاعة لمن به اسهال وأخرى للمبرودين وأفردها للنساء قسمها مخصوصا وجعل الماء يجري في جميع هذه الاماكن وأفردها مكانا لطبخ الاطعمة والادوية والاشربة وغير ذلك وفي سنة احدى وعشرين وثمانمائة عمل المؤيد شيخ مارستانا تحت القلعة محل مدرسة الاشرف شعبان ثم من ابتداء القرن التاسع اهل محل أمر المارستانات وفي زمن الفرنساوية تخرب المارستان المنصوري وتغيرت معالمه وكان الموجود به من المرضى نحو ستين مريضاً وكان قسمين قسم للرجال وقسم للنساء وكل قسم له حوش مخصوص وكانت المرضى تقيم في محلات من الدور الارضية من غير فروشات والمجانين في جهة مخصوصة الرجال في قسم منها والنساء في قسم آخر وكان عددهم عشرة وفي رقابهم الحديد وكانت النساء تكاد أن تكون عرايا وصدرأمر رئيس الجيوش الى رئيس الحكماء بأن يتوجه ويعرض عليه ما يلزم فتوجه ومعه الشيخ عبد الله الشرفاوي وبعد أن عاين المارستان قرر أنه يكفي لمائة مريض وكان الموجود فيه سبعة عشر مريضاً وأربعة عشر مجنوناً سبعة من النساء وسبعة من الرجال ولم يعطوا شيئا غير الماء كل وهو عبارة عن خبز وأرز وعدس وعدد محلات المجانين من الرجال ثمانية عشر خلوة ومثلها للنساء وفي خطط

الفرنساوية ان عبد الرحمن كخدا أنشأ استبالي النساء وكانت تحت الربع وكان به حين ذاك ستة وعشرون من
المرضى وكان يطلق عليها اسم قكية (أقول) والظاهر انها هي تسمية المشاية الموجودة الآن وفي خطط فرنساوية
أيضاً ان بعض المرضى كان بتسمية الجبانة وتسمية الانعام ويعلم مما سبق انه من ابتداء القرن التاسع لم يكن بأمر
المرضى مع ان السلاطين من آل عثمان اعتنوا به هذا الأمر اعتناء كبيراً فقد وجد في دفاتر الروزنامة ان مقدار
الحبوب المتحصلة من أوقاف المساجد والمارستانات والتكايا مائة وأربعة وخمسون ألفاً واربعمائة وتسعة
وثلاثون اردبا وغير ذلك خمسة مائة ارب وسبعة من وقف ابراهيم باشا على أثر النبي ومائتان وخمسة وعشرون اردبا
للعلماء الاربعة الموظفين بالافتاء في المذاهب وأربعة وستون ألفاً ارب لشريف الحرمين الشريفين هـ ذافضلاً عن
النقود التي كانت تحصل من ربيع الاوقاف وتحفظ تحت يد الروزنامي وكان مبالغها خمسة عشر ألفاً وخمسة مائة
وسبعة وتسعين فرنكا وترتبت معاشات متنوعة لأئمة المساجد والارامل واليتام وغيرهم من طرف سلاطين آل
عثمان واقتردى بهم من هذا خذوهم من أهل الخير من الامراء والذوات فبلغ مبلغ هذه المعاشات في وقت
الفرنساوية وحصرهم في دفاترهم مائتين وسبعة وتسعين ألفاً وتسعون ألفاً واربعمائة واربعة وسبعين فرنكا وترتب ائمة بعض
الروايا والاضرحة والموالد وتكفين الاموات وغير ذلك اربعمائة وتسعون ألفاً فرنك فكان مجموع ما ترتب من الخيرات
الماز ذكرها ثمانية وثلاثين ألفاً وثمانمائة وثلاثة وثمانين بنتو ذهباً منها نحو ألف بنتو مرتبات مدرسي الازهر وثمان
شموع تقاد في ليالي القراآت وثمان اربوز وعسل يفرق على الطلبة فلحصر في هذه المبالغ في أبواب صرفها كارتها أصحابها
لما حصل للمباني الخيرية وأهلها ما حصل ولكن لما تطاولت يد الاطماع من أصحاب الكلمة عليهم واستحوذوا عليها
لانفسهم تعطلت جهاتهم واندرأ أغلبها ولما أخذت العائلة العلوية الحميدية بزمام الاحكام حصل الاتفاقات للمباني
الخيرية والاهتمام بشأن رجال العلم حفظت المباني وتحسنت أحوالها وانتشرت المعارف وكثرت رجالها كما قدمنا
ذلك ومن شدة الاعتناء بأمر الصحة العمومية منعت قواني ومجالس للصحة وكثرت عدد الحكماء في مدن القطر وجهاته
ونعددت بيوت الادوية المعروفة بالاجزاخانات حتى بلغ عددها اربعمائة اربعين أجزاخانة موزعة في مدينة القاهرة
خلاف الاجزاخانات الميزية وهي موزعة هكذا

سنة بشارع كوت بيك ثمانية بشارع الموسكي ثلاثة بشارع عابدين خمسة بشارع البو ستة بالازبكية اثنتان
بشارع الشعيرة واحدة بالخرنفس ثلاثة بقرب سيدنا الحسين ثلاثة بشارع محمد علي واحدة بالدرب الاحمر ثلاثة
بشارع الصليبة ثلاثة بشارع السيدة زينب واحدة بشارع النصرية واحدة بشارع عبد العزيز اثنتان بشارع
بولاق اثنتان بشارع الفجالة (أقول) ولم تظهر الاجزاخانات على الصورة الحالية الا في زمن العائلة الحميدية وقبل ذلك
كانت العتاقير تباع في دكاكين العطارين بحالها الطبيعية فتشترى وتزوج على حسب ما توصف ويتعاطى منها
وذلك لا يخلو من الضرر بخلاف ما هو جار الآن فان العتاقير التي يأمر بها الحكيم للمريض تستحضر في بيوت
الادوية بمعرفة اناس درسوا علومها ووقفوا على حقائقها وتدريبوا على تحضيرها وأذنهم بحاس الصحة بمباشرة تحضيرها
في محلاته بعد ان امتحنهم في ذلك ويوجد الآن بمدينة القاهرة مائتان سبيل والسبيل عادة يتركب من ثلاث طبقات
الاولى تحت الارض وهي الصهريج وهو اما كبير أو صغير وتعمل عقوده على أعمدة ولكل صهريج خرزة من
الرخام أو الحجر مثل خرزة البئر والطبقة الثانية مع مستوى الارض أو فوقه بقليل وفيها المزملة لتفريق الماء بكيزان
من النحاس مربوطة بسلاسل وللمزملة شبيالة من النحاس والثالثة مكتب لتعليم الاطفال وكان المنشؤون يعتنون
ببنائهم وزيارتهم وخرقهم ويوقنون عليهم الاوقاف الدارة وقد تكلما على بعضها في كتابنا هـ ذاف في زمن فرنساوية
كان الموجود منها مائتين وخمسة وأربعين سبيلاً منها نحو ستين سبيلاً من أعظم المباني المتقنة الفخية وبالنسبة للباقي
منها الآن يكون عددها اندثر منها في ظرف تسعين سنة خمسة وأربعين سبيلاً بسبب الاهمال والترك وقبل احداث
تقسيم مياه القاهرة كان لملك المباني أهمية عظيمة خصوصاً في زمن تحاريق النيل والآن قلت هـ ذاف الاهمية ومع
ذلك فلم يزل أكثرها مستعملاً وقد رتب بوجه التقريب ما يمكن خزنه فيها من الماء فوجدته قريباً من ستمائة ألف قرية كل
خمسة عشر منها مكرم كعب والباقي من المكاتب التي فوق الاسبله المذكورة هـ ستة وسبعون مكتباً ويوجد بالقاهرة

أيضا حيضان لسقي الدواب وكانت في الأزمان السابقة يعتنى بها وكان أغلبها بقرب الأسبلة وهي عبارة عن حيضان من الحجر تعمل في الجفوة معودة مزينة بأعمدة وقياب اعتنى بزخرفتها وكانت مجفولة لسقي الدواب على اختلاف أجناسها وكان لها أوقاف يصرف عليها من ربه بالبقائها والآن لم يبق منها إلا النادر وهو غير مستعمل وعدد أهالي القاهرة على حسب التعداد الذي صار في ١٥ جمادى الثانية سنة ألف ومائتين وتسع وتسعين هجرية الموافق ٣ مايو سنة ألف وثمانمائة واثنين وثمانين ميلادية هو عدد ٣٧٤٨٣٨ منهم أهالي ٣٥٢٤١٦ وأغراب ٢٢٤٢٢ والآخرهم

٧٠٠٠ أروام

٥٠٠٠ فرنساوي

١٠٠٠ انجليز

١٨٠٠ نساوية

٤٥٠ المان

٤٠٠ أعجم

٣٣٦٧ تليانية

٢٣٠ أوروباوية من أجناس مختلفة

١٩٢٤٧

٣١٧٥ عرب ومغاربة وغير ذلك

٢٢٤٢٢

وفي التعداد الذي صار في المحرم سنة ألف ومائتين وتسع وثمانين هجرية الموافق ١١ مارث سنة ألف وثمانمائة واثنين وسبعين ميلادية كان عدد سكان القاهرة ٣٤٩٨٨٣ ومن هنا يظهر أن أهالي القاهرة زادت في ظرف عشر سنين من ابتداء ألف ومائتين وتسع وثمانين إلى ألف ومائتين وتسع وتسعين ٢٤٩٥٥ شخصا وبالتقريب خمس وعشرون ألف نفس فيخص السنة ألفان وخمسمائة نفس وفي خطط الفرنساوية كان تعداد أهالي القاهرة في سنة ألف ومائتين وثلاثة عشر هلالية مائتين وستين ألف نفس فتكون الزيادة التي حصلت في ظرف ست وثمانين سنة مائة وخمسة عشر ألف نفس فيخص السنة ألف وثلثمائة وسبع وثلاثون ويعلم من ذلك أن الرغبة في سكنى القاهرة كثرت في أيام خافاء العزيز محمد علي عما كانت في مدته خصوصا رغبة الأفرنج في سكناها بعد إنشاء السكك الحديدية وإتمام خابج البرزخ وظهور خطة الاسماعلية وتوزيع الغاز والماء فيها وفي زمن الفرنساوية كان مقدار من يموت في السنة من النفوس نصفه من الاطفال بسبب داء الجدري والرابع من الرجل والرابع من النساء وكان مجموع من يموت جرأ من ثلاثين جرأ من تعداد المدينة بمعنى أن مقدار من يموت في السنة الواحدة في مدتهم اثنا عشر ألف نفس فيخص اليوم الواحد نحو ثلاثة وثلاثين نفسا في المتوسط ومن الاحصاءات التي أخرجت من ابتداء سنة ألف ومائتين وتسع وستين إلى سنة ألف ومائتين وثمانية وسبعين هلالية وهي مدة عشر سنين علم أن عدد المولودين بالنسبة لعشرة آلاف نفس هو مائتان واثنان وتسعون وعددا المتوفين بالنسبة للعشرة آلاف أيضا هو مائتان واثنان وعشرون فيكون الباقي من المولودين بعد المتوفين سبعين نفسا وهي الزيادة التي زادت بها العشرة آلاف في ظرف عشر سنين وفي احصاءات العشر سنين التالية للعشر سنين السابقة بلغ تعداد المولودين بالنسبة لعشرة آلاف من الاهالي ثلثمائة وخمسة وأربعين ومقدار المتوفين منهم مائتان وخمسة وخمسون فيكون الباقي من المولودين في هذه المدة تسعين نفسا في كل عشرة آلاف من الاهالي ويكون متوسط الزيادتين مائتين نفسا وعليه فزيادة مصر القاهرة في كل عشر سنين تقرب من ثلاثة آلاف نفس وقدر من يموت من أهالي القاهرة في المتوسط في مدة السنة الشمسية ستة عشر ألفا وثلثمائة نفس من صغير وكبير نساء ورجالا بمعنى أن من يموت في السنة جرأ من اثنين وعشرين جرأ

من مجموع الاهالى وبمقارنة هذه النتيجة الى نتيجة ما قدره الفرنسيون في وقتهم يرى انها كبيرة جدا وأظن أن عملية الاحصاءات لم تكن صحيحة فان الشروط الصحية الآن أتم مما كانت في الازمان السالفة وأدوار الامراض الوبائية متباعدة جدا بخلافها في الازمان السابقة فان ادوارها كانت متقاربة وتأتى كل أربع سنين مرة وكانت تحصد كثيرا من الاهالى فيا لى الحكومة تشدد في ضبط عملية الاحصاءات للوقوف على الحقيقة ويجرى ما منه حفظ صحة الاطفال ليقل عدد من يموت منهم وبذلك يزيد عدد الاهالى الذى عليه مدار ثروة البلاد وسعادتهم ويستتبط من الاحصاءات التى جرت في ظرف عشرين سنة أن أكثر من يموت وأكثر من يولد يحصل في شهر الشبابة وهو نوفمبر وديسمبر ويناير ويعلم منها أيضا أن مقدار من يموت من القاهرة بالنسبة لسكانها أكثر من يموت في قرى الريف ويظهر أن ذلك ناشئ من عدم استيفاء شروط الصحة في المدينة والغالب ان العفونات الحاصلة من روائح المراحيض هى أكبر أسباب الامراض المستوجبة للموت ويستدل على ذلك بما قدره أحد الحكماء المشهورين المسمى فودور النمساوى بالنسبة لتأثير الكثرة والتيفوس فوجد أن هذين المرضين تأثرهما في المحلات القذرة العفنة يعدل تأثرهما خمس مرات في المحلات النظيفة النقية وفي بلاد الانجليز وغيرها وجد أن المدن من قبل أن تعمل لمراحيضها المجارى بحسب الشروط الصحية كان يموت في العشرة آلاف فيها تسعة أشخاص وبعد ان تمت واستعملت تناقص ذلك بالتدريج حتى بلغ ثلاثة أشخاص يعنى شخص من كل ثلاثة آلاف شخص بعدما كان شخصا في الالف وفي مدينة دنزليك من بلاد المانيا بعد أن تمت مجاريها نزل عدد الموتى الى خمسة عشر شخصا في كل مائة ألف بعدما كان تسعة وتسعين شخصا يعنى صار من يموت بالحياة التيفية وسبعة أشخاص واحد من كل سبعة آلاف تقريبا بعدما كان شخصا في الالف وفي مدينة برلين التى الى الآن لم تتم مجاريها وجد أن من يموت بالتيفوس هو شخص في كل ألف وثمانمائة وخمس وسبعين من البيوت التى تمت مجاريها وشخص في كل أربع مائة وثلاثين من البيوت التى لم تتم مجاريها وهذه النتائج تحكم بالاسراع بمقتضيه صحة أعمالى القاهرة من فتح شوارع وعمل ميادين واعطاء قانون يتبع اجراؤه في مجارى البيوت حتى يقل ضررها ان لم يزل بالكلية وودفن الموتى الآن في خمسة محلات خارج البلد وهى قرافة السيدة نفيسة وقرافة الامام الشافعى وبها مدفن القامليبا وقرافة باب الوزير وقرافة المجاورين وقرافة باب النصر وامتنع الدفن داخل البلد وبطلت عدة مقابر وبني في أرضها أماكن وأكثر ذلك حصل في مدة الحديوى اسمعيل والمقابر التى بطلت هى مقبرة القاصد ومقبرة الازبكية ومقبرة الرومى ومقبرة السيدة زينب ومقبرة زين العابدين ومقبرة السبتية بيولا ق ومن طرف الصحبة تحددت مناطق الدفن وامتنع الدفن بالقرب من المساكن على الاطلاق وفي زمن الفرنسيين كان الموجود بالقاهرة من الافرنج نحو أربع مائة شخص وأكثرهم كان داخلهم وأما الاروام والشوام والمارونية والارمن فكان عددهم بها كثيرا وكان يبلغ مجموعهم ثمانين وعشرين ألف نفس وعدد طوائف المحروسة مائة وثمانية وتسعون طائفة أصحاب حرف وصنائع متنوعة وعدد الشغالة بتلك الحرف والصنائع ثلاثة وستون ألفا وأربع مائة وسبعة وثمانون شخصا وعدد أشخاص كل طائفة من المهم من تلك الطوائف كالآتى

عدد	عدد
١٠٥٣ جزارين ونوابهم	١٧٣٩ حجارة
١٥٧٩ زياتين وخضرية نواشف	٠٨٣٦ مزينين
١٠٢٥ فكهاينة	٠٤٩١ منجدين
٠٢٢٩ فطاطرية	١٢٣١ خياطين أولاد عرب
٠١٥٠ دقاين بن وعطريات	٠٤٤٤ عقادين
٠٥٨٥ قزازين	٠٠٣٤ خياطين أروام
٠٦٩٤ طبياخين وسفرجية	٠١٧٢ بلغاتية واسكافية

عدد	عدد
٠٣٢٦	جبارة
٠٢٣٠	فحاتين حجر
٠٥٨٩	بنائين
٠٥٩٤	قراتية
٠٧٩٢	مرخين شوام
٠٥٨٩	أروام
٠٢٤٧	اقتباط وود
٠٤٤٥	شكشية
٠٠٠٧	مسلكانية
٠٠٣٦	غرابلية
٠٠٠٦	نجارين طواحين
٠٠٧٢	نجارين سواق
٠٠٥٣	نشارين
٠١٣٥	قصاصين
٠٠١٧	سبوفية
٠١٧٤	صرماتية
٠٠٩٨	حصرية
٠١٤٠	مدابغية
٠١٢٧	نجارين مراكب
٠٠٢٧	حرايرية
٠٠٢٥	نقاشين
٠٠٨٦	سروجية
٠٠٧٨	جرجمية
٠٢٦٨	قلاطية
٠٠٣٩	ترشكية
٠١٥١	خبازين
٠٠١٥	صباغين
٠٠٨٦	آلاتية
٠٠٩٨	نجارين دق
٠٠٣٨	جوهرجية أرمن
٠٠٢٢	جوهرجية مسلين
مبلطين	
مرخين	
طعانين	
ترابة وقنواتية	
حدادين وبرادين	
مبيضين حيطان	
مبيضين نحاس	
امانة وقشاة	
شغالين منشآت	
رفائيل شيلان وتاراتية	
شغالين نسا	
خميرة	
ساماتية	
شغالين أسلمية	
خرازين صيني	
قناصة	
صنادقية	
مناخلية	
كتيبة ومجادين	
تلاحة شغالين سح	
سباكين رصاص	
طبايع وزمارين	
امشاطية	
سكيرية	
حكاكين اختام	
بيطرة وجناطة	
صدخية	
نجارين عربات	
خراطين	
برملجية	
غواصين آبار	

والبرابرة نحو ألف وخمسمائة شخص والخدمون نحو ألف وخمسمائة وباقي الطوائف عبارة عن تجار وصيارف وكتبة وباعة ودلايين ومداحين وغسالين ونحو ذلك وطائفة الفعلة تبلغ نحو ثلاثة آلاف شخص ولكل طائفة شيخ ومختار ونقباء وأسماءهم مقيمة في المحافظة والدائرة البلدية وطائفة المزينين تزيد على ذلك وقيد أسمائهم في مجلس الصحة وعددهم يزيد ويتقص بالنسبة لكبر تعداد الطائفة وصغره والمشايخ هم الذين يرجع اليهم في طلبات

الحكومة وتوزيع القرض وتقديرها وبصير تقويم الاشياء الجارية أخذ الدخولية عليها بعرفة لجنة من بعض المعتمدين منهم وفي الايام السابقة كان كل من أراد أن يصير معلما في صنعة لا يتمكن من ذلك الا بعد مهارته في ما وعمل شيء دقيق في صنعة يشهد له بأنه يستحق أن يكون معلما أو الاسطوية فحينئذ يشهد له معلمه وباقي المعلمين من صنعة ويخبرون شيخ الطائفة بذلك فيحضره ويختبره فان وجدته أهلا لان يكون معلما قلده اياها وذلك بعد دعوة حافلة بهم بها لهم بحسب اقتداره يدعو فيها شيخ الطائفة والرؤساء والنقباء والمخاترة وغيرهم من باقي الطوائف والآن بقيت هذه العادة في ثلاث طوائف وهي طائفة الصرمانية والمزنيين والحامية وتسمى عندهم بالشد والحزام وهو عبارة عن شدي يحزم به في وسطه ويعقده النقيب عدة عقد أقلها ثلاث وغايتها ست بالنسبة لعدد المعلمين الكبار الموجودين في المجلس مع شيخ الطائفة ولهم في ذلك اصطلاح فالعقدة الاولى تسمى الاسطوية والذي يحياها معلمه الذي رباه وعلمه الصنعة والثانية تسمى الرتبة يحياها شيخ الطائفة والثالثة يحياها أحد الاسطويات الموجودين بالمجلس وفي أثناء الحل والعقد يقرأ النقيب خطبا وقصائد ومجلس الصحة الآن لا يمكن احدا من فتح دكان من مزين الابعدا تحانه بحضور شيخ الطائفة فان أجاز رخص له باذن من طرفه مابين فيه الصنعة المأذون بهم من أنواع الجراحة الصغيرة ويدفع رسم عشرة قروش صاغ وليس للمشايخ والمخاترة وغيرهم مرتبات وتعيشهم من صناعتهم ولكل طائفة منهم اصطلاح فطائفة المعمار يستولى المعلم من صاحب العمارة معلوما يؤميا يعرف بالغدا ومن البنائين والذلة ما يقال له التبع وله الغدا أيضا على جميع من يورد أشياء للعمارة ومثل ذلك جار عند باقي الطوائف من نجارين ونحاتين ونقاشين وممر ختية وقرائية وسباكين وغيرهم وفي أغلب الطوائف يدفع للشيخ والمختار مائة من طرف من يروم فتح دكان مبالغ يعرف بالقانون يختلف بحسب الاقتدار ويزيد على ذلك عند المزنيين والحامية دفع مبلغ لشيخ الطائفة عند طاب صنعا ناعية من طرفه وكذلك من أراد من الناس ان يخدم طبيا أو فريشا أو خادما يدفع مبالغ يقال له الجمالة ويختلف بحسب ما عية المستخدم وذلك غير ما يؤخذ من المستخدم نفسه وكل ذلك على غير رابطة معلومة فيما يت الحكومة تعمل لذلك قانونا تحفظ به حقوق الخادم والمخدوم والدخولية حدثت في زمن الخديوي اسمعيل باشا وقلبت في صور وكان في ذلك الوقت جميع ما يدخل القاهرة يدفع عليه بمعطات دخولية الدائرة البلدية بمبلغ في كل مائة من قيمته والاصناف التي دخلت مدينة القاهرة في سنة ١٨٨٣ افرنجية الموافقة لسنة ١٣٠٠ هجرية بلغ عددها أربع مائة وأحد وثلاثين صنفا وهي كافة الحبوب والادهان والجزر والعسل بأنواعه والخضراوات والفواكه بأجناسها وأنواع أخرى مثل السكك والتميل والمشاق وافلاق النخل والجريد والدكاك والليف والبوص والخطب والغرايل والتبن والطيور والحمام والفراخ والاوز والعصافير والبيض والغنم والبقر والحماموس وباقي حيوانات الذبح بأنواعها وأجساد طواحين والسكر والقطن والجلود وأنواع النعم والنطرون والافيون والبرسيم والصمغ والزيتون والنخل والسمار والدريس والشعر والنبات واللبن وماء الورد والزهر والنعناع والعترو وغير ذلك وبلغ متحصل الدخولية في تلك السنة مائة وثمانية وستين ألفا وسبعة وأربعين جنيها وهنانا كبر بعض المهتم من تلك الاصناف فنقول من ذلك ما ورد من حب الذرة في مدة السنة على المدينة ثلاث عشرة ألفا وأربعمائة وخمسة أرادب ومن الشعير ثمانية وستون ألفا ومائة وستة وأربعون اردبا ومن القمح خمسة مائة وأربع وثلاثون الفا وثمانمائة واثنان وأربعون اردبا ومن الفول مائة ألف وثلاثة آلاف ومائتان واثنان وثلاثون اردبا ومن العدس ستة وعشرون ألفا ومائتان وستة وعشرون اردبا ومن القريبك ألف وتسعة أرادب ومن الترمس ألف أرادب ومائة وأحد وثمانون اردبا ومن الحص أربعة آلاف وأربعمائة ووحيد وثمانون اردبا ومن الدقيق ستة آلاف ومائة أرادب ومن السمين والزبد وارد مصر والبلاد الاجنبية أربع ملايين وثلثمائة وأربعمائة عشر ألفا ومائتان وثمانون رطلا ومن أنواع الجبن مليونان وسبعمائة وثلاثون ألفا وثلثمائة وسبعة عشر رطلا ومن أنواع العسل أربع ملايين ومائتان وأحد وأربعون ألفا وخمسمائة وثلاثة وتسعون رطلا ومن الارز اثنان عشر ألفا وتسعمائة واثنان وسبعمائة وثمانون اردبا ومن الخضراوات أربعة وستون نوعا مثل الباذنجان باجناسه واليامية والموخيا والبطاطس والبسلة والبختر والجزر والخيض والرجلة والخس البلادي والرومي تسعة عشر مليوناً ومائتان وأحد وأربعون ألفا وخمسمائة وستة وتسعون رطلا

ومن الثوم البلدي مائة واثناعشر ألفا وأربعمائة وتسعة وأربعون أقة ومن البصل الاحمر الناشف سبعة ملايين
وما تئان وخمسون ألفا وسبعمائة وأربعة وخمسون رطلا ومن الخرشوف تسعمائة وثلاثة وتسعون ألفا وسبع
وثلاثون خرشوفة ومن الكشك للبحري والصعيدى مائة وخمسة وسبعون ألفا وثمانمائة وسبعة وتسعون رطلا
ومن الليمون المالح والاضالية ثمانية عشر مليونا وستمائة وسبعون ألفا وسبعمائة وخمسة وثمانون ليمونة ومن
البرتقان ستة عشر مليونا وثلثمائة وثلاثة وثلاثون ألفا وتسعمائة واثناعشرة برتقانة ومن يوسف افندى
اثناعشر مليونا ومائتان وثمانية وسبعون ألفا وثلثمائة وأربع وسبعون واحدة ومن الليمون الحلو والكمباد
والنفاس ونحو ذلك خمسة مائة وثلاثة وثلاثون ألفا ومائتان وست وثلاثون واحدة ومن القصب مائتان واثنان
وعشرون ألفا ومائتان وخمسة وثمانون لبشة ومن القواكه غنابا نواعه وخوخ ومشمش وقشطة وشليك
وسفرجل وموز ومنجه وتين وغير ذلك ستة ملايين وثمانمائة وثمانون رطلا ومن الشام والمهناوى والسنطاوى
والقاوون والمجور والفقوس والثناء والخيار احدى وعشرون مليونا وتسعمائة واحد وسبعون ألفا وخمسمائة
وسبعة وستون رطلا ومن البطيخ بجميع اجناسه خمسة وعشرون مليونا وسبعمائة وستة وخمسون ألفا وثلثمائة
وتسعة وتسعون رطلا ومن البلح بجميع اجناسه سبعة ملايين وثمانمائة وتسعة وستون ألفا وتسعمائة وسبعون
رطلا ومن البلح المخلل والكيكيس مليونان وأربعمائة وثلاثة وأربعون ألفا واثنان وتسعون رطلا
ومن العجوة السلطاني والسيوى والشرقاوى والمقشور وغير المقشور والبيضاء مليون وخمسمائة وأربعة
وأربعون رطلا ومن حطب الذرة والقطن والبوص والاثل والابج والتوت والجيز وغير ذلك أربعة ملايين
ومائة وتسعة وستون ألفا ومائة وأربعون جملا ومن الكتان العود احدى وعشرون ألفا وسبعمائة وثمانية
عشر رطلا ومن الكتان الغير مشغول اربعمائة وتسعة وسبعون ألفا وثمانمائة وتسعة وثلاثون رطلا ومن
المشاق مائة وأربعون ألف رطل ومن الحمام مائة وستة عشر ألفا وثمانمائة وأربعة وسبعون جوزا ومن
السمان عشرة آلاف وستمائة وأربعة وخمسون جوزا ومن الفراخ الرومى تسعة وأربعون ألفا وتسعمائة واثنان
وخمسون جوزا ومن الفراخ البلدى ثمانمائة وتسع وخمسون ألفا وأربعمائة واحد وسبعون جوزا ومن
الكتا كيت ستمائة واحد وخمسون ألفا وسبعمائة وسبعون جوزا ومن الاوز والبط ونحوه ثمانية وثلاثون ألفا
وما تئان وخمسة وخمسون واحدة ومن اجناس الطيور مثل العصافير والشرشير والحمام البرى والمام والفاط
والخضارى ثلاثة عشر ألفا ومائة وثمانية وعشرون جوزا ومن بيض الدجاج ثلاثة وثلاثون مليونا وسبعمائة
وخمسة وأربعون ألفا وخمسمائة وثلاثة وخمسون بيضة ومن الاغنام مائتان وسبعة عشر ألفا وتسعمائة وتسعة
وخمسون رأسا ومن البقر ألفان وأربعمائة وستة وعشرون رأسا ومن الحماموس ثلاثة آلاف وثلثمائة
وثلاثة رؤس ومن عجول الحماموس والبقر ثلاثة عشر ألفا وتسعة وثلاثون رأسا ومن الماعز البلدى والشاحى
ثلاثة آلاف وتسعمائة وسبعة وتسعون رأسا ومن الجمال ثلثمائة وأربعة وستون جملا ومن الخيول ثلثمائة
وأربعة وتسعون وبغلان ومن السكر بأنواعه مليونان وأربعمائة واحد وتسعون ألفا وخمسمائة وثمانية
وعشرون رطلا ومن القطن الشعير تسعة وأربعون ألفا وتسعمائة وتسعون رطلا ومن القطن الاسكارى مليون
ومائة وتسعة وخمسون ألف رطل ومن الفحم السيل والبلدى بجميع أنواعه مليونان وخمسمائة وتسعة وخمسون
ألفا ومائة وثمانون أقة ومن الترون البلدى ثمانية وثلاثون ألفا وتسعمائة واحد وعشرون رطلا ومن
الترون السودانى مائة وخمسة عشر ألفا وتسعمائة وأربعة وخمسون رطلا ومن البرسيم ثلثمائة ألف حمل ثلثها بالجل
والثلثان بالحمار ومن الانخاخ والابرش الحلفاء مائة وخمسة عشر ألفا ومن الدريس بالشبكة تسعة آلاف ومائتان
وأربعة عشر شبكة ومن السمار السريسي ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة وعشرون قنطارا ومن السمار
الصعيدى والحوانى والشرقاوى أربعة آلاف حمل بالجل ومن التمر هندى ألف وأربعمائة وأربع وأربعون
رطلا ومن الشمع الاسكندرانى ثمانية آلاف وستمائة وأربعون رطلا ومن الخمال بجميع اجناسه عشرة آلاف
وما تئان وأربع وستون أقة ومن الحناء البلدى مائة وثمانية وعشرون ألفا وثلثمائة وثلاثة وستون رطلا ومن

زهر النارج واحد وعشرون ألفاً وأربعمائة وثلاثون رطلاً ومن ماء الورد ألف وثمانية وثلاثون رطلاً
 ومن ماء الزهر ألفان وسبعمائة وتسعة وثمانون رطلاً ومن ماء النعناع ألف وتسعمائة رطل ومن ماء العتران فان
 وخمس مائة رطل **وجميع هذه الاصناف من محاصيل القطر وورودها الى القاهرة من الاقاليم القبلية والبحرية تارة**
 يكون من طريق البحر فتقف عند بولاق أو مصر العتيقة أو من طريق البر في السكة الحديدية وقبل أن تدخل المدينة
 يجري أخذ العوائد الدخولية عليها في مرا كز الدخولية المترتبة في دائرة البلد على رؤس الطرق وفي كل مركز مأمور
 و كاتب وبعض عسكري وقباني لوزن ما يلزم وزنه والمرا كز المذ كورة تابعة للدائرة البلدية وهي التي تتولى جميع ايراد
 تلك المرا كز وتوريده الى المسامية ومن وظائفها أيضاً التفتيش على المرا كز المذ كورة واجرا آتها وملاحظة أعمالها
 والحبوب الواردة للتجارة تستريحها التجار جلة وتضعها في أشوان ساحل النيل في ثلاثة مواضع الاول ساحل القمح
 الكبير بولاق بجوار كبرى فم التربة الاسماعيلية بشارع الساحل الموصل ا لشارع قصر النيل والثاني ساحل القمح
 الصغير بولاق شرق الانتكخانة المصرية والثالث ساحل القمح بمصر العتيقة على نهر النيل أمام جزيرة الروضة
 والمقاييس بالشارع العمومي الموصل الى أثر النبي وهذه الاحل لا يباع فيها الا بالار دب وفي داخل القاهرة
 وضواحيها عدة محلات تباع فيها الحبوب أيضاً وتجارها أقل من تجار السواحل فيشترون كميات قليلة ويبيعونها على
 الاهالى مجزأة من ربع الى ارب فأكثر وهذه المحلات تعرف برقع القمح والمشهور منها ست الاولى رقعة القمح
 ببولاق بالسبتية بجوار سيدى سعيد بالشارع الموصل لكبرى باب الحديد يباع فيها القمح والفول والشعير والذرة
 والعدس فقط الثانية رقعة القمح ببوابة حجاج بشارع السيدة عائشة النبوية من ثمن الخليفة يباع فيها كافة أنواع
 الحبوب الثالثة رقعة القمح بشارع باب الخرق الموصل الى عابدين يباع فيها كافة الحبوب الرابعة رقعة القمح
 بشارع الازهر يباع فيها القمح والفول والشعير الخامسة رقعة القمح ببركة الرطل من شارع الحسينية يباع فيها
 القمح والفول والشعير السادسة رقعة القمح بجهة العدو بشارع الزعفرانى بثن باب السمرية يباع فيها القمح
 والشعير والفول والذرة وتباع الحبوب أيضاً في بعض دكا كين من البلد غير تلك المحلات **والحيوانات المستعملة**
 في القاهرة للنقل والركوب هي الخيل والبغال والحمير والجمال والموجود منها على حسب تعداد سنة ألف وثمانمائة
 وسبع وثمانين ميلادية بمدينة القاهرة والجارى أخذ عوائدها عليه خلاف ما هو مملوكه للاوربا وبين ألفان وثمانية
 وثمانون حمرا مملوكه لاربابها وألفان وثمانمائة وثلاثة وخمسون حمرا ركوبة وايد كافا ومن الخيول مائة وعشرون
 حصانا ركوبة ومائة وسبعة وتسعون حصانا للشغل ومن الجمال خمسة وخمسون جبلا ومن البقر والجاموس
 ستمائة وثمانية وتسعون رأسا وبمدينة القاهرة أيضاً من أنواع العربات مائة وأربعة وسبعون عربية لجلب المياه
 وألف وستمائة وخمسة وسبعون عربية من العربات الكرلو والصندوق وأربعمائة عربية من عربات الركوب المملوكه
 لاصحابها وأربعمائة وستة وثمانون عربية من عربات الركوب المعدة للاجرة وعشر عربات بقارى **والاسواق التي**
 يباع فيها المواش هي سوق السبتية ببولاق ينصب في كل يوم سبت من ابتداء شروق الشمس الى الساعة ٧ نهرا
 تباع فيه مواش وأغنام وطيور ومابوسات وغيرها وسوق الجمعة بجهة الامام الشافعى وبجهة الحسينية وسوق
 بوابة حجاج بشارع السيدة عائشة يباع فيه الخيول والبغال والحمير وسوق مذبج الحسينية ينصب عصر كل يوم الى
 الغروب يباع فيه البقر والجاموس والغنم والجمال وسوق مذبج العيون بالقرب من المذبج ينصب كل يوم
 من شروق الشمس الى الساعة ٣ نهرا تباع فيه حيوانات الذبح والآن بسبب حصر الذبح في المذبج المستجد
 زادت أهمية هذا السوق عن الاسواق السابقة عليه والحيوانات الجارى ذبحها لما كل البلد منها ما يشتري من
 هذه الاسواق ومنها ما يشتري من المديريات ويؤتى به الى مذبج القاهرة **وقبل العائلة المحمدية كان الذبح في داخل**
 البلد في محلات متعددة ولما استولت العائلة المحمدية ورقت ديوان الصحة وجعلت له قانونا بطل الذبح داخل البلد
 وبني في خارجها مذبجان أحدهما بجهة الحسينية والاخر في قبلى البلد بقرب العيون وذلك في سنة ألف ومائتين
 وثلاث وثلاثين هلاية وكان كل منهما عبارة عن حوش كبير يحيط به سور من البناء وبه بعض سقائف تظل قطعة من
 الارض مبلطة بالحجر ولم يكن بها حجار لتصفية الدم وغيره ولا مياه لغسل ذلك فكانت على غير قانون صحي وكانت

عقونتها تتشرف في الجوال إلى مسافات بعيدة وتضرر بالناس فكثرت الشكوى من الأهالي وطلب مجلس الصحة بناء
 مذبح مستوف لشروط الصحة مثل الموجود من ذلك في المدن الكبيرة فلم يلتفت لذلك إلا في زمن الحضرة الحديوية
 التوفيقية وبأمرها بطات المذابح القديمة وتخلصت الناس من عقوباتها وبنى المذبح الجديد بين العيون وزين
 المعابد على مقتضى رسم عمل معرفة ديوان الأشغال العمومية مدة نظارتي عليه وصدق على الرسم مجلس الصحة بعد
 امتحانه والآن جارية المذبح لكافة البلد ومرتب له حكيم ومأمور وكاتبان وملاطغان وسقاء وخفير وخدمة وبه
 والبولنخ المياه المتركة في المجاري والمذبح في سنة سبع وعشرين في كل شهر من أشهر السنة هو كالاتي * في شهر
 فبراير خمسة آلاف ومائتان وسبع وتسعون رأسا من الغنم ومن الجاموس الكبير ستون رأسا ومن الأثوار الكبير
 مائة وأربعة وسبعون ثورا ومن عجول البقر اثنان وثمانون عجلا ومن عجول الجاموس ثلثمائة وسبعة وثلاثون
 عجلا ومن المعز أربعة رؤس ومن الجمال اثنان ومن الخنازير احدى وستون خنزيرا وذلك في اثني عشر يوما من الشهر
 * وفي شهر مارت من الغنم خمسة عشر ألفا وسبع مائة وستة وثمانون رأسا ومن الجاموس الكبير مائة وثمانية وستون
 رأسا ومن الأثوار الكبير مائة وأربعة وتسبعون ثورا ومن عجول البقر تسعون عجلا ومن عجول الجاموس ألف
 وثمانمائة وثمانية وثمانون عجلا * وفي شهر ابريل من الغنم ستة عشر ألفا وأربعمائة وخمسة رؤس ومن الجاموس
 الكبير مائتان وستة رؤس ومن الأثوار الكبير مائة وستة وثلاثون ثورا ومن عجول البقر مائة وثلاثة عشر عجلا ومن
 عجول الجاموس ألف وخمسمائة وأربع وسبعون عجلا ومن الجمال أربعة عشر رجلا * وفي شهر مايو من الغنم
 تسعة عشر ألفا ومائة وخمسة وعشرون رأسا ومن الجاموس الكبير مائتان وأربع وسبعون رأسا ومن الأثوار
 الكبير مائة وستة وأربعون ثورا ومن عجول البقر مائة وعشرة رؤس ومن عجول الجاموس ألف وسبع مائة وثلاثة
 وأربعون عجلا ومن الجمال عشرون * وفي شهر يونيو من الغنم سبعة عشر ألفا ومائتان وأربع وثلاثون رأسا
 ومن الجاموس الكبير مائة وتسعون رأسا ومن الأثوار الكبير ثلاثة وتسعون ثورا ومن عجول البقر اثنان وثمانون
 عجلا ومن عجول الجاموس ألف وخمسمائة وأحد وأربعون عجلا ومن الجمال أحد عشر رجلا * وفي شهر يوليو
 من الغنم ستة عشر ألفا ومائتان وأحد عشر رأسا ومن الجاموس الكبير مائة وخمسة وخمسون رأسا ومن الأثوار
 الكبير مائة وثمانية وأربعون ثورا ومن عجول البقر مائة وثمانية وعشرون عجلا ومن عجول الجاموس ألف ومائتان
 وأحد وخمسون عجلا ومن الجمال أربعة عشر رجلا * وفي شهر أغسطس من الغنم ستة عشر ألفا وأربعمائة
 وستون رأسا ومن الجاموس الكبير مائتان وأحد وأربعون رأسا ومن الأثوار الكبير أربع مائة وثمانون ثورا ومن
 عجول البقر مائتان وخمسة وثلاثون عجلا ومن عجول الجاموس تسعمائة وأربعة وستون عجلا ومن الجمال عشرون رجلا
 * وفي شهر سبتمبر من الغنم أربعة عشر ألفا وتسعمائة وعشرة رؤس ومن الجاموس الكبير مائة وتسعة وسبعون
 رأسا ومن الأثوار الكبير خمسمائة وأربعة رؤس ومن عجول البقر مائة وثمانية وثمانون عجلا ومن عجول الجاموس
 ثمانمائة وثلاثة وثلاثون عجلا ومن الجمال عشرة * وفي شهر أكتوبر من الغنم خمسة عشر ألفا وثمانمائة وثمانية
 وخمسون رأسا ومن الجاموس الكبير مائتان وثمانية وثمانون رأسا ومن الأثوار الكبير مائتان وخمسة وخمسون
 ثورا ومن عجول البقر ثلثمائة وخمسة وتسعون عجلا ومن عجول الجاموس تسعمائة وستة وسبعون عجلا ومن الجمال
 خمسة عشر رجلا * وفي شهر نوفمبر من الغنم ثلاثة عشر ألفا وسبع مائة وتسعة وعشرون رأسا ومن الجاموس الكبير
 مائة وأربعة وسبعون رأسا ومن الأثوار الكبير مائة وثلاثة وثمانون ثورا ومن عجول البقر تسعمائة وسبعة وسبعون
 عجلا ومن عجول الجاموس سبعمائة وثمانية وتسعون عجلا ومن الجمال تسعة عشر رجلا ومن الخنازير مائة واثنان
 * وفي شهر ديسمبر من الغنم ثلاثة عشر ألفا ومائتان وثمانية عشر رأسا ومن الجاموس الكبير مائتان وسبعة وعشرون
 رأسا ومن الأثوار الكبير مائتان وخمسة وعشرون ثورا ومن عجول البقر ثمانمائة وتسعة وسبعون عجلا ومن عجول
 الجاموس سبعمائة وتسعة وعشرون عجلا ومن الجمال سبعة عشر رجلا ومن الخنازير مائة وسبعة وخمسون * وفي
 شهر يناير من الغنم أربعة عشر ألفا وتسعمائة وتسعة رؤس ومن الجاموس الكبير مائتان وتسعة وعشرون رأسا ومن
 الأثوار الكبير ثلثمائة واحد وعشرون ثورا ومن عجول البقر تسعمائة وتسعة وخمسون عجلا ومن عجول الجاموس

سبع مائة وثمانية وثلاثون عجلا ومن الجمال خمسة ومن الخنازير مائة وستون خنزيرا وقد علم من دفاتر القبا في ان وزن
الجل في المتوسط مائة وستة وستون رطلا والجاموسة خمسة مائة وستون رطلا والثور مائتان وتسعون رطلا وعجل
البقر مائة وستة وستون رطلا وعجل الجاموس مائتان وستة وستون رطلا فبناء على ذلك يكون الماء كمول في السنة من
لحم الجل تسعة وتسعين ألفا ومائتين وأربعة وثلاثين رطلا ومن لحم الجاموس مليوناً وثلثمائة وخمسة وخمسين ألف
رطل وسبع مائة وستين ألفاً وثلثمائة وعشرين رطلا ومن لحم الثور ثمانمائة واثنين وستين ألفاً ومائة وسبعين رطلا ومن لحم عجول البقر ستمائة
وسبعة وستين ألفاً وثلثمائة وعشرين رطلا ومن لحم عجول الجاموس ثلاثة ملايين وخمسمائة وثلاثة عشر ألفاً
وخمسمائة وأربعة وتسعين رطلا ومن لحم الغنم أربعة عشر مليوناً وثمانمائة وسبعة عشر ألفاً وثلثمائة وأربعة وستين
رطلا ومجموع مائتا كاه البلد واحد وعشرون مليوناً وثلثمائة وخمسة عشر ألفاً وأربع مائة واثنان وأربعون رطلا ولو
قسمنا ذلك على أيام السنة وتعداد الاهالي لوجدنا ان ما يخص الشخص الواحد نحو وقيتين وهو قليل بالنسبة لما تأكله
أهالي المدن في البلاد الاجنبية

* (حوادث جوية) *

(المطر)

يرى بعض الافرنج انه بالنسبة لكثرة ما زرع من الاشجار في الديار المصرية وفتح خليج البرزخ حصـ ل تغـير في طقس
القطر المصري ولم يكن هذا الزعم منه سبباً على شيء ثبت به بل الامور المشاهدة تدل على ان الحال الآن هو كما كان في
أول هذا القرن مثلاً رصدت الفرنساوية مدة استيلائهم على هذه الديار عدد أيام المطر فوجدوا انه دائري بين خمسة عشر
يوماً وستة عشر يوماً في السنة وبعد ابحاثهم صار رصد ذلك أيضاً من سنة ألف وثمانمائة وخمس وثلاثين الى سنة
ألف وثمانمائة وتسع وثلاثين فوجد ان عدد أيام المطر في الخمس سنين المذكورة دائري بين اثني عشر يوماً وثلاثة عشر
يوماً وكيفية المطر كانت في سنة ألف وثمانمائة وخمس وثلاثين سبعة عشر ملليمتراً ونصف وفي سنة ألف وثمانمائة وست
وثلاثين احدى وعشرين ملليمتراً وفي سنة ألف وثمانمائة وسبع وثلاثين خمسة عشر ملليمتراً ونصف وفي سنة ألف
وثمانمائة وثمان وثلاثين احدى عشر ملليمتراً وفي سنة تسع وثلاثين ثلاثة ملليمتراً فقط وفي سنة ألف وثمانمائة وأحد
وسبعين كان عدد أيام المطر في مدينة القاهرة تسعة أيام ومدته فيها تسع ساعات وعشر ساعات وهو أقل مما كان أول هذا
القرن وبلغت كمية المطر في سواحل البحر في أغرا الاسكندرية سنة ألف وثمانمائة وسبع وستين مائتين وستة وعشرين
ملليمتراً وسبعة أعشار وفي سنة ألف وثمانمائة وثمان وستين بلغت ثمانمائة وأربعاً وثلاثين ملليمتراً وسبعة أعشار
وفي سنة ألف وثمانمائة وتسع وستين بلغت مائة وثمانياً وخمسين ملليمتراً وفي سنة ألف وثمانمائة وسبعين بلغت اثنين
وسبعين ملليمتراً وسبعة أعشار وفي سنة ألف وثمانمائة واحد وسبعين بلغت مائة وثمانياً وستين ملليمتراً وفي سنة ألف
وثمانمائة واثنين وسبعين بلغت مائتين وثلاثاً وثمانين ملليمتراً وعدد أيام المطر في هذه السنين كان دائرياً بين أربع
وأربعين يوماً واثنين وعشرين يوماً وبالنسبة لاشهر السنة يكون نزول المطر في مدينة القاهرة هكذا في ١٧ من
شهر يناير نزل مطر خفيف استمر عشر دقائق في وسط النهار ثم أعقبه مطر دقيق في المساء استمر أربعين دقيقة وفي
١٨ منه نزل مطر خفيف استمر دقيقتين وفي ٥ من شهر فبراير نزل مطر خفيف استمر ساعة وسبع عشرة دقيقة وفي
١٩ منه نزل مطر استمر ثلاثين دقيقة وفي ٢٨ منه نزل مطر خفيف استمر ست عشرة دقيقة وفي ١٤ شهر مارت نزل
مطر خفيف استمر ست دقائق وفي ٤ من شهر ابريل نزل مطر خفيف استمر ساعتين وخمسين دقيقة وفي ١٣
منه نزل مطر خفيف استمر عشر دقائق ثم في نفس اليوم أسطرت مطراً خفيفاً عقب المطر الاول استمر ساعتين وأربعين
دقيقة وفي شهر مايو ويونيه ويوليه وأغسطس وسبتمبر وكتوبر لم تطرأ أصلاً وفي ٢٢ من شهر نوفمبر أمطرت مطراً
خفيفاً استمر خمس عشرة دقيقة ثم أعقبه في يومها مطر خفيف أيضاً استمر خمس دقائق وفي شهر ديسمبر لم تطرأ أصلاً

* (حرارة الجو وضغطه) *

ومن الارصاد التي علمت في أشهر السنة بالنسبة لدرجة الحرارة وضغط الجو نتج ما سيأتي بالنسبة للدرجة المتوسطة

الشهور	ارتفاع الترمومتر المتيني	ارتفاع البرومتر	الشهور	ارتفاع الترمومتر المتيني	ارتفاع البرومتر
شهر يناير	١٢,٨٥	٧٦١,٤٠	شهر يوليو	٢٩,٨٨	٧٥٣,٥٩
شهر فبراير	١٢,٧٨	٧٦١,٥٧	شهر أغسطس	٢٩,٤٣	٧٥٤,٠٩
شهر مارس	١٦,٩٦	٧٥٧,٥٧	شهر سبتمبر	٢٥,٨٤	٧٥٧,١٩
شهر أبريل	٢٠,٠١	٧٥٨,١٨	شهر أكتوبر	٢٣,٠١	٧٥٨,٥٣
شهر مايو	٢٦,٣٠	٧٥٦,٨٣	شهر نوفمبر	١٨,٥١	٧٦٠,٩٠
شهر يونيو	٢٨,٩٩	٧٥٥,٦٠	شهر ديسمبر	١٥,١١	٧٦١,٧٦

ومتوسط الحرارة في السنة ٢١,٦٦ ومتوسط ارتفاع البارومتر في السنة ٧٥٨,١٠ وبالنظر لما ورد في هذا الجدول تختلف درجة الحرارة بحسب الفصول وبالنسبة لجهات القطر في وجه بحري في ثلاثة شهور فصل الشتاء ينحط ارتفاع الترمومتر وهو ميزان الحرارة الى اثنتي عشرة درجة وتارة الى أربع عشرة درجة فوق السفرو في ثلاثة شهور فصل الربيع ترتفع درجة الحرارة الى أربع وعشرين درجة وفي ثلاثة شهور فصل الصيف ترتفع الى تسع وعشرين درجة وفي ثلاثة شهور فصل الخريف تنحط درجة الحرارة الى ثمانية عشرة درجة وفي الاقاليم الوسطى تزيد درجة الحرارة في كل فصل عما هي في الاقاليم البحرية بدرجتين وفي الصعيد الاعلى ترتفع درجة الحرارة الى أربع وثلاثين درجة وفي حدود النوبة تبلغ ثمانية وثلاثين درجة وعادة يوجد فرق جسيم في جميع البلاد المصرية بين حرارة النهار والليل وهذا الفرق حاصل عن هبوب نسيم هب من الجهة البحرية عند غروب الشمس ويشاهد ان حرارة الليل تنقص عن حرارة النهار ثمان درجات وتارة اثنتي عشرة درجة

* (الرياح) *

شهر يناير تهب الرياح من بحري أو من بحري غربي أو بحري شرقي وكذلك في شهر فبراير وفيما يكثر الضباب ويسقط المطر وفي أواخر شهر فبراير وفي شهر مارس يكثر هبوب الرياح الجنوبية وفي شهر أبريل يتسلطن الريح الجنوبي والجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي وفي شهر مايو يتبادل الالهوية الشرقية مع الالهوية البحرية وعند الاعتدال تقوم رياح الخماسين وتهب الرياح الجنوبية وعند هبوبها يتغير لون السماء ويكتسي حرة ويعلأ الجو بالترربة وتشتد الحرارة حتى تبلغ في بعض الاوقات أربعين درجة فيحصل للانسان قبض ومضايقة وعسر تنفس وكثيرا ما يحصل في هذه الايام رمد وإسهال وفي شهر يونيو يكون هبوب الرياح من الشمال والشمال الغربي ويستمر في شهر يوليو هبوب الرياح البحرية وتتغير من الشمال الغربي الى الشمال الشرقي وفي آخر شهر يوليو الى نصف شهر سبتمبر تنفرد الرياح البحرية بالهبوب ويكون هبوبها بالتمار أقوى من الليل وفي آخر شهر سبتمبر تهب الرياح من الشرق أكثر من غيره من باقي الجهات وهكذا الى شهر ديسمبر فيكون هبوب الرياح من بحري ومن بحري غربي أو بحري شرقي

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني اوله ذكر ما بالقاهرة وظواهرها من الشوارع والحدارات الخ)